

العدد
(٢١٦)
أغسطس
٢٠٠٣

أدب ونقد

مجلة
الثقافة
الوطنية
الديمقراطية

إسماعيل صبرى عبد الله: نهضة عربية ثابتة

مسجات التأمين شراؤه داعياً

في الشوارع زمان المعايير



العلماني المؤمن

جوائز الدولة.. الحذا يخطئ أحياناً



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



أدب ونقد

رئيس مجلس الادارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: فريدة النقاش

مجلس التحرير : إبراهيم أصلان
د. صلاح السروي / طلعت الشايب
د. على مبروك / غادة نبيل
كمال رمزي / ماجد يوسف
حلمى سالم / مصطفى عبادة
على عوض الله كرار / جرجس شكري

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] | ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب / الأهلى
القاهرة / هاتف ٢٩١٢٢٧ / ٢٨ | فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المستشارون
د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الرأatron
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر
محمد روميش / ملك عبد العزيز

أعمال الصيف والتوصيب
أحمد السجني
نسرين سعيد إبراهيم
تصحيح : أبو السعود على سعد
لوحة الغلاف عفت حسني
الرسوم الداخلية: للفنان أشرف إبراهيم
الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنية
البلاد العربية ٥٠ دولاراً / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولاراً

الطباعة
شركة الأمل للطباعة والنشر
الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:
adabwanaqd@yahoo.com
adabwanaqd.4t.com موقع [أدب ونقد] على الانترنت:

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن عشر
صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

محتويات العدد

- المحررة ٥
- دعوة لنهضة عربية ثانية/ دراسة د. إسماعيل صبرى عبد الله ٩
- العلمانية المؤمنة / ملف ١٩
- العلمانية المؤمنة/ دراسة د. ماهر الشريف ٢٠
- سؤال العلمانية واقع وأفاق/ دراسة د. كمال عبد اللطيف ٢٧
- العلم والدين والتصور التلفيقي/ رأى د. فيصل دراج ٤٠
- لاهوت الفقراء... تحرير الدين/ ندوة سليمان شفيق ٤٤

★ الديوان الصغير

مستجاب المتأبط شرًا وإبداعاً... إعداد وتقديم، طلعت الشايب ٤٩



- المادية التاريخية إعادة البناء: كيف تحولت الماركسية إلى دوجما/ مساحة ذكر د. عاطف أحد ٥٩
- عزيز الشوان... فدائية الموسيقى ومصريتها/ ملف إعداد وتقدير أحمد الشريف ٦٥
- الشوان / سمعة الخولي ٦٧
- الملامح المميزة لأسلوب الشوان حنان أبو المجد ٧١
- البناء اللحنى والصياغة رشا طموم ٧٥
- باليه إيزيس وأوزيريس ٧٩
- بيلوجرافيا عزيز الشوان ٨٤
- جمبيل الأبله. قصة مترجمة... إسحق باشيفس ستجر ترجمة: سمير أبو الفتوح ٨٩
- * اختراق/ قصة د. فخرى لبيب ١٠٧
- الخوارزمى والأرقام العربية/ صناع الحضارة وديع أمين ١١٢
- ثلاث قصص قصيرة حسن مشالى ١١٦
- الجهر بالسوء فى الزمن المعايلى أشد فتكاً/ اشتباك د. محمد الحبشي ١٢٠
- بريشت وجاليلو فى زمن الطوفان /مسرح جرجس شكري ١٢٤
- سهر لن ينتهى أبداً / سينما محمد رجاء ١٣٠
- الشارع الثقافى/ متابعات عيد عبد الحليم ١٣٥
- كتب/ متابعات ١٤٢
- مذكرات عصفور عجوز جداً يحيى الظاهري عبد الله ١٤٤

ترجو المجلة من كتابها الأعزاء إرسال السير الذاتية لهم مرفقة بمواضيعاتهم وذلك
للتعريف بهم ضمن صفحات المجلة

في أعدادنا القادمة

مسرحية ذات صباح مشمس تأليف سيرافين وجاكوبين
قصائد للشعراء...

حلمي سالم - ماجد أبو غوش - أحمد فضل شبلول - إسلام سلامه - عارف البرديسي - أحمد
الصعيدي - الأمير العسيري ..
قصص: أحمد ضحية - نازك ضميرة
دراسات .. شيمس هيني - د.عادل ضرغام - زياد أبو لبن.

تصويب

- * سقط سهوا من موضوع «الروح الإنسانية للاشتراكية تلك السطور» وفي اعتقادى أن الموقف الصحيح يمكن فى إعادة بناء المجتمع على قاعدة صلبة / تجعل من الفقر أمراً مستحيلاً، إن قيم الإيثار والتضحية تشكل عقبة حقيقية فى طريق إنجاز هذا الهدف ومن ثم يمكننا القول أن أسوأ مالكى العبيد هم هؤلاء الذين كانوا يحسنون إليهم لأن ذلك الإحساس كان / يجعل العبيد ..
- * فى صفحة ٢٧ - من المهم أن توضح كيف (شهر) لويس الرابع عشر وصحتها .. «قهم» ..
- * فى صفحة ٢٧ أيضاً من السطر السادس . سقطت العبارات الآتية:
ففقد كان (بابا) ذلك الذى قال عن سيلينى لجمع من «الكلولة» «أن القوانين والسلطات العامة لم تخلق
من أجل رجل عظيم مثل «سيلينى».
- * السطر الرابع صفحة (٣٠) الصواب لوجه البابا.
- * فى صفحة ٣٠ بدلاً من «نشر بالحنين» .. الصواب .. لن ننشر بالحنين.

أول الكتابة

فريدة النقاش

كان يوما قائطا مشبعا بالرطوبة من أيام يوليوا ، وفي شارع وسط العاصمة أوقفت إشارة المرور سيارة ضخمة تكاد تكون مصفحة لشدة إحكام إغلاقها وفي جانب الصاج أو الرصاص - لا أدرى - المطلية باللون الأزرق فتحات تهوية صغيرة بدكتها رسوم أولية بشبابيك امتدت من بين فتحاتها شديدة الضيق أيدى تجده لكي تلوّح وصرخت أصوات عالية كأنها مخنقة بالغضب أو الدموع تصيبن الله أكبر والله الحمد ..

كانت عربة من آلاف شبيهة بها تنتشر في الطرق وعلى مداخل المدن تنقل المساجين من سجن لمحكمة لنهاية وبالعكس ، ويحاول الشباب المكسون بداخليها دون جدوى أن يلتفتوا لانتظار لاحتهم ، تعلو أصواتهم في إشارات المرور يمنحهم الضوء الأحمر فسحة من الزمن يقاولون للبشر المنفسين في ذواتهم وهموهم الكبيرة والصغيرة .. نحن هنا .. نحن بالألاف نتعرض للاعتقال والتغذيب دون أن يعبأ أحد ولكن هذا الزحام لا أحد.

أخذت أتأمل الشارع .. أرى الناس المجهدين يتصرفون عرقاً ويعبرون دون أن يتوقف أحد.. إنهم اللامباليون ..المذلون المهانون الذين إعتابوا وضعهم حتى أنهم طربوا من وعيهم وحتى من مجال الرؤية الآتية، مشهد الانتهاك الذي يجري أمامهم متظاهرين بأنه غير موجود .. أدميون يتكسرون كالملواشى فى عربات نقل المساجين والمعتقلين الذين هم بعض زهرة شباب الوطن، يقضون سنوات الحب والتقطيع خلف القضبان ، ويتحولون إلى محنة دائمة لأسرهم وحدهما دون عنون، وهناك في السجون تتم عملية تقرير متوافقة لأفكارهم ورؤاهم المغلقة عن العالم ، وإحلال التكفير محل التفكير ، وتشوه الأرواح والأبدان ويخرجون إلى المجتمع بعد سنوات العذاب الطويلة كاثنات معطوبة تتقدّر بالكرامة وروح الانتقام ، لا فحسب ضد اللامباليين وإنما أيضا ضد المجتمع كله .

ويقول تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان عن حقوق الإنسان في الوطن العربي في الجزء الخاص بمصر عام ٢٠٠٢ «واصلت السلطات خلال عام ٢٠٠٢ العمل بقانون الطوارئ ، وقررت في مطلع العام ٢٠٠٣ وقبل نهاية التمديد السابق بثلاثة أشهر تمديدا جديدا للعمل به لثلاث سنوات جديدة بحجة مكافحة الإرهاب وأثار الأزمتين الفلسطينية والعراقية وإستمرت ظاهرة وفيات الأشخاص من جراء

التعتيب في مراكز الاحتجاز ، جنبا إلى جنب مع التوسيع في اعتقال الناشطين السياسيين والمشتبه في إنتمائهم إلى تنظيمات إسلامية محظورة . كما جرى التوسيع في إحالة المدينين إلى محاكمات عسكرية ومحاكم استثنائية في استمرار لتداعيات الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب ، واصلت السلطات إغلاق العديد من السجون ومراكز الاحتجاز ومنعت الزيارات فيها».

وليس أشد إيلاما من مشهد السيارات المكسدة بالسجينين والمعتقلين في شوارع المدن . إلا مشهد العائلات الفقيرة التي تتكسر بدورها أمام أبواب السجون المختلفة تتطلع إلى زيارة أبنائها وتلقى من سوء المعاملة والهوان يعضا مما يلقونه . وغالبا ما يعجزون عن رؤية الأبناء ..

إن اللامباليين أشد خطرا من الأعداء . فإذاً يكون بوسعنا أن نقاوم الأعداء لنستطيع أن نواجه اللامباليين ، لا فحسب لأنهم سليبيون ولكن أيضا لأنهم بالملابيin لسان حالهم يقول أنا ومن بعد الطوفان ، أؤمن نفسي وأسرتي وليرحرق العالم لهم ينسون أنه حين يحترق العالم لابد أن الحريق سوف يطالهم بطريقه أو بآخر . أقول ذلك كله لأن انشغالنا عاما في الأوساط الثقافية بسؤال الهضبة الجديدة المرجوة بدا واضحا في مؤتمر المثقفين الذي دعا إليه المجلس الأعلى للثقافة في مصر وشارك فيه عدد من أبرز المثقفين رغم أن وقائع المؤتمر وسير المناقشات والجدل الذي دار فيه حول تجديد الخطاب الديني على نحو خاص كانت كلها جديرة بالتتابع والاهتمام وبلغت درجة عالية من الرقي في الاختلاف ودارت جميعا في مناخ حر لا قيود عليه ولا رقابة ، فالرقابة والقيود تكبل حركة الشعب وبالتخويف المنظم وتجعل ظهره إلى الحاطن وتكتاف كل مؤسسات الدولة بتجدينه وتحويله إلى ملايين مبعثرة من اللامبة .

وهنا تكمن المشكلة فالمسألة لا تتعلق بالكلام المباح أو تعبير المثقفين عن الغضب وإنما بالفعالية الممكنة ، فالواقع المنساوي لن يتغير بمجرد الكلام أو التبرة المنخفضة أو العالية في الاحتجاج ، وإنما بالإضافة إلى ذلك .. بالقدرة على العمل الجماعي ، بالخروج على اللامبالية بقدرة المثقفين على مساعدة الإنسان العادى والمواطن البسيط ملح الأرض ويانى الحضارة ومنتج الثروات .. مساعدته على أن يكون إيجابيا وفعلا على أن يخلع عنه رداء الخوف والمداهنة وأن يتتصدى بكل قوته للفاسدين التابعين الذين جثوا على أنفاسه ، وحطموا معنوياته وجعلوا حياته كفاحا يوميا خشنا من أجل مجرد البقاء ، في بلد ينعم فيه المستغلون والحاكمون وناهبو الأقوات بكل ما استنزفوه من دماءه وعرقه حتى اختار بعض أفضل شبابه الذين المخلق ملذا ، واستقرد بهم فقهاء الظلام في غياب الإعلام التجارى وتوطئه هذا الإعلام الذى كان يسعه أن يتحول إلى منبر شريف للجدل واستنهاض الروح الحر التقديمى للتراث الدينى نصا وفقها ، ولكنه فى سياق استراتيجية التجارين وتصنيع اللامبالية أصبح منبرا للتدين الشكلى ، فضلا عن كونه بوقا

لتفاًق كبار المسؤولين والدفاع عن سياساتهم التي قادتنا إلى ما نحن فيه حيث جرى حبس الشعب كله في ظل الطوارئ والقوانين المقيدة للحريات داخل النزارات الفردية المشبعة بالغوف والتطير، المحنة الظهر ببطالة الشباب وإنغلاق المستقبل، الفاقدة الثقة في الطبقة الحاكمة وخيارتها بالعاجزة بسبب كل هذا عن إحداث التغيير الذي تنشده لأن الأبواب مغلقة تماماً حتى لو افتحت باب الكلام للمثقفين فقد بقي حق إصدار الصحف على سبيل المثال مصادر، وحق الإضراب للعمال ما يزال مجرماً شأنه شأن المسيرات والمظاهرات، وأشكال الاعتصام السلمي وحق إنشاء الأحزاب والجمعيات الأهلية والنقابات مقيد بدوره بحكم قوانين مطعون على دستوريتها، لكن الإناء يفلت بالغضب، وإذا لم يجد البخار المراكب متنفساً سوف ينفجر الإناء بما فيه وسوف تكون الفوضى وربما الرجوع إلى الخلف احتمالين مائتين وشة علامات على إمكانية هذا الانفجار لن تخطتها عين من يتبع المعركة الدائرة الآن بين دعاة تأييد الوضع القائم ودعاة التغيير إلى الأفضل من غير الحكميين في نقابة الصحفيين وهي واحدة من النقابات المهنية العربية التي عرفت أشكالاً من الاحتياج المنظم وصولاً إلى تهديد الصحفيين بالإضراب وتقويق الصحف عام ١٩٩٥ حين هبوا ضد القانون الذي وصفوه بقانون اغتيال حرية الصحافة، وقد نجح عملهم المنظم في تغيير بعض بنوده السيئة وبقيت بند آخر لا مثيل لها في البلدان الديمocratية مثل حبس الصحفيين في قضايا الرأي.

واستخدم هنا تعبير هبة الصحفيين الذين فاض بهم الكيل وأثنا استدعى صورة الهبة الشعبية الهاشة في العشرين من مارس هذا العام صباح العيوان على العراق التي استجمعت فيها عشرات الآلاف من المواطنين شجاعتهم وغضبهم وخرجوا إلى الشوارع التي تحولت إلى تكتبات عسكرية فزع الحكم الذي نشرت صحفه سقط «أم قصر» قبل أن تسقط بيام وتغيرت لفة الإعلام الحكومي نتيجة للهبة لتحدث عن العيوان.

فكان فعالية الجماهير في الحالتين مفتاح تغيير ولو محلود حيث سقطت في اللحظة التadora الطبقات المتراءكة من صداً الروح وأرذية التجين.

ولكن سرعان ما عادت الأمور إلى وضعها الراكد، وجرت المياه الآسنة مجدداً في القنوات، وعجزت كل من الحركة السياسية والحركة الشعبية معاً عن التأثير على المصير المظلم لهؤلاء الذين يجري تعذيبهم في السجون والمعتقلات وهم بالألاف، فأخذوا يلوحون باليديهم المعروفة دون أن يرافق أحد، ويقفوا يحترون أفكارهم المشوهة في عزلتهم دون أن ينجح أحد في إقناعهم بعكسها لأن المؤفدين إليهم يمثّلون في كل الحالات نظاماً فاسداً حتى النخاع ولأن الفكر الحر في المجتمع كله بقى محاصراً في دوائر المثقفين وقد

بحصرت الدعوة العلمانية في الكتب دون أن تتحول إلى دعوة شعبية مجالها أجهزة الاتصال الجماهيري والصحافة «العلمانية» لا يوصي بها عقيدة، وإنما مبادئ لتنظيم المجتمع يأتي في مقدمتها إحلال مفهوم أن الشعب هو مصدر السلطة، وأن العلاقة بين الإنسان وربه هي علاقة قرطبة لا تحتاج إلى رقيب ولا وسيط والدعوة إلى الابتعاد عن التكفير وضمان حرية التفكير والبحث في كل المسائل بما فيها المسائل الدينية». كما يقول الباحث الفلسطيني الدكتور ماهر الشريف في مقالة عن العلمانية المؤمنة المنشورة في هذا العدد.

**

ذكرنا الزميل الشاعر «أحمد إسماعيل» بهذه القصيدة البدعة لصلاح جاهين عن الصحافة فرأيت أن أحديها للزملا الصحفيين في معركتهم التقافية إذ يطمحون لبناء نقابة فعالة، وعلاقات عمل عادلة وقبل كل شيء وبعد حرية حقيقة للصحافة.

قول للجرائد يا جرائد ورق

بيبيعوا فيك اللي بع للرصفة

ويتنفعى الخواجات فى الإكفة*

خلينك فى اللي اتهد و اللي اتحرق

واللى ضحك ع البت فى إنجلترا

واللى عمل عملية أصبح مرة

قول للجرائد يا جرائد كلام

شكله وحش

ريحةه كريهة وكثيب

مطرح بالغوص فيه صباع الرقيب

خلينك ساكته دا أنتى حبله حرام

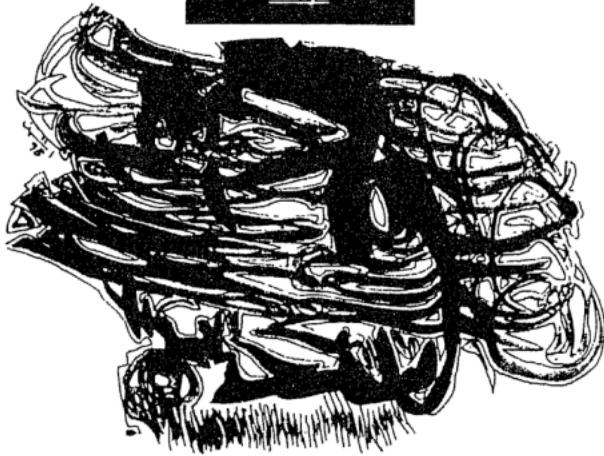
مالك ومال الحر لما انسجن

الصوت مجلجل يس عارى البدن.

قول للجرائد

إنه راجع قريب

* جميع كتيف وهو نوره الماء



دعوة لنهضة عربية ثانية

د. إسماعيل صبوح عبد الله

أعني بتعبير النهضة هبة مجتمعية تسعى لإكساب الحضارة القومية قدرتها على إنتاج المعرف والمهارات في تعامل متكافئ مع الحضارات الأخرى . فقد شهد العالم حضارات كثيرة ومعظم الحضارات اندثر وقليل منها ما بقي وتحيا الحضارة أو تتدثر بقدر ما تملك من وسائل إنتاج المعرف والمهارات . هذا هو المعيار الحقيقي للحضارة التي تعيش والتي تستطيع أن تعامل مع غيرها معاملة متكافئة وليس معاملة تابعة . نحن فسمعنا كثيراً من الأقوال ضد الغرب وضد الحضارة الغربية ورفض كل ما هو غربي ويزيد الداعون إليه تنديداً بموقف بوش الصغير في شن حملة شرسية ومستمرة ضد العرب والإسلام وتبعه كل الفنserيين ومتطرفو اليمين الأمريكي وتحت شعار معركة الحرب ضد الإرهاب في كل مكان قال الرئيس الأمريكي من ليس معنا فهو عدو لنا حتى يشن كل حركات التحرر الوطني والعدل الاجتماعي . ولكن الحضارة لا تبني على الرفض ولا تبني على النفي ولكن تبني على الإبداع والنهوض وإثبات أنا نحن لهذه الحضارة ولسنا تابعين لها . أما القليعة فلا تؤدي إلى شيء . ولهذا أرفض ابتداء ما قال به بعض الأخوة المثقفين من أن حتى تعبير النهضة نفسه تعبر مستعار من الحضارة الغربية . ذلك أن في مفهوم النهضة التاريخي في أوروبا درساً مهماً يجب أن نستوعبه . فما سمي في أوروبا قبل خمسة قرون بالدقائق «الميلاد الجديد» وسمينا نحن النهضة كان جوهره التخلص من عدة قرون من التدهور والتخلف والظلم ، والسعى للوصول المباشر بين حضارة الإغريق والرومان باعتبارهما حضارتين أوربيتين ، وبإبداع فكري

وعلمى وفني ولدينى جيد حتى تتصل الخطى وتتخلى تلك الشعوب من عوامل الهبوط والانحطاط . ونحن نواجه وللمرة الثانية هذه الضرورة . نواجه ضرورة أن نعزل داخل ترااثنا الخبيث عن الطيب . أن ننتمس كيف ازدهر العرب ولكن أيضا ندرس كيف تدهور العرب ، وما أسباب التدهور علينا مستنتدين إلى ما اثبتته أمتنا من قدرة على بناء الحضارة لبني من جديد حضارة . لقد شغلت طويولاً لماذا تراجعنا في الوقت الذى يبدأ فيه النهضة الأوروبية . هذا التراجع بدأ في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر (بالتقويم الميلادي) . ففي ١٤٩٢ سقطت غرباتنة آخر معاقل العرب في إسبانيا في نفس الوقت الذى أطلق فيه كريستوف كولومبس نحو العالم الجديد وفي ١٥٠٤ هزم الأسطول البرتغالي الأسطول المصرى في واقعة باب المدب . وفي ١٥٧ اجتاح الأتراك العثمانيون الشام ومصر . وقد وجدت مؤخراً التفسير الأساسى لبداية القرون الوسطى العربية لدى شيخين نشرا في ١٩١٧ فى كتاباً قرأته في الطبعة الثامنة عشرة منه ما يلى : «لم يمض قريب من قرن على تكوين الدولة العباسية حتى لم يكن لعرب المشرق في السياسة شأن يذكر وقطعت أرذاقهم من ديوان الجندي وقد يستغرب المرء أن يجد نفس المعنى عند عالم قبطي هاجر من جامعة الإسكندرية إلى جامعة أمريكاية غداة الحرب العالمية الثانية . وفيها نشر في ١٩٦٨ كتاباً نفيساً بعنوان «تاريخ المسيحية الشرقية» وفيه كتب أنها لم تلق عادوة من الدولة إلا بعد أن فقد العرب السلطة السياسية والعسكرية».

لقد عرفت بلادنا نهضتها الأولى التي استمرت من أواسط القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين . نهضة قام بها الناس ولم تبادر بها الحكومات . فتذكر حركة الترجمة وحركة التأليف والنشر ونشأة الصحافة العربية ، وظهور السرخ العربي وظهور الفن التشكيلي العربي الحديث ، والاهتمامات التي انعكسـت في تكوين عدد من الجمعيات العلمية . الاهتمام بالتعليم وما بذلك الهيئات غير الحكومية في نشر التعليم في مصر التي كانت تاريخياً بسبب الاحتلال البريطاني تحد من الإنفاق المباشر على التعليم بحيث يبقى في ميزانية كل ستة قائفـس لسداد ديون الخديو إسماعيل . وتشـطـت الناس في تكوين جمـعـيات وإنشـاءـ مدارس إضافـية حيث لم تكن المدارس الحكومية كافية لاستيعـاب كل الشـباب الراغـب في التعليم . أيضاً ظهرـ في تلك الفترة مفكـرون كبار جـمعـوا بين الشـقـافـتين : الثقـافـةـ التـرـاثـيـةـ والـثقـافـةـ المـعاـصرـةـ . وانكروا على دراسة تاريخـناـ الحـضـارـيـ بـمـنـاجـعـ علمـيـةـ حـدـيثـ ظـاهـرـتـ عـنـاصـرـ الـقـوـةـ وـعـنـاصـرـ الـضـعـفـ . وأذكر القارئـ هناـ بـإـسـلـامـيـاتـ أـحـمـدـ أـمـيـنـ وـالـفـتـنـةـ الـكـبـرـيـ وـعـلـىـ هـامـشـ السـيـرـةـ لـطـهـ حـسـنـ وـالـإـسـلـامـ وـأـصـولـ الـحـكـمـ لـعـلـىـ عـبـدـ الرـازـقـ وـغـيـرـهـ كـثـيرـ .

الأمر المؤسف أنه بعد أن حصلـناـ علىـ استـقلـالـناـ السـيـاسـيـ ، اـشـفـلـناـ بـأـمـورـ أـخـرىـ بـعـيـدةـ عنـ النـهـضـةـ . اـشـفـلـناـ باـصـرـاعـ علىـ السـلـطـةـ وـأـسـاسـاـ باـالـأـسـلـيـبـ غـيرـ المـشـروـعـةـ وـاستـخـدـامـ الـقـوـةـ . اـشـفـلـناـ أـيـضاـ باـالتـأـثـيرـ علىـ السـلـطـةـ وـأـسـاسـاـ باـالـأـسـلـيـبـ غـيرـ المـشـروـعـةـ وـاستـخـدـامـ الـقـوـةـ . اـشـفـلـناـ أـيـضاـ باـالتـأـثـيرـ علىـ السـلـطـةـ كـثـيرـ مـباـشـرـ وـمـتـخـطـلـينـ ضـرـورـةـ التـأـثـيرـ فيـ النـاسـ وـتـكـوـينـ الرـأـيـ الـعـامـ ، «ـتـجـسـيـرـ الـفـجـوةـ بـيـنـ الـمـشـفـ وـالـسـلـطـةـ» تـعـبـيرـ بـلـيـغـ عنـ هـذـهـ الرـؤـيـةـ . وـتـشـطـتـ السـلـطـةـ وـتـمـدـدـتـ بـيـرـوـاـطـيـتـهاـ ، وـإـزـادـ شـائـتهاـ كـشـائـنـ السـلـطـةـ بـصـفـةـ عـامـةـ وـالـسـلـطـةـ الـمـفـقـبـةـ بـصـفـةـ خـاصـةـ مـاـتـضـيـقـ عـلـىـ الـفـكـرـ وـعـلـىـ الـمـفـكـرـينـ . وـمـنـ نـاحـيـتـناـ كـمـفـكـرـينـ وـمـتـفـقـنـينـ أـيـضاـ كـانـتـ عـلـيـنـاـ مـسـؤـلـيـةـ فيـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ . فـقدـ تـبـيـنـتـ شـعـارـاتـ تـعـكـسـ أـهـدـافـ عـزـيزـةـ وـثـابـتـةـ وـدـائـمـةـ كـالـحـرـيـةـ وـالـاشـتـراكـيـةـ وـالـوـحدـةـ . وـلـكـنـ غـلـبـ عـلـيـنـاـ الـظـنـ أـنـ مـثـلـ هـذـهـ الـاختـيـارـاتـ

المجتمعية يمكن أن تحدث بالفعل بمجرد الحصول على القرار السياسي يتبنى الاشتراكية والنضال من أجل الوحدة أو بوجدة تعقد بين قطرين عبيدين . وتهمنا أيضاً أنه حتى إذا نجحنا في تحقيق أى هدف من الأهداف الكبرى يفتح الطريق لتحقيق الأخرى . وأنسينا واقع أن الهدف الواحد بذاته ليس كافياً لحل كل مشكلات المجتمع بعد ذلك . وينتظرنا الجهد الكبير في مناظرات ومناقشات ومقابلات ومؤلفات حول ترتيب الأولويات بين الأهداف الثلاثة أو حول ما هو اشتراكي حقاً وما ليس اشتراكي بذاته ليس كافياً لحل الأولويات بالمعنى الاجتماعي . كما لو كنا نعمل نحلي قضايا الوطن بهذا النقاش الذي له احترامه ووجهاته ولكنه استتبع في تقريرى جهداً كبيراً حرمته منه مجالات أساسية كان يجب أن تكون موضع اهتمام . ومن ثم ليس غريباً إن سادت في عصرنا هذا في بلادنا العربية ظواهر التخلف الفكري واستئناف القارئ في أن ذكر بعض هذه المظاهر .

ماضية التفكير الثقافي العربي المعاصر فكلما اجتمعنا في ثورة أو فتحنا حواراً نجد الكتاب مشغولين بتخصية حسابات الماضي القريب أكثر من انشغالهم بقضايا الحاضر ، ويعيدنا كل البعد عن تأمل قضايا المستقبل وكأن العالم سيف ثابت لا يتحرك حتى تحل الآمة العربية مشكلاتها ثم تستأنف البشرية جميعاً سعيها . هذا البعد ذو الدلول العميق للزمن وهو ليس مجرد ساعات وأيام ولكنه أحداث تتوالى وتغيرات تتجدد وتترافق ، هذا الوعي لم يبل اهتمامنا إلا في أضيق الحدود . من الأوهام أيضاً التي تعلق أنفسنا بها، التغنى بالقديم فكثيراً ما تذكر كنا أمة عظيمة وعلماؤنا وفلاسفتنا علموا أوروبا قبل ٧٠٠ عام وليس الآن ونحن من ابتداع علم الجبر ونحن من ابتداع علم البصريات . وهذا التقني بالماضي مظهر غير صحي لأنَّه يصرفنا أو يستخدم لصرفنا عن النظر في تحالفنا الحالى . من هم الذين انتجناهم في العصر الحديث من الفلاسفة والعلماء الذين يعتقد بهم ؟ ومن منهم حافظنا عليه ويقوى على الأرض العربية ؟ ومن منهم استكمل ازدهاره في أقطار أخرى ؟ هذه هي القضايا الحقيقة التي يجب أن تشغلنا ، يقابل ذلك إهدار فترة التخلف العربي الإسلامي .

الحضارة العربية الإسلامية جاءت في القرن الرابع الهجري في الوقت الذي نشأت فيه الدولة العباسية . وقد أشرت سابقاً إلى بداية التردى ومصادرة الفكر . لقد حرقتنا في بلادنا مؤلفات ابن رشد في الوقت الذي نشأت في جامعة باريس مدرسة فلسفية كاملة أسمها مدرسة باريس الرشيدية . فما كان باقياً بيننا من فكر جدير بالاحترام استفاد منه غيرنا . أما نحن فقد انكثنا على أنفسنا ، ووقفنا بباب الاجتهاد في الفقه ورفضنا الفلسفة وقبلنا كثيراً من أشكال الشعوذة والتفسير بالأولياء . وبالدقائق طبقتنا في بلادنا ما كان سائداً في العصور الوسطى في أوروبا حيث كان الفكر الغالب أن القراء أحباب الله وأن الأغنياء فسقة سينهبون إلى الجحيم . وبالتالي الفقر نعمه لأنَّه يدفع إلى الجنة . لقد ازداد اهتمامنا بالأخرة أكثر من اهتمامنا باليقين ونسينا القول المأثور «أعمل لنهايك كائنك تعيش أيداً وأعمل لأخرتك كائنك تموت غداً» . هذا الوضع خلف لنا آثاراً ما زلتُ نعاني منها . وضاغع من خطر هذه الظاهرة أن انتشار التعليم الحديث في بلادنا يتصف خاصية أخذ طابع الأزدواجية مع ما يسمى التعليم الدينى . فمن تربوا في مصر مثلاً في مدارس الحكومة ثم الجامعة معلوماتهم عن التراث العربي الإسلامي في غاية المحدودية ثم الجامعات الذي ندرسها مستمد من مؤلفات أجنبية . وبالتالي يمكن لأى طرف يحاول أن يستغل الإسلام للوصول إلى السلطة أن ينسب إلى الإسلام ما يشاء . ولا نملك عادة إمكانية الرد عليه . ولو كنا درستنا

هذا التراث البراسة المطلوبة لتكبر عندها مؤلفون مثل أحمد أمين في إسلامياته . لكن في وسعنا أن نهتم ببحث لماذا تدهور العرب بعد مجدهم ؟ لأن التدهور بدأ عندما ماذا تدهورنا فكيف وكيف نخرج من هذا التدهور ؟ كيف يجعل أمامنا إحياءً جديداً لهذه الحضارة وأن نشتغل بقضايا العصر ونخلص من الأوهام . وأيضاً من الأخلاص ، التي تتبّع في العادة عند الإحباط والنظرة السلفية للأمور وهي منتشرة فاسلافية ليست مقصورة على الحركات الإسلامية . بل أزعم أن أغلب الحركات السياسية في العالم العربي لها طابع سلفي . الماركسيون سلفيون حين يبيرون اليوم انهايار التموج ... إلى آخره . ولا أقول ذلك تخلياً فكري الماركسي فما زلت عليه . ولكن هؤلاء أساوا إلى ماركس لأنهم تعلقوا بالماضي بغير تعلقوا بـ فكر نموذج قابل للتكرار وهي فكرة منافية تماماً لجدلية الماركسيّة القائلة بذلك لا تستحِم في نفس البحر مررتين . فـ تجربة لها خصوصيتها ولها طوفها ، ولكن الناس اقتنعوا بما قرأت في الكتب وقتلت به بدلاً من أن تتلمس من ارتباطها الحي بالشعب حركة خلاقة تجدد شباب المجتمع .

النظرة السلفية أيضاً كان لها صدى في التيار القومي . نحن عشنا أكثر مما ينبغي متاثرين بتجربة الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية . وظل في أعماقنا تطلع إلى بسمارك ليوحد هذه الأمة بالقوة . وحين تتحقق الوحدة ستتحل كل المشاكل . ونسينا أن هذا تم في عالم غير العالم الذي نعيش فيه . وأن الوحدة الألمانيّة تتم في متنصف القرن الماضي وفي ظروف معينة تحكم أوروبا في ذلك الوقت وتحكم العالم كله . وونحن في ظروف أخرى فإذا كانت تزيد الوحدة ، وأننا من يحرسون عليها ، يجب أن تتلمس لها أسباباً جديدة ووسائل جديدة وألا نجعل من القهر ثمناً للوحدة .

فمظاهر السلفية إذن تؤثر على عدد كبير منا . وبهذا كله أعتقد أنه قد آن الآوان أن نبدأ بالإنسان العربي وأن نعمل على أن يسترد هذا الإنسان العربي إنسانيته ، وأن يكتسب القدرة على التعلم والتقدم حتى يتمكن المجتمع كله من النهوض من حالة السبات التي تکاثرت فيها الكوابيس . ودون أن أعطي للجانب الاقتصادي تغيراً خاصاً أقول إن النهضة مطلوبة لكن نحقق تنمية شاملة للمجتمع العربي من أقصاه إلى أدنىه . ومعنى شمول التنمية أنها ليست نماءً اقتصادياً صرفاً ولكنها تنمية تشتمل الأوضاع الثقافية والاجتماعية في المقام الأول . ويتكلم بالألفاظ الشائعة لوسائل الإعلام عندها التي تزدهر دون أن تدرك مقتضياتها فتشير إلى أهمية الجانب العلمي والتكنولوجي في أي مجتمع يريد أن يعيش في ظروفنا الحاضرة ولا نفعل شيئاً لكي تسير مجتمعاتنا في طريق التجدد من كل هذه الاعتبارات أحسبت بالحاجة إلى نهضة عربية ثانية تشمل كل جنبات المجتمع العربي وتضع الإنسان العربي البسيط والعادي في قلب اهتماماتها وفي المكان الذي يشغلها هذا الزعيم العربي أو ذاك . إذا أردنا أن ننهض يجب أن نفك في الناس كأفراد عاديين وليس في الزعماء والقيادات . فالمجتمع الذي يتطور فيه الإنسان قادر على إبراز القيادات التي يستحقها والعكس ليس صحيحاً . لا يوجد قائد يستطيع أن يصنع أمة . لا يمكن لأمة أن تكون إلا لأن غالبية الناس أرادت لها أن تكون وارتبط بها واعززت بانتهاها إليها وأحسست بأن هذا الانتفاء يجلب لها الخير . بدون هؤلاء الأفراد لا تصنَّع الأمة . فلابد إذن من تنمية شاملة . ويعنى هذا أن نتبّع ما نتبّعه إليه إلى أن العالم اليوم أعاد اكتشاف الإنسان عنصر حاسم في التنمية . وظهر مفهوم التنمية البشرية . وأن البشر هم صانعو التنمية والذين يجب أن يكونوا المستفيدون منها . وأن أحدث كمبيوتر في العالم يظل جثة هامدة إذا لم يجد الفريق القادر على استخدامه . فالإنسان هو الأصل

وهذا الإنسان يجب أن يكون مركز اهتمام عملية التنمية ، ومن هنا صار الحديث عن أهمية توفير الصحة والغذاء والتعليم والتدريب والحرية الشخصية والمشاركة السياسية . لأن هذا الإنسان السليم البدين والعقل المتعلم والقادر على التعلم الذي يألف حديث العلم وحكم المنطق ويور العقل يمارس منتجات العلم الظاهرة في شكل تكنولوجيات . هذا الإنسان هو الذي يستطيع أن يبني أمة تزدهر في القرن الحادى والعشرين . وبغير هذا الإنسان لا يمكن لأى تقديم أن يطرد.

ومن ثم أقف عند هذا المد من عرض لضرورات النهضة وأكرر أن النهضة حركة هبة اجتماعية أى تعنى الناس جميعاً وأن كل فرد هنا عليه سمتولية في خدمة قضية النهضة . هي ليست قضية حكومات فى المقام الأول وليس قضية نظم سياسية فى المقام الأول . وأنذر بما قلته فى ظل ظروف سياسية لم تكن فيها مستقلين نشطت حركة النهضة . ومن التناقض العجيب أن تراجع النهضة فى ظل الاستقلال . علينا أن نسترد صوابنا وأن تحكم العقل فى أمرورنا وأن نصنع به نهضة تجعل هذا المجتمع قادرًا على أن يوجد نفسه وأن يشيع الديمقراطية فى أرجائه . وأن يضع العدل الاجتماعى فى رأس اهتماماته . وانتقل بعد هذا إلى بعض ما أراه متطلبات أساسية لحركة النهضة .

في رأس المتطلبات أو المقتضيات التطوير الشامل لنظام التعليم القائمة حالياً . يجب ألا تخدع أنفسنا ونسلم بإن التعليم فى أقطارنا العربية قد تدهور فى الفترة الأخيرة . هذا أمر وارد على الأقل بالنسبة لمصر التي تابعها ، ولكن بمعرفتي أيضاً لزملاء جامعيين من أقطار عربية كثيرة فالشكوى عامه وليس السبب كلة الطلاب ، فإذاً أكثر الطلاب فلنكتـر المعلمين بمسألة ليست مستحبـلة . لكن النظرة إلى التعليم التي يجب أن تتحول من مجرد نظرة لتقديـر المراكـز الاجتماعـيـة وترك العمل البيـوى لـاشـتـغال بـعمل ذـهـنـى أو تحسـين الدـخـل لـتصـبـح تـنـمية قـدرـة الدـارـس عـلـى التـعـلـم الذـاتـى وتـقـدـير رـغـبـتـه فـي زـيـادـة مـعـارـفـه وـتوـبـعـه مـهـارـاتـه . فـنـحن فـي عـالـم أـصـبـح مـن سـمـانـه أـن يـغـير المـواـطن مـهـتـه مـرـتـيـن أو ثـلـاث مـرـات فـي حـيـاتـه . فإذاً لم يكن لديه هذا الاستعداد للتغيير والتعلم من جديد تتـقـعـكـافـتـه . أيضـاً لم يـعـد الأن فـي عـالـم شـهـادـة بـأن الإـنسـان قد أـكـمـل تـعـلـيمـه مـرـة إـلـى الأـبـد . فـمـعـدـلات التـطـور العـلـمـى من السـرـعة بـحيـثـ أنـهـنـدـسـ أو الطـبـيبـ أوـ المـخـتصـ فىـ عـلـمـ الـأـحـيـاءـ مـوـاجـهـ بـتـغـيـرـاتـ شـبـهـ كـامـلـةـ فـيـ المـتوـسـطـ مـرـةـ كـلـ خـمـسـ سـنـواتـ وـمـنـ ثـمـ لـابـدـ أـنـ يـسـتـهـدـفـ التـعـلـمـ عـنـ تـقـيـيـةـ الرـغـبـةـ فـيـ التـعـلـمـ وـلـوـ فـيـ الصـالـحـ الـجـمـيلـةـ «ـ طـبـ الـعـلـمـ » أـنـ يـكـونـ الـعـلـمـ مـطـلـبـناـ . «ـ وـاـنـ تـبـحـثـ عـنـ الـحـقـيقـةـ وـلـوـ فـيـ الـصـينـ » فإـلـإـنسـانـ الرـاغـبـ فـيـ الـعـرـفـ وـالـسـاعـىـ إـلـىـ الـعـرـفـ وـالـقـادـرـ عـلـىـ التـعـلـمـ الجـدـيدـ هوـ الـلـبـنةـ الأسـاسـيـةـ لـتـكـوـنـ مـسـتـقـلـناـ .

ايضاً يجب أن يتم المسئولون عن التعليم ، عن النسق التعليمي في تكامله بتخصيص جزء مهم من كل الدراسات في كل مراحل التعليم للعلوم الطبيعية والرياضيات . نحن نتكلم عن عصر العلم والتكنولوجيا يعني نتكلـم عن علوم تسمـى العـلـمـ الـصـلـبـةـ . لأنـ العـلـمـ الـاجـتمـاعـيـ تـسـمـىـ العـلـمـ الـلـيـلـةـ . فـهـذـهـ العـلـمـ الـصـلـبـةـ هـيـ الـأـسـاسـ لـلـحـيـاةـ فـيـ الـحـاضـرـ وـفـيـ الـمـسـتـقـلـ . وـكـلـماـ زـادـتـ الـقـاعـدةـ مـنـ التـخـصـصـيـنـ فـيـهاـ زـادـتـ إـمـكـانـاتـ بـنـاءـ قـاعـدةـ عـرـبـيـةـ لـلـعـلـمـ وـالـتـكـنـوـلـوـجـيـاـ . فـضـلـاـ عـنـ اـنتـشـارـ هـذـهـ الثـقـافـةـ الـمـبـنـيـةـ عـلـىـ إـعـمالـ الـعـقـلـ وـالـمـنـطـقـ الدـقـيقـ سـيـسـاعـدـ عـلـىـ مـواجهـةـ الـلـاـعـقـلـانـيـةـ الـتـيـ تـجـتـاحـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ حـالـيـاـ . مـنـ الـمـمـ أـيـضاـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ أـنـ نـسـعـيـ لـتـرـيـرـ الـعـلـمـ الـاجـتمـاعـيـ مـنـ قـيـودـ السـلـطـةـ وـالـتـنـذـهـ ، الـعـلـمـ الـاجـتمـاعـيـ تـسـعـيـ تـمـسـ السـلـطـةـ . وـمـنـ الـمـشـيـنـ أـنـ تـتـدـخـلـ أـحـزـابـ سـيـاسـيـةـ أـوـ حـكـومـاتـ أـوـ إـتـجـاهـاتـ مـحـدـدةـ فـيـ أـنـ تـشـكـلـ مـاـ

يدرسه الإنسان في علم الاجتماع أو علم الاقتصاد أو في علم الإنسان . هذه العلوم تقدمت وأصبحت لها قواعد ويجب أن تدرس هذه القواعد دراسة كافية ونقدية أيضا حتى نستطيع أن نتفقها وأن نضيف إليها . ولكن لا نلغيها بتعبيرات الخطاب السياسي الغنية بالشعارات الفقيرة في المداولات . أيضا يجب أن يأخذ المجتمع المدني دوره في حركة النهضة . وأن نستأنف النشاط العلمي المستقل: تشطيط الممارسة في الجمعيات العلمية القائمة . التشجيع على نشأة المزيد منها . فهذه الجمعيات تمتنز عن الجامعات في أنها غير مترتبة بالجزاء المادي لمن يقدم البحث . فليست وسيلة للترقيه الوظيفية أو لشيء من هذا القبيل . ولكنها أدوات تعارف بين المثقفين بالعلم وتتبادل المعرفة وتتبادل الخبرات وتواصل عبر الوطن العربي كله . عددها يجب أن يتضاعف من خلال الرأي العام على ضرورة أن تتبع الدولة والشركات والمشاريع الفرصة الكافية للطاقات العلمية والتكنولوجية العربية لكي تمارس بالفعل عمل الخبرة فتزداد خبرة وتتقدم علميا . فالمادة البحثية إذا تصورنا أنها الأقدر ، فهو لاء الأفراد إذا لم توفر لهم وسائل البحث العلمي والاستمرار فيه سيعجزون عن متابعة ما يحدث وما يتعدد في العلم . ولكن الأخطر من ذلك أن البحث نشاط مستمر ومن يتوقف عن ممارسته ينسى حتى ما تعلمه في صياغة لهذا قال السلف الصالح « ما زال أحذكم عالما ما طلب العلم . فإن ظن أنه علم فقد جهل ». وإذا كانت نزد مجتمعنا حديثا فيجب بالتعبير الاقتصادي خلق وتنمية الطلب الاجتماعي على المنتج المسمى البحث العلمي والتكنولوجي . يجب أن يكون الخبرة المكتسبة في موقع الخدمات غذاء للباحثين في الجامعات ومراكم البحث بالقدر الكافي من التواصل حتى تكون جماعة علمية تكنولوجية . لأن العلم والعقلية العلمية تنتشر ، وتتشعب فقط بالتواصل وبالخبرة وبالتعاون . فالمعروفة ظاهرة تراكمية . وكلما اتسعت الفروض لاكتساب معلومات جديدة أو لاكتساب خبرات عملية جديدة زاد وزن القاعدة العلمية والتكنولوجية التي لا مفر منها للنهضة الحديثة . كذلك يجب أن تكتافى الجهود لخلق وتنشيط عملية ترجمة مكتفة ومستمرة وبنوية للمؤلفات العلمية في العلوم الطبيعية والرياضية . لا تستطيع أن افترض في الباحث العربي القدرة على شراء الكتب الحديثة التي ارتفعت أسعارها كثيرا . ولا افترض أيضا فيه تملك اللغات التي تصدر بها هذه الكتب . فلابد إذن من حركة ترجمة . والناس يتحسنون كثيرا عن اليابان ، وأول ما صدمني في اليابان قلة من يتكلمون اللغة الإنجليزية مع أنهم علماء عاليون ومتعلمون بكل ما يحدث في العالم . والسر في ذلك هو حركة الترجمة السريعة والمنتظمة والبنوية التي لا يدخل في سببها أى مال . فالكتب العلمية باللغة العربية هي المدخل الحقيقي للتعرّف الدراسة في بعض الكليات الجامعية مثل الطب أو غيرها مما يثار حوله النقاش من فترة لأخرى . فهذا النقاش فاسد في لغة الفقه الإسلامي ، لأن الوسيلة غير متاحة . فإذا أردت أن تعرب التعليم فيجب أولا أن تعرب كتب الطب . هذه هي القضية الأساسية فإذا أتيحت المؤلفات الأساسية والحديثة باللغة العربية سيدرس الناس باللغة العربية سيدرس الناس باللغة وسيكون هذا أمرا طبيعيا كما حدث في اليابان . فحركة الترجمة في بلادنا اتصفـت في فترة الاستقلال بالتركيز على الأدب والعلوم الاجتماعية وليس التركيز على العلوم الطبيعية مع أنه من المعلومات المهمة أن دارون ترجم إلى العربية سنة ١٩٠٨ في القاهرة . ولم تعرّض أى جهة دينية على نشره وترجم بفضل أسرة لبنانية الأصل في مجلة المقتطف ، التي كان توجهها الأساسي العلوم الطبيعية وليس العلوم الاجتماعية أو الأدب . لقد كانت المقتطف مجلة للثقافة العلمية وعاشت عدة عقود وكان لها قراء وانتشرت فيها الآراء . وكتب فيها لأول مرة في أوائل

القرن عن ما سمي فيما بعد الاشتراكية وكان الدكتور محمود عزمي أحد مؤسسي أول حزب اشتراكي في مصر ترجم سوسساليزم إلى الاشتراكية . إن فنحن في حاجة شديدة لكتاب نعيش هذا العلم ، أن نقرأ هذا العلم بدلاً من أن نسمع عنه بشكل دقيق أو غير دقيق في وسائل الإعلام وبعلينا أن نبدل في هذا كل الجهد لأنه بدون هذا لا تنتشر ثقافة علمية ويكون ثقافة علمية لا نهضة حقيقة والغريب أن أسلائنا في عصر الازدهار العربي حين اتصلوا بالثقافة اليونانية لم يترجموا الأدب ولم يترجموا الأوديسا أو الإلياذة ولكن ترجموا الفلسفة وترجموا الفلسفة وترجموا «جالينوس» وترجموا الفيزيقا وترجموا الموسيقى كعلم رياضي وألف فيه الفلسفه العرب . فأخذنا إنما كانوا في حاجة إليه وركنا عليه.

ولنا أن نأخذ هذا المثل ونعطي اهتماماً خاصاً وكبيراً لقضية الترجمة العلمية . ونحو كتب التبسيط العلمي أيضاً وهي كثيرة باللغات الأجنبية وجود محلات الثقافة العلمية . لأن افتقار العلم معناه أننا نعيش بدون عقل فالعقل مكان للتفكير أما أن نعمله فيغير علمًا وأمانًا نحمله فيغير أوهاماً وتخيلاً ونحوه كبشر نتساوى في هذا . لا يوجد تمييز عنصري بأن عناصر بشرية لها قدرات معينة على العلم يعكس الآخرين ، هذا التمركز الأوروبي حول ذات مرفوض . والهند وهي بلد فقير مثلنا حين يذكر أهم عشرة علماء رياضية في العالم منهماثن من الهنود يعيشان في الهند وليس في جامعات أجنبية .

وأشير هنا إلى مكانة الهند في صناعة أنواع مجالات المعلوماتية والاتصالات لقد بنت الهند وبدعمت باطراد قاعدة وطنية للعلم والتكنولوجيا تبدع ولا تحاكي وليس أولى على ذلك من أن البنك الدولي تعاقد مع شركة برمجيات مقرها مومباي لإدارة كل حساباتي وكل ذلك في دولة فقيرة لا يتجاوز متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي نصف ما يحصل عليه الفرد في مصر .

وليس الفقر سبباً في إهمال العلم والتعليم . فالهند الفقيرة صنعت أحد عشر قمراً صناعياً ، أما نحن فقد أشتربينا قمراً صناعياً أسميهنا عربيسات ولا نعرف عنه شيئاً ويتحدث المسؤولون في مصر عن مقر صناعي مصرى مع أنه لم يصنع منه سمسار واحد في مصر ولا اشتراك مصرى واحد في تصميمه والهند عندها الطاقات والمعرفة العلمية للسيطرة على الطاقة النووية وأنشأت محطات توليد كهرباء نووية ولم تنتج قنبلة نووية لفترة طويلة رغم محاولات باكستان في هذا المجال . لأنها رأت أن ذلك تبذيد للموارد وأن الأولى هو الاهتمام بمشروعات يمكن أن تحد من الفقر في هذه البلاد . أيضاً من مقومات النهضة تشجيع الدراسة العلمية العصرية لتأريخ العرب الحضاري وفقاً لمناهج العلم الحديث . هذا المجهود ظهر في فترة النهضة العربية الأولى ولكنها لم يستمر . وحتى الآن في دراسة التاريخ الإسلامي في الجامعات العربية ما زالت أهم المراجع كتبًا أوروبية عن تاريخنا نحن . وعدد المؤرخين العرب الذين قرأوا ودرسوا مؤلفات المؤرخين العرب القدامى محدود للغاية . وسأضرب مثلاً واحداً على هذا . فنحن كلنا في هذا العصر نتحدث عن أيام الحروب الصليبية والعرب المعاصرون لهذه الحروب لم يسموها إطلاقاً الحروب الصليبية ، بل سموها غزوات الفرنجة . أما الذين أسموها حرباً صليبية فهم الأوروبيون الذين فعلوا ذلك لكن يبرروا الغزو برفع الصليب . أما العرب فلم ينخدعوا بهذا الصليب ولم يسموا هذا غزواً مسيحياً إنما أسموه غزواً فرنجياً لأنه كان بينهم مسيحيون عرب ، وكان بجوارهم الروم ومسيحيون آخرون والأرمن والأشوريين والكلدانين وكان من غير الوارد على العقل العربي أن يعطى لهؤلاء الغزاة احتكار الصليب إنما يتكلمون عن غزو الفرنجة . هذه الكلمة مستوحاة من الأصل الأوروبي للقبائل الجرمانية الشهيرة التي ما زالت تحمل

فرنسا أسمها حتى الآن.

فإلى هذا الحد نحن نتكلم عن تاريخنا من مراجع أخرى ، ولم درسه الدراسة الكافية . ويدون دراسة هذا التاريخ بوسائلنا العصرية وبالتركيز على التاريخ الحضاري وليس على دول الملوك والأسر ولا على الغزوات وإنما على التطورات الحضارية لهذا المجتمع سيظل أساس من كيتوتنا يشوبه الغموض وتركه لم يزيد أن يستopleه سياسيا . هذا نقص شديد في حياتنا الفكرية ، هو عدم درايتنا الكافية بما حدث في الألف سنة الأخيرة على الأقل ، إذا اعتبرنا القرون الأربع الأولى قرون مجد . فماذا حدث بعد هذا المجد؟ نحن نتكلام أحيانا عن الخلافة . فنحن ننسى أن بعد عصر الخليفة العتصم ، أصبح الخليفة سجيننا للأتراء وأن السلطة في دولة الخلافة كانت في أيدي الأتراء . وأن العرب فقدوا السلطة على دولتهم . هذا الأمر واقع ومحظوظ ولكنه من الأمور التي تنسى . لأننا نجد قائمة الخلفاء كما وردت في أي مراجع ونعتبر أن كل هذا كان خلافة . وإذا درسنا تاريخنا العصري الحديثة فسنعرف كيف أزدهر العرب وسنعرف أيضا لماذا أضمرحل شأنهم وما هي الأسباب التي وقفت وراء النهوض وأى العوامل ساعدت على التراجع ونستطيع عندئذ التعرف على تراشا لا بنفيه جملة وتفصيلا ، ولا بتجيده جملة وتفصيلا . وإنما استبانت عوامل القوة من فترات التقدم والتبني لعوامل التخلف لوضع حد التخلف . الأمر الأخير في هذا التعداد القصير وغير الشامل بالضرورة هو أن علينا في مجال العلوم الاجتماعية تركيز أكبر اهتمام على دراسة الواقع المعيشى لفئات المجتمع المختلفة وإلا نتفن بمقولات نظرية عامة ولا بأى تصنيف مبني على نظرية ما من عالم اجتماع أو فيلسوف أو غيره وأن نعرف بالدقائق كيف يعيش المواطن العربى في مختلف مواقعه وماذا يشقى به ؟ وما هي مشاكله؟ وكيف يجعله يتطلع إلى من أوتوا العلم من أبناء جلدته لكي يتلمس لديهم الحلول لمشاكله . وما لم تؤف هذه الدراسات الواقعية حقها رغم كل الصعوبات التي تحبط بها وأنا أعلم هذه الصعوبات فهي ضرورة ملحة حتى لا نناقش بعضنا بعضا على فروض نظرية أو مقولات مجردة ولكن بالمنهج الإبيري والدراسة الواقعية نتكلم عن مشاكل حقيقة وقضايا واقعية وأمور تعنى الناس فيتقبل الناس وبالتالي ما يمكن أن نصل إليه من أفكار واقتراحات وينمو رأى عام حول الاتجاهات النهضوية . وأنا من المؤمنين بأن الرأى العام له وزنه حتى في ظل أقبع ديكاتورية ممكنة . والمشكلة كيف يتمتع الديكاتور مع الرأى العام ، ولكنه لا يستطيع إنفاعة إلغاء . وتوجد على ذلك أمثلة حديثة وقريبة مثل السادات عندما عقد صلحًا مع إسرائيل ضمن ركنا أساسياً اسمه التطبيع ، لكن الشعب المصرى رفض التطبيع ولم يملك السادات ولا غيره أن يفرض ذلك على الشعب المصرى . فإذا نجحنا أن نجعل القضايا الأساسية للنهاية ولتوحيد الأمة واستقبل الأمة أن تستقر في الوحدان بهذا المستوى البسيط الواضح الذى يستوعبى رد فعل مباشر عند المواطن دون أن نحتاج إلى وعظ وإلى إرشاد وخطب حماسية ، نكون عملنا بالفعل على النهوض بالمجتمع العربي والنهوض بالأمة العربية . والأمة العربية تنظر إليها في النهاية على أنها يمكن أن تكون إحدى القوى الرئيسية في العالم بناء على عدد البشر الذين يكتبونها وأنا أقول البشر وليس النفط فالنفط زائل . العرب مهمون لأنهم لو اجتمعوا يشكلون سوقا حجمها ٢٦ مليون فرد أو أكثر . وهذا أمر له وزنه الاقتصادي على مستوى العالم ، ودرستنا للعالم الثالث كله أثبتت أن الدول كبيرة الحجم كثيرة السكان وجدت فرصا للتقدم أكثر من الدول الصغيرة . أهم النجاحات تمت في الدول النامية ليس بالطبع التمور الأربع ولكن الولايات المطلوبتين لدخول القرن

الحادي والعشرين في العالم الثالث كله هما البرازيل والهند . ومن هنا يجب أن نؤكد أن وحدة الأمة ليست حنينا إلى الماضي ولا شعورا عاطفيا بالأخوة بيننا ، فمن الوارد أن تكون هذه المشاعر موجودة ومع ذلك نظل منقسمين بين أقطار عدة والأمر الآن هو أنتانا إذا لم نتعاون ونتضامن ونشكل هذه السوق الواحدة فلا أمل في التنمية في أي قطر عربي على حدة . فمشكلة القومية العربية أنها يجب أن تخفف الكلام عن ماضيها وأن تطرق إلى أنها مستقبلنا . أما موحدون وأما لا شيء . ولننظر إلى مصير الصومال فهو ينتظرنَا . ويتركونَا نقل بعضنا بعضا ولا يهتم أحد بما يجري في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء لا أحد يعلم جنور ما يحدث فيها الآن.

المحافظة علىبقاء هذه الشعوب في مجموعة وهذه الأمة مرتبطة بالتعاون العلمي والتعاون الاقتصادي والتكامل وإنشاء الأسواق المشتركة إلى آخره . هذا أيضا لا يكفي أن نقوله أو لا يكفي أن يسجل لأن هناك في الواقع قوى موضوعية تعمل في اتجاه هذا . ولكن علينا أن نفك ونجتهد ونبحث ونخترع في إشكال التعاون وصودره . وأن تقدر الأمام الزمنية التي لابد منها لتحقيق ما نأمله ونعمل من أجله . ولا يغنى في هذا الصددمحاكاة نموذج السوق الأوبيبة المشتركة لأن الخلفية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحضارية الثقافية في أوروبا كانت مختلفة عن هذه الخلقة التي نبدأ بها الآن وليس هناك أى دليل على أن ما نجح في أوروبا يمكن أن ينجح في البلاد العربية والمثل على ذلك بسيط في سنة ١٩٦٤ تم توقيع معاهدة بإنشاء «مجلس الوحدة الاقتصادية العربية» وانتهى الأمر بالتوقيع على المعاهدة . وانتهت المعاهدة بالتوقيع عليها . فالمفروض أن المعاهدة تبدأ عدداً جديداً لأن مقومات هذه السوق : القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في بناها والإشكال المحددة والملوسة التي تدفع في هذا الطريق لم يتراولها أحد بالبحث الكافي ، ولا قدم فيها الحلول الجديدة والملائمة والمليئة التي تشجع على التحول من مشاعر ورغبات إلى حقائق ووجودات.

أريد أن أقول أن مفهوم النهضة لا يمكن أن يكون مفهوماً قطرياً ، لأن الأمة العربية أما تتنهض كلها وأاما لا تنهض وفي أوروبا رغم تقسيمها القائم إلى دول ، النهضة كانت ظاهرة أوربية كاملة شملت أوروبا كلها . إذن فإن إعطاء مدخل النهضة العربية خطاباً مباشرأً للأمة العربية في جميع أقطارها وفي كل المواقع التي يوجد فيها المواطن العربي لأنها لا تحل إلا في هذا الإطار القومي .

يمكن أن تبدأ بدايات في بعض الواقع ، وأن تكون توجهات تختلف وتنتشر ، هذا وارد . لكن الأمر في مجموعة لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار عربي شامل . لأن النهضة ظاهرة حضارية والعروبية حضارة قبل أن تكون أى شيء آخر . لسنا تكويناً عرقياً ولسنا أمة واحدة ذات رسالة خالدة . ونحن ، وهذا من فضل الإسلام على العرب نتيجة تزاوج وتدخل عناصر جماعات من كافة أرجاء الأرض وأصبحت عرباً وعاشت معنا واستعربت . العرب هم الناطقون باللغة العربية . النهضة حضارة عربية لأن مسلتنا ببعضنا البعض ليس صلة عرقية هي صلة حضارية والنهاية ظاهرة حضارية وبالتالي يجب أن يكون الشغل الشاغل لجميع من يتمنون لهذه الحضارة ويريدون لها أن تجدد شبابها .

هذا السعي يقتضي إشاعة الديمقراطية في المجتمع وتوفير حرية البحث العلمي والإبداع الفنى والترحيب باختلاف الرأى . نحن لا نخشى الاختلاف في الرأى ومصراع الأفكار لولا الاختلاف في الرأى لما حدث تقدم حتى في مجال العلوم الصعبة . ولابد تشتيت مؤسسات المجتمع المدني وتغيير الشفافية فيما

يتعلق بالبيانات والمعلوماتية والقرارات . كل هذا ضروري ولكن كل ما أريد أن أتبه إليه أنه لن تحدث هذه الظروف الديمقراطية تقليدياً أو لأسباب أخرى ثم تبدأ النهضة بعدها ، ولكن المسعى مشترك ، نحن نسعى للنهضة وجزء من النهضة هو وجود الديمقراطية.

وجود الديمقراطية أمر يساعد على النهضة ، وإنه لا يجوز أن نفترض أن نسلك مسلكاً يوحى بأنه ما لا يدرك كله يترك كله . لن تستيقظ في يوم من الأيام فنرى العالم العربي ديمقراطياً من المحيط إلى الخليج . التحول الديمقراطي عملية تاريخية وفيه مد وجزر وفيه إجراءات إصلاحية وإجراءات جذرية . ويجب أن نعود أنفسنا على التعامل مع هذه العملية التاريخية وأن تكون فاعلين فيها لكي تدفعنا إلى الأمام ، لأن يوجد باستمرار خطر العودة إلى الخلف .

النهضة أيضاً لا تصدر بقرار ولا تتم بين يوم وليلة ، ولكنها تضطر وعمل دؤوب ، لتضع أيديتنا من ناحية على التراث ملخصاً من الماضية ومن ناحية ثانية على المد الديمقراطي ، وتتواءج بين المسعين وأن نتغلب من أجل هذا ، وأن تلتفت إلى بعضنا البعض كأفراد عرب لهم اهتمامات ويمكن أن يتواصلوا وليس بالضرورة من خلال النظم والحكومات . لو علقنا على الحكومات ما لا طلاق فلا تنفيذ ، ولكن كلما كان بالإمكان فتح ثغرة ومسلك لتعاون على المستوى العلمي ، المستوى الفلسفى ، على مستوى أعمال الترجمة ، على مستوى الجمعيات العلمية وليس الاتحادات المهنية ، ولكن الجمعيات العلمية التشريعية التي يمكن أن تساهم في هذه النهضة . بهذا يكون الحرص على التواصل والتعاون العربي في هذه المساعي ، تعارف بعضهم ببعض ، وهذا ليس غريباً ، تذكر حين أنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٣٠ وكان مكوناً من ٣٠ عضواً ، كان عشرة من أعضائه غير مصريين كانوا من البلاد العربية . الآن أبسط شيء كان ممكن تصوره لا يحتل اهتماماً من أحد ، اللغة هي الرابطة الأساسية بيننا ، ومع ذلك لا يوجد على المستوى القومي مجمع واحد للغة العربية ككيف يمكن أن تشتمل سبع مجاميع لغوية لتسير وتطور لغة واحدة ، لأننا لم نأخذ الموقف النهضوي الحقيقى الذي يريد بالفعل خدمة اللغة العربية ، وأن المجمع ليس مجرد فقهاء وعلماء كبار ، ولكن تتبعه بحوث في علم المصوتات واللغويات والدلائل ، إلى آخره . وللأسف في مرحلة الاستقلال السياسي انتشر المصراع على كل شيء حتى على المكان الذى كان من الممكن أن يوجد فيه مجمع واحد لغة العربية .

* الشيخ أحمد الاسكندرى والشيخ مصطفى عنانى : الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه . نشر دار المعارف من ١٨٤ Aziz S . Atya "A History of Eastern Chrisitianity" London 1968



العلمانية المؤمنة

- د. ماهر الشريف

- د. كمال عبد اللطيف

- د. فيصل دراج

- سليمان شفيق

«العلمانية المؤمنة»؟

د. ماهر الشويف - دمشق

على قاعدة التمييز بين التحديث البرانى ، من جهة ، والحداثة الجوانية التي تشد العقليات والسلوكيات والعلاقات وأنماط التفكير ، من جهة ثانية ، تتطرق هذه الورقة من أتنا ، كرب ، ظلنا ، بالرغم من كل التغيرات التي طرأت على حياتنا فى القرن العشرين ، أسرى تحديث برانى ، وعجزنا عن تحقيق ثورة ثقافية حقيقة تشيع العقائد وتتحرر المرأة وتحدد اللغة وتشجع التعليم الحديث ، القائم على مناهج التحليل لا التقين ، وتوظف قيم حب العمل والتحكم بالوقت ، ثورة ثقافية تطاول مجال فهم الدين ، تعامل مع العلمانية ، التى لا يجمعها جامع بمعاداة الدين ولا تختزل إلى مجرد الفصل بين الدين والدولة ، لا بوصفها عقيدة ، وإنما باعتبارها مبادئ لتنظيم الاجتماع ، يأتى فى مقدمتها إحلال مفهوم المواطن ، المستقل بشخصيته وتفكيره ، محل مفهوم الرعية ، واعتبار أن الشعب هو مصدر السلطة وأن العلاقة بين الإنسان وربه هي علاقة فردية لا تحتاج إلى رقيب ولا وسيط ، والدعوة إلى الابتعاد عن التكفير ، وضمان حرية التفكير والبحث فى كل المسائل ، بما فيها المسائل الدينية.

وإذ تؤكد هذه الورقة أن إنجاز هذه الثورة الثقافية يمثل شرطاً رئيسياً من شروط تجاوز التخلف والسير على طريق النهوض العربى ، ويلاحظ بان القوى المهيمنة فى هذا العالم ، الباحثة عن عدو جديد بعد انتهاء الحرب الباردة ، راحت تستغل ، وبخاصة منذ أحداث أيلول ٢٠٠١ ، القوات الثقافية العربية ، كى تصور الإسلام على أنه دين متخصص ، ماضى ومنافق على نفسه ، لا يؤمن بمبدأ التفاعل الحضارى الإيجابى مع « الآخر » ، وتنخذ من ذلك ذريعة لزيادة تدخلها فى شؤون بلداننا ، إذ تؤكد ذلك تفترض أن التحديات التى تواجهها تتطلب إحداث قطيعة مع الخطاب الدينى السائد ، ويلاحظ ذلك عن طريق السعي ، مع مراعاة حقائق العصر ، إلى إحياء خطاب دينى تنويرى ، كان له تاريخ فى ماضينا القريب ، وهو الخطاب الذى يمكن أن نطلق عليه اسم خطاب « العلمانية المؤمنة » ، القادر وحده على أن يشيع فى مجتمعاتنا ، وأن يبرز للعالم ، صورة لإسلام متسامح ، منفتح على متطلبات الحداثة، ومدرج فى زمانية العالم ومتفاعل مع حقائقه.

وللتذكير هذا الافتراض ، تعود الورقة إلى خطاب تيار الإصلاح الدينى وتحاول أن تبين طبيعته

العلمانية » ، ثم تنتقل إلى استعراض العوامل التي أدت إلى غروب هذا التيار وخطابه ، وساعدت على بروز الخطاب الديني « الأيديولوجي » ، الذي عبر بتلاوينه المختلفة ، عن قطعة مع خطاب الإصلاح الديني ، وأسهم – ولكن ليس وحده – في إعاقة تحقيق ثورة ثقافية حقيقة تطاول مجال فهم الدين . وتتوقف الورقة ، بعد ذلك ، أمام الدعوة المتصاعدة هذه الأيام إلى « تجديد » الخطاب الديني وتحاول أن تبين قصورها ، ثم تنتقل إلى تحديد طبيعة خطاب « العلمانية المؤمنة » المتجدد ، وتنتهي بالتساؤل عن الآفاق المفتوحة أمام هذا الخطاب ومدى قدرته على احتلال موقع مؤثر في مجتمعاتنا العربية .

وأبدأ عرضي هذا بالإشارة إلى أنه بخلاف موقفي يرى أولهما : أن العلمانية لم تترسخ في المجتمعات العربية لأن الإسلام يختلف عن الآيان الأخرى في أنه « دين ودولة » ، ويرى ثانيهما أنها لم تترسخ لأن الإسلام هو ، من حيث « جوهره » ، دين لا يتوافق مع العلمانية والحداثة ، اعتير بأن الإسلام دين يتعارض مع العلمانية ، التي كان لها تاريخ في مجتمعاتنا العربية في العصر الذي أطلق عليه أليس حرفاً اسم « العصر الليبرالي » . فالملعبون عن تيار الإصلاح الديني ، الذين شكلوا جزءاً لا يتجزأ من الانتلجنسيّة الحديثة ومن حركة التثوير بأسس الحداثة المجتمعية وسبل بلوغها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، تبنوا مبادئ هذه العلمانية وروجوا لها ، وحتى وإن لم يلجنوا بصورة صريحة إلى المصطلح .

فقد دعا جمال الدين إلى إعادة النظر في الإسلام من زاوية العقل وروح العصر ، وسعى إلى تحطيم السد الذي كان قد أقيم ، منذ إحراق مؤلفات فيلسوف قرطبة ، بين الإسلام والفلسفة ، وأكد ضرورة إعادة فتح باب الاجتهاد معتبراً أن الإسلام لا يخالف الحقائق العلمية وأنه لا بد من العودة إلى التأowل في كل مرة يظهر فيها تناقض بين الدين والعلم . أما محمد عبده ، فقد حرر الفكر من التقليد ، ورفض احتكار تفسير النص الديني من قبل فئة واحدة ، ودعا إلى الابتعاد عن التكفير وعن القلو في الدين ، بعد أن أرجعهم إلى الجهل بالإسلام الحقيقي ، وافتتح على الجوانب الإيجابية في الحضارة الغربية الحديثة واعتند بالتألف بين الآيان السماوية . وأشار عبد العزيز الشعالبي إلى أن القرآن يوصي بالتسامح إلى أقصى حد ممكن في الأمور الدينية ، كما يوصي بحرية الفكر واحترام جميع الآراء ، ويستذكر أي اعتداء على المعتقدات ، سواء منها الفردية أو الجماعية ، ويعتبر أن على الناس أن يهتتوا عن طريق الاقتناع الذاتي « فلا يجوز أن تفرض عليهم الآراء ، ولكن الذي ينبغي أن يوجه اقتناعهم هو حرية الاختيار والمقارنة بين الحق والباطل حسبما يملئ عليهم التأمل وإعمال العقل » (عبد العزيز الشعالبي ، روح التحرير في القرآن ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٥ ، ص ٩٨) . وقدر محمد رشيد رضا ، عندما كان لا يزال وفياً لأفكار أستاذته « الإمام » ، أن نهضة المسلمين تحتاج إلى كثير من العلوم والأعمال لكنها تتوقف على « أمر عظيم » ، إن تحصل من دونه ، هو الحرية الشخصية واستقلال الفكر في الموقف من جميع المسائل « بما فيها المسائل الدينية » ، وأكد – بعد أن أشار إلى أنه لا يخاف على دينه من حرية البحث « إلا من لا ثقة له بدينه » – ضرورة احترام المخالفين

بالرأي وإباحة شرعية الاختلاف ، وذلك من منطلق «أن الفلاح متوقف على ظهور الحقائق ، وظهورها يتوقف على استقلال الأفكار وحرية البحث والكتابة والخطابة » (محمد رشيد رضا ، « الحرية واستقلال الفكر » ، المنار ، القاهرة ، المجلد الثاني عشر ، الجزء الثاني ، ٢٢ آذار - مارس ١٩٠٩ ، ١١٣ - ١١٧) . ورأى عبد الرحمن الكواكبي في الاستبداد والجهل السبب الأول للتخلف ، وربط الاستبداد السياسي والاستبداد الديني ، وفضح العلاقة بين الحكام المستبددين والعلماء « المدرسین والجهال » ، وحذر من الخلط بين حقلی السياسة والدين ومن « التجار » بالدين ، ودعا إلى الفصل بين وظائف السياسة والدين والتعليم منعاً لاستفحال السلطة ، وهي الدعوة التي عمّقتها من بعده على عبد الرزاق ، وبانطلاقه من فكرة دينوية كل أنماط السلطة السياسية ، ومن مبدأ التوكيل ، أكد محمد حسين الناشرى ، الذي ارتبط اسمه بثورة « المشروطة » في إيران ، ضرورة أن تتولى الأمة سد مناطق الفراغ في التشريع ، واعتبر أن النظام الدستوري هو أنساب أنظمة الحكم .

باختصار ، أدرك رجال الإصلاح الديني أن الحادثة يمكن أن تشكل قاعدة تقوم عليها المجتمعات الإسلامية ، وبخاصة بعد أن استوعبوا حقيقة أن هذه الحادثة ، التي ولدت في الغرب ورفقتها إسهامات عديدة بما فيها الإسهام العربي - الإسلامي ، قد تحولت إلى مكتسب إنساني ، وأن تملك المسلمين لأسبابها أمر لا يتعارض مع شريعتهم .

غير أن تيار الإصلاح الديني مالبث أن انطفأ ، وحباب الوعد الذي حمله بتحقيق ثورة ثقافية في مجال فهم الدين . وقد يكون من التبسيط القول بأن خيبة هذا الوعد تعود إلى أن الإسلام راح يرتبط بالسياسة ، ذلك أن الأفغاني نفسه كان أول من حاول إقامة هذا الرابط بين الإسلام والسياسة في العصر الحديث . فالواقع أن الخطاب الديني الذي أخذ يتبلور اعتباراً من عشرينيات القرن العشرين قد اختلف كثيراً ، من حيث طبيعة الأيديولوجية ومنظ噗اته الفكرية ، عن خطاب الإصلاح الديني ، وذلك بالرغم من تشارک الخطابين في الدعوة إلى إحياء الإسلام . وقد تبين هذا الاختلاف بين الخطابين ، بصورة جلية ، إثر الانقلاب الذي طرأ على تفكير محمد رشيد رضا ، والذي جعله يتذكر لأفكار أستاذته وللأفكار الإصلاحية التي كان يشيفها هو نفسه في مرحلة سابقة ، كما ظهر ذلك بوضوح في الحملة القاسية التي شنها على عبد الرزاق وطه حسين بعد صدور كتابيهما : « الإسلام وأصول الحكم » و« في الشعر الجاهلي » ، والتي ذهبت إلى حد اتهامهما بـ « المروق » وـ « الترقنج » ، وهو انقلاب وقع في مناخ شهد على الصعيد السياسي تصاعد هجمة الاستعمار الأوروبي على البلدان العربية والإسلامية ، وتغلق الامبراطورية العثمانية واحتقاء « الخلافة » الإسلامية ، وشهد على الصعيد الثقافي والفكري بروز التعليم العالي الحديث مع تأسيس الجامعة المصرية ، وتنامي الصراع بين أنصار الفصل بين الدين والدولة وبين دعوة تطبيق الشريعة الإسلامية ، ويمكن القول بأن هذه الأفكار « النكوصية » لصاحب « المنار » قد شكلت إحدى الركائز الفكرية التي قامت عليها دعوة حسن البا ، الذي اندفع في سيارات تاريخية مستجدة تميزت ، على الصعيد الدولي ، بانفجار أزمة اقتصادية

خطيرة وتنامي النزعات الفاشية والنازية في أوروبا وتزايد استفزاز مشاعر المسلمين في أكثر من بلد ، وعلى الصعيد المحلي باشتداد حدة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وتفاقم الأزمة السياسية ، اندفع على طريق بولادة أيديولوجية إسلامية قامت على أساس الغلو في الدين ورفض الاعتراف بشرعية الاختلاف ، والنظرية الأحادية الجانب إلى الحضارة الغربية ، والدعوة إلى مقاطعة كل المؤسسات الحديثة التي اقتسست عن أوروبا ، وتبني دعوة الحسبة والتتشكيك في صلاحية النظام السياسي القائم على التعبدية الحزبية . واكتسبت هذه الأفكار ، مع سيد قطب ، بعداً أكثر تعصباً ، إذ أنتج هذا الأخير ، وبخاصة في فترة سجنه الطويلة في معتقلات النظام الناصري والتي انتهت باعدامه ، فكراً إسلامياً متشددًا ومنغلقاً ، قام على أساس التقطير القطعي بين الإسلام والفلسفة ، ونبذ الفلسفة العربية الإسلامية وعلم الكلام ، وتكريس الوحدة في التفكير واحتقار تفسير النص الديني من قبل فئة واحدة ، ومخالفة دعوة الإمام محمد عبده إلى اعتبار العقل البشري نداً للوحى وإلى إباحة التأويل.

غير أنه لابد من الاعتراف بأن هذه الأيديولوجية الإسلامية لاتتحمل وحدها مسؤولية إعاقة مهمة تحقيق ثورة ثقافية تطاول مجال فهم الدين ، بل إن المسئولية ، في هذا الصدد ، تقع أيضاً على عاتق المبعرين عن الأيديولوجيتين القومية العربية والماركسيّة ، الذين استخفاوا بأهمية المسألة الثقافية ، ولم يدركوا ضرورة استكمال الثورة التي بدأها ، في هذا الحقل ، رواد النهضة والتقوير . وتتعاظم مسؤولية المبعرين عن القومية العربية بشكل خاص لكونهم قد وصلوا إلى السلطة ، وتتوافت لهم من الناحية الموضوعية الفرصة التاريخية لاستكمال مثل هذه الثورة ، إلا أنهم لم يحققوا ذلك نتيجة التباس علاقتهم بالعلمانية وخلطهم بين حقل الإسلام وحقل القومية ، ووضعهم الديمقراطيّة الاجتماعيّة في مواجهة الديمقراطيّة السياسيّة والشرعية الثورية في مقابل الشرعية الدستوريّة ، واجنؤهم إلى إعلاء شأن حرية الوطن على حساب حرية المواطن . فجمال عبد الناصر ، على سبيل المثال ، الذي هدف إلى بناء دولة ومجتمع حديثين في مصر ، والذي أضاف في مطلع السبعينيات إلى بعدي الثورة السياسي والإجتماعي يعاد ثقافياً ، قصر مفهوم الثورة الثقافية على إشاعة العلم على نطاق واسع في المجتمع ونزع طابعه الطبقي ، ولم يدرك حقيقة أن شبيوع العلم يحتاج إلى بيئة تسود فيها العقلانية في التفكير والحرية في البحث . ومع أنه كان معبجاً بمحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ، وكان نزاعاً إلى روحنة الدين ، إلا أنه بقى حذراً ومتحسباً من ردات فعل القرى التقليدية في المجتمع وداخل المؤسسة الدينية الرسمية وفي أوساط الإسلام السياسي المنافق .

لقد تصاعدت في السنوات الأخيرة ، وبالارتباط الوثيق مع تفاقم أزمة المجتمعات العربية ، الدعوة إلى تجديد الفكر الإسلامي ، وإعادة بعث الروح النقدية والعقلانية والمنفتحة فيه ، وهي دعوة يتبناها اليوم عدد من الباحثين ورجال الدين المثقفين ، الذين يميّزون بين الدين ، من جهة ، والفكر أو الخطاب الديني ، من جهة ثانية ، أو بين الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية ، فينتظرون إلى الأولى على أنها متعلالية ومفتوحة على المطلق وإلى الثانية على أنها تاريخية ومتنوعة ،

عرف هذه العلمانية بيتها ، إذ تدعو إلى فصل الدين عن الدولة ، لاتتنفي الدين بل تؤكده على أن السلطة هي شأن بشري ومصدرها البشر ، وأن البشر أحرار في التشريع لأنفسهم . وفي نص قوله في ندوة عقدت في مدينة حلب في العام الماضي ، طور السيد الأمين أفكاره حول هذا المفهوم ، حيث لحظ بدأ ، وجد فهم غير دقيق من الإسلاميين أنفسهم لمفهوم العلمانية ، ونقص في المتابعة وفي الفهم للمحتوى العلماني للإسلام من قبل العلمانيين أنفسهم . فالعلمانية ، وكما رأى ، مشتقة من العالم ويتأسس على أن الحقيقة ليس مصدرها شيء آخر غير العالم نفسه ، وأن السلطة في المجتمع تقوم أيضاً على قاعدة أن العالم هو مصدر الشرعية . وفي نظره ، فإن العلمانية ليست موقفاً من الدين بداته « ليست موقفاً إيجابياً من الدين بداته ، لكنها أيضاً ليست موقفاً سلبياً من الدين بداته ، وإنما هي اتجاه نحو تحرير الإنسان من الحكم باسم السلطة الإلهية ومواجهة الادعاء بأن هناك من يحق له أن يحكم وأن يصدر البشر باسم الحق الإلهي » . إن الإسلام دين علماني ، كما يؤكد الأمين ، لأنه يشتق الحقيقة البشرية التاريخية والاجتماعية من هذا العالم ، ويعتبر العلم مصدراً لها ، ولأن الوحدانية الربانية التي يدعوا إليها لها معادل موضوعي على هذه الأرض هو حرية الكائن الإنساني ، التي لا يمكن أن تتحقق إلا خارج كل أشكال الاستลاب وعلى رأسها الاستلاب الديني ، « فإذا كان الوحي هو مصدر المعرفة الغيبية ، فإن العلم والمعرفة وكذا الإنسان من أجل تملك المعرفة هو المصدر الوحيد لمعرفة عالم الشهود ، أي التاريخ والإنسان والمجتمع ». ولأن كدح الإنسان الرامي إلى اكتشاف الحقيقة لا يتوقف ، فهذا يعني أن الإسلام « لم يكتمل ، وهو لن يكتمل في التاريخ مادام الإنسان قائماً ومطالباً بالإبداع ، دون أن يعني هذا التقليل من أهمية القاعدة التاريخية التي تجسد الوحي القرآني ، من جهة ، والسننة النبوية ، من جهة ثانية ». ويشدد العلامة محمد حسن الأمين ، في الختام ، على أن على المسلمين اليوم ، كي ينهضوا ، أن يعيدوا الاعتبار إلى عوامل ثلاثة : الأول هو العقل ، الذي تمت مصادرته ، والثاني هو الحرية ، التي تم خنقها « علمًا بأنها العنصر الأساسي في بنية العقيدة الإسلامية » ، والثالث هو استعادة علمانية الإسلام نفسه ، داعياً المسلمين إلى الإقرار بأن «الحقيقة الإنسانية يصنعها العالم بصورة مشتركة ، وأنه لا توجد حقيقة إسلامية ، وحقيقة غربية ، وإنما توجد حقيقة إنسانية واحدة» (السيد محمد حسن الأمين « وجهات نظر في موضوع العلمانية المؤمنة » ، مداخلة غير منشورة ألقيت في ندوة « تيار الإصلاح الديني ومصائره في المجتمعات العربية »، المصدر المذكور).

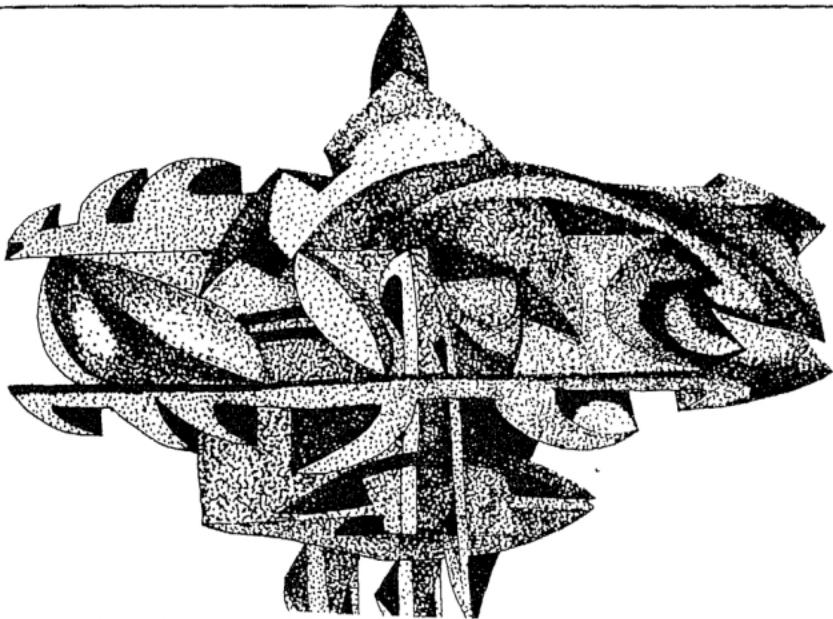
والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ماهي حظوظ نجاح هذا الخطاب الديني التوتيري المعاصر ، وهل سيكون في وسعه أن يطلق إصلاحية إسلامية حديثة تدرج ، بعد أن تراعي ظروف اليوم ، في الخط العام الذي اختطته « العلمانية المؤمنة » التي روج لها كل من جمال الدين ومحمد عبده وبعد العزيز الشاعلي وبعد الرحمن الكواكبى ومحمد حسن الثنائى وغيرهم ؟ الواقع ، أن حظوظ هذا الخطاب في النجاح في تحقيق هذا الهدف تبدو ضئيلة إلى الآن ، وذلك لأن السلطات الحاكمة العربية ، ب مختلف تلاوينها ، لاتترك مساحة في أجهزتها التربوية والثقافية

ويتقددون الخطاب الديني التقليدي الذي يرفض التأويل ويلغي العقل لحساب النص . وبهذا البعد التاريخي فيه .

فقد أكد الشيخ خليل عبد الكريم أن تجديد الفكر الديني يتم ، في الأساس ، عن طريق تأويل النصوص الأصلية الأولى وتفسيرها بالارتباط مع الواقع التاريخي « الذي نزلت إليه » (بالنسبة إلى القرآن) والذى وردت فيه (بالنسبة إلى السنة) ، والسعى من أجل « المعاة بين هذه النصوص الأولى وبين الواقع الذى يعيشه المسلمين اليوم » معتبراً بأن الصورة التى رسمتها هذه النصوص ليس مطلوبها التزام بها أو التشكك بهيئتها ، لأن « هذه صورة تاريخية من المجال أن تعمد ، ولكن فيما وراثها تتبع مبادئ وقيم هي التي على المخاطبين استخراجها فى كل زمان » . وطرح الشيخ الراحل شرطين رئيسيين للنجاح فى تجديد الفكر الدينى ، هما : التخلى عن الوجوهية فى التعامل مع النص ، والاعتقاد بتاريخية الوحي وتحوله إلى « واقعة إنسانية » لأن الوحي اختار مخاطبة الناس بلغتهم ، كما تناول واقعهم المعاش - غزوتهم وأحوالهم الاجتماعية والشخصية - وأجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم وحل مشكلاتهم » (خليل عبد الكريم « مفاتيح تجديد الفكر الدينى الإسلامى » ، صوت الوطن ، نيسانيا ، العدد ٤٣ / ١٥ ، ١٩٩٣ / ٤ ، ص ٢٢ - ٢٥) .

ووالرغم من أهمية مثل هذه الدعوة إلى تجديد الخطاب الدينى ، إلا أنها تظل قاصرة ، في ظني ، عن الإحاطة بالبعد المجتمعى لمسألة إعادة النظر فى خطابنا الدينى ، وهي قد تخلق الانطباع بأنه من الممكن تجديد هذا الخطاب من دون إدخال تغير جذرى على بنائه ، وهو تغيير مرتبط بما أسمته إحداث ثورة ثقافية فى مجال فهم الدين . وما يعزز تحفظى هذا أن هناك اليوم من يتبين ويمارس هذه الدعوة التجددية من بين أصحاب الخطاب الدينى التقليدى نفسه . فالواعظ الإسلامي عمرو خالد على سبيل المثال ، يطرح ، وكما يلحظ أصف بيات ، خطاباً دينياً جديداً فى شكله ، لكن أفكاره تظل تتسم بسمة المحافظة ، ويفتقرب إلى الجدة . ومع أن أسلوبه الخطابي خلاق ، إلا أن جانبه الإيمانى « نصى تماماً ويفتقرب إلى البعد التاريخي ، كما يفتقر إلى البعد العقلى والنقدى فى التأويل » . ففى مسألة الحجاب ، مثلاً يرسى خالد « عقة المجتمع على عقة النساء » و « عقة النساء على حجابهن » ، ولما كانت النساء السافرات مشجعات على الرذيلة ، وفقاً لهذا المنطق ، فإن « الحجاب الكامل من أعلى الرأس إلى أخصن القدم فرض فى الإسلام » (أصف بيات « من عمرو ديب إلى عمرو خالد : الدرع والثراء والشباب المصرى » ، مداخلة غير منشورة ألقاها فى الندوة العالمية التى نظمها المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ونسقتها علينا ماهير الشريف ، بعنوان « تيار الإصلاح الدينى ومصائره فى المجتمعات العربية . بمناسبة الذكرى المئوية لرحيل الإمام عبد الرحمن الكواكبي » ، حلب ، ٣١ آيار - ١ جزيران ٢٠٠٢) .

ومن هنا ، كان تأكيدى على ضرورة الإشارة الصريحة إلى العلمانية ، بوصفها مبادئ حديثة لتنظيم الاجتماع ، لدى الحديث عن إعادة النظر فى الخطاب الدينى ، وتحبيبى لمفهوم « العلمانية المؤمنة » ، الذى كان قد بدأ الترويج له منذ سنوات قليلة العلامة السيد محمد حسن الأمين ، الذى



و الإعلامية كى يشغلها هذا الخطاب ، ولأن أصحابه لا يستدون إلى قاعدة اجتماعية واسعة بين جمهور المؤمنين ، بل لاتزال دعوتهم بمثابة صرخة مثقفين و رجال دين معزولين ، في ظروف تتميز بافتقار الحريات ، لاسيما حرية التعبير والتفكير والبحث ، وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، وتعذر مسيرة السلام الشامل والعادل في المنطقة نتيجة استمرار السياسات العدوانية والتوسعية لحكام إسرائيل ، المدعومة من سياسات الغطرسة وجبروت القوة – والكيل بمكيالين – الأمريكية ، وهو ما يغذى في مجتمعاتنا الدعوات إلى الانغلاق والتقوّق على الذات ، وينمى العداء للغرب ويُسّوِّغ المسعى الرامي إلى مواجهة الحادثة بالوجه الهيمي والاستثنائي لها الغرب .
ومهما يكن من أمر كل هذه المعوقات التي تعترضه حالياً ، سيبطل هذا الخطاب الديني التبويـي ، خطاب العقل والحرية وعلمانية الإسلام ، يمثل أحد المداخل المفضية إلى نهضة العرب .

* إشارة

استندت هذه الورقة ، بالإضافة إلى ما ذكر من مصادر ، إلى :

ماهر الشريف ، رهانات النهضة في الفكر العربي ، دمشق ، دار المدى ، ٢٠٠٠ و «كيف ساهم انطقاء الإصلاح الديني في تعرّض مشاريع النهضة العربية » ، الطريق ، بيروت ، العدد الأول ، السنة ٦٠ ، كانون الثاني – شباط ٢٠٠٢ ، ص ٦ - ٢٧ ، و مشروع الإصلاح المجتمعي لدى عبد الرحمن الكواكبي » ، المصدر السابق ، العدد الخامس ، السنة ٦١ ، أيلول - تشرين الأول ٢٠٠٢ ، ص ٧١ - ٨٦ .

سؤال العلمانية

واقع وآفاق - ١ -

د. كمال عبد اللطيف

«لا يمكن إرغام أحد بالقوة أو بالقانون على امتلاك السعادة الأبدية،

سبينوزا

«حين يحدث التلاعب بالدين يتحول إلى قوة سياسية مخيفة»

محمد أركن

تتوخى المعلميات المتضمنة في هذا البحث ، إنجاز عمليات تفكير في واحد من أكثر مفاهيم الفكر السياسي العربي التباسا ، سواء على مستوى اللفظ والرسم والجذر اللغوي ، أو على مستوى الدلالة المباشرة أو الدلالات المختزنة ضمن تلaffيف طبقات معانيه العديدة المترتبة بفعل الزمان ، تقصى بذلك مفهوم العلمانية .
ورغم المصووبات الكثيرة التي يثيرها المفهوم في مجال الخطاب السياسي العربى المعاصر . وذلك بحكم استعمالاته المترجنة ، والمشحونة بالأحكام المسبقة . فقد حاولنا مقاربته بالاستناد إلى السياقات الفكرية والتاريخية ، التي ساهمت في تشكيله وتطوره ، وتساهم اليوم في محاولات تطوير معانيه ودلالاته . في ضوء تحولات السياسة والتاريخ .

وإذا كانت نهى جيداً صعوبة البحث والتفكير في المفاهيم السياسية ، بحكم ارتباطها بإشكاليات التاريخية والسياسية الواقعية ، حيث تتجه المفاهيم لبلورة المواقف والاختيارات ، داخل جدليات التاريخ الحى ، فإننا لا نستطيع نفي النتائج التي يمكن أن تؤدى إليها عمليات تفكيرنا وإعادة تفكيرنا في هذه المفاهيم . بل إن غايتها البعيدة من وراء هذا العمل . هي المساعدة في إضافة محتوى المفهوم وإضافة ما يرتبط به من قضايا أخرى ، بالصورة التي تجعل تبيئته وتوطينه في الجدل السياسي العربي أكثر إنتاجية ، وأكثر قدرة على فك مغفلات كثير من إشكالات واقعنا السياسي ، فكراً وممارسة .

لقد استند تفكيرنا في محاور هذا العمل إلى مقدمة كبرى ، تربت عنها أثناء البحث وبعده مجموعة من النتائج ، التي تتمى أن تتبع إمكانية لتطوير البحث في موضوعه وفي المجال المرتبط به .

تمثل هذه المقدمة في وعيينا بالدلالات النسبية التاريخية والمفتوحة لفهم العمانية وهو الأمر الذي يعني إمكانية تطوير المفهوم بتوسيع وإغفاء دلالاته ، ففي ضوء التغيرات التاريخية الكبرى التي عرفها الفكر الإنساني ، في ضوء تحولات السياسة ، وتحولات المجال السياسي ، يتبين دائماً العمل على تجديد النظر السياسي وتطويره ، وفي هذا السياق لا يصبح استخدام مفهوم العمانية في الجدل السياسي مرتبطة بدلالات متجردة مغلقة ونهائية ، بل إن استخدامه يتحوال إلى مناسبة لإعادة إنتاجه في ضوء أسلمة المجال السياسي المحلي ، وأسلمة المجال السياسي الذي تبلور في إطاره ، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى تركيب كثير من الواقع ، التي تفترض أنها تدعم بعض معطيات المفهوم ، وتتجاوز بعض معانيه لحساب عملية في الفكر ، قادرة على توليد دلالات جديدة مستوعبة للتغيرات المجال السياسي في أبعاده المختلفة .

فليست علاقات السياسي بالبيئي بالعلاقة الرياضية ، ولا يمكن تحويلها إلى علاقة حسابية مغلقة ، إنها مجال قابل للتغيير والتخطي ، بصورة وأشكال لا يمكن حصرها كما أن مستوياتها المتباينة قابلة للاستثمار الرمزي من طرف القوى السياسية المتصارعة ، وفي قواعده التاريخ من الأدلة ما يثبت ويؤكد ما نحن بصدده .

صحيح أن المفاهيم تراكم معطيات محددة ، لما يمكن أن نطلق عليه ثوابت الدلالات وأسس المعنى ، بل الأصل في المعنى . إلا أن هذه الثوابت تكون في مجال المفاهيم السياسية والإشكاليات السياسية مشحونة بمعانٍ قابلة دائمة للتغيير والتحوّل والتبدل ، أي قبلة لبناء أصل يتجاوز الأصول ، أصل يسكت عن الأصول القديمة ، أو يبني بذاته وبخاصة عندما تحصل متغيرات حاسمة في التاريخ ، بفعل الثورات أو الأحداث الكبرى الفاصلة التي تقع في التاريخ بحيث يصبح مبدأ المراجعة مطلباً ضروريأ ، لتجربة دوغمائيات الفكر ، التي تحول المفاهيم إلى أوثان ، وتنقلها من عامل مساعد على حسن إيقان التفكير ، إلى عائق من عوائق التفكير .

في ضوء هذا التصور المعرفي ، البديهي والعام ، حالونا التفكير في زستلة مفهوم العمانية في الخطاب السياسي العربي وقد سمح لنا هذا التصور بتجاوز مجرد استدعاء المفهوم بحملته الأنوارية ، أي بالمعنى التي استقر عليها في فكر القرن ١٨ ، وهي المسورة التي اعتمدت كخلفية ناظمة لآراء فرق أنفسن ومقالاته التي ستنطلق منها في هذا البحث ، حيث حاولنا إنجاز هذه المحاولة في إعادة النظر في معانٍه المتعددة ، بهدف تحبيبها وتعين قسماتها الجديدة ، في ضوء المتغيرات الحاصلة في التاريخ العام .

سمحت لنا هذه المسلمة المركزية في بحثنا بتجاوز الواقع الحدي في النظر إلى العمانية ، موقف الرفض أو القبول ، وهي الواقع التي تترخبط في المعارك السياسية القائمة ، بهدف التحسين بموقع سياسي محدد ، ويفعلنا إلى المساعدة في التفكير في الواقع النظري ، التي حالت وما زالت تحول دون تركيب جهد في الفكر السياسي ، قادر على تطوير نظرنا إلى المفهوم .

وهذا يمكن أن نشير إلى أن التفكير في العمانية ، في مجال التداول السياسي العربي ، وفي ضوء المسلمة المذكورة موضوع هذه المقدمة الأولى ، يقتضي توسيع دائرة السجال السياسي ، ليشمل ثلاثة مجالات كبيرة مترابطة فيما بينها ، إلا أنها تتطلب جهداً في البحث . ينظر إليها مؤقتاً بصورة مستقلة ، يتعلق الأمر بال مجالات الآتية .

التفكير في إعادة بناء النظر السياسي

التفكير في علاقات الدينى بالدينوى ، علاقات المقدس بالتاريخى .

تترابط المجالات المذكورة فيما بينها ، وتنفتح فى الآن نفسه على أسلة لاحصر لها ، فلا يمكن التفكير فى العلمانية واستخدامها فى مجال المصراع السياسى خارج دائرة التفكير فى السياسي ، وبالذات فى استقلال المجال السياسى عمما عاده ، فلم يعد المجال السياسى فى الفكر السياسى الحديث مرهوناً لا بالأخلاق ولا بقيم التعالى ، كما أنه أصبح يعنى علاقات المعقدة بالطوبىوى والتاريخى . إن له قواعده وأصوله ، وهو يتطرق ضمن آليات نظرية وتاريخية خاصة.

أما ما يتعلق بمجال النظر السياسى فى الفكر العربى ، فإنه يتطلب بدوره التفكير فى تقد المنظمات المرجعية المهيمنة ، منظومات الحداثة ومنظومات التراث . إضافة إلى مواصلة العناية والاهتمام بعلاقات التصورات السياسية الواقئ ، وعلاقات الواقع بالتصورات والمفاهيم السياسية ، وكل ذلك بهدف بناء الفكر السياسى المستوعب لتجارب التاريخ الواقعية والحياة بالمستويب فى الآن نفسه لأسلة المحلي والخاصوصى فى ارتباطها بواقع التاريخ .

وداخل هذه الدائرة ، ينبغى التفكير فى علاقات السياسى بالدينى ، علاقة المقدس بالتاريخ فى أبعاده المختلفة ، وخاصة منها علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع ، حيث يتضمن السياسي فى مستويات معقدة ، مستويات نفترض أنها مثئها فى ذلك مثل كل حواشى وظواهر التاريخ ، موسوعة بمختلف ، ثورات المعرفة والسياسة والتكنولوجيا ، حصلت وتحصل فى عالمنا المعاصر .

إننا عندما نفتح سؤال العلمانية على ما ذكرنا ، نفتحه فى العمق على سؤال الحداثة السياسية ، بمختلف إنجازاتها ، وبمختلف الإشكالات التى ما فتئت تطرحها فى قلب عمليات تحولها المتواصلة وهنا يجد الموضوع فضاءً الفكرى التاريخي المناسب ، حيث يمكن أن تتشكل التصورات . وتبني المعانى والدلالات القادر على استيعاب ما جرى ويجري فى الواقع ، والدقى به فى السياق المساعد على تطوير النظر السياسى العربى .

لا يمكن إذن التفكير فى مفهوم العلمانية وأسئلتها فى الفكر السياسى العربى ، خارج إطار التفكير فى الإشكاليات النظرية والتاريخية ، المرتبطة بموضوع كيفيات انفراص الحداثة السياسية فى واقعنا وفي فكرنا ، ففى هذا الإطار بالذات ومن خلاله ، علينا إلى قراءة مساهمة فرح أنطون ومساهمات التكىرى تأثراً ، بهدف التفكير

فيما لم تتناوله بالبحث ، ونقصد بذلك كتابات فرح أنطون فى الفكر العربى المعاصر .
إذا كانت فى هذا البحث ننطلق من مسلمة رئيسية توجه طريقنا فى البحث ، ونفتح موضوعنا على الأسئلة التى ترتبط بـ مجال التفكير فى أسلة العلمانية ، وأسلة المجال السياسى العربى (المقدمة الأولى) فإننا ننطلق أيضاً من نقطة ارتكان تنصية نعتبرها عالمة أساسية فى باب قراءة وإعادة قراءة صيرورة وتطور مفهوم العلمانية فى الخطاب السياسي العربى ونقصد بذلك كتابات فرح أنطون (المقدمة الثانية) .

ستنطلق إذن فى هذا البحث من التصورات والمواقف التى بلورتها جهود فرح أنطون (١٨٤٧-١٩٢٢) وذلك لاعتقادنا بأن مرور قرن من الزمان على دعوه ، لم يحقق فى النظر السياسى العربى ما يتتجاوزها تماماً ، فاللقة السياسية الجديدة القديمة ، التى عادت إلى الواجهة الفكرية فى العقدين الأخيرين ، ترجع بنا إلى أزمنة فكرية

موقفة في القدم . وتضع كل مكاسب تاريخنا السياسي الحديث فكراً ومارسة في خانة «التفريب» والاختراق الثقافي ، لنعود فنكتشف مرة أخرى ، أن كتابة فرح أنطون تتحدث لغة أقرب إلينا من لغات أخرى تختلط فيها اللغات ، ويتجزأ فيها منطق العالجة الأيديولوجية بالمنطق السياسيولوجي بالملوّف السياسي الظريفي بلا تمييز ولا تمييز ، فتضيع الصور وتختلط المفاهيم ، وتتعدد علينا الرؤى في النهاية فنتبه ... وعلل هذا حالتنا اليه ، قبل منة سنة، استطاع فرح أنطون أن ينشئ في الثقافة العربية المعاصرة مقالة تتمتع بامتياز صفاء الرؤى ووضوح القصد وسلامة الترسيل، كما تتميز بلغة غير معهودة في متون القرن التاسع عشر وهم تعود قراءة نصوص الأفغاني ومحمد عبد وقبليهما الطهطاوي وغير الدين التونسي ، سيدرك القوارق الكبيرة بين لغات هؤلاء الذين ذكرنا ولغة فرح أنطون سواء في مستوى الشكل أو البنية ، أو في مستوى المحتوى والحملة الفكرية ومنطق التحليل والبرهنة والإثبات.

قلنا قبل قرن من الزمان ، وبمناسبة الماظرة الشهيرية بين فرح أنطون ومحمد عبد على صفحات مجلتى «الجامعة» و«المثار» (١) وعندية ، فرح بابن رشد والرشدية ، أنتج فرح مقالات دافع فيها بحماس قوى على مكاسب فلسفة الأنوار ، وبعض مفاهيم الفلسفة السياسية الحديثة ، في موضوع فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية وجاءت مقالاته في سياق جعلها أشبه ما تكون بالظرفية المفاجئة. صحيح أن مقالة الطهطاوى (١٨٧٤-١٨٨١) فى تخلص الإبريزى فى فضاء الفكر السياسى العربى بطرقتها الخاصة لتهجى أبيجدية المرجعية فى معرفة أحوال المالك كانت تمهدان فى فضاء الفكر السياسى العربى بطرقتها الخاصة لتهجى أبيجدية المرجعية السياسية الليبرالية والتعلم منها(٢). إلا أنها لم تبلغا شاو ما بلغته المقالة الأنطونية من وضوح فى الرؤى وفي القصد، ومن كفاءة عالية فى الاستيعاب فقد بلورت المقالة المذكورة وبدون مبالغة لحظة استثنائية ضمن صيغة تشكل الكتابة السياسية الجديدة. فى الفكر العربى المعاصر ، درجة أنه انطلاقاً منها تحدث مؤرخو الفكر العربى المعاصر عن التيار العلمانى كمقابل للتيار السلفى فى الفكر الإصلاحى الحديث(٣) حيث أصبح مفهوم «علمانية» يشير إلى كل المثقفين الذين يتبنون جوانب من المنظومة السياسية الليبرالية . رغم أن جهد فرح لم يواكب فى الثقافة السياسية تياراً فكريًا قطلياً ، قدر ما انتج أفقاً فى النظر السياسى ، ظل فى حاجة إلى التطوير والبناء ، وهو اليوم فى حاجة إلى التجاوز الخلاق والمبتكر ، التجاوز الذى يعنى حدود أدوار ووظائف الفكر السياسى فى التاريخ ، وفى التاريخ السياسى بالذات.

ما يؤكد ما نحن بصددده ، المواقف المباشرة التى اتخذت من هذه المقالة تقصد بذلك مواقف صاحب «المثار» والأبعاد التى اتخذتها وهى تحضن ريدو الشيخ الإمام تبلورت ملامحها الأولى فى التقابل الذى نفترض حصوله بين جمال الدين الأفغاني وشبلى الشمائل ، وذلك اثناء دفاع الثانى عن نظرية التشوّه والارتقاء ، ورد الأول على من أسماه بالدهرين فى رسالته الشهيرية فى الرد على الدهرين ويستطيع تأكيد التقابل المذكور عندما نعرف من الرسالة المذكورة ، أن جهة الدهرين فى الفكر الغربى تتضمن فلاسفة الأنوار والاشتراكيين الطوباويين ودعوة نظرية التطور «قهولاً هم الذين يمثلون فى نظر الأفغاني ، وفي نص الرسالة المذكورة ، صورة الغرب الغازى الغرب الذى يهين لاحتلال الأرض ونشر الفساد ، ويتجه لاختراق الأديمة والضمائر ببشره للقيم المادية ، قيم الإباحية والإلحاد وخراب العرمان.

وعندما تدافع «الجامعة» عن أعلام التوبيه من فلاسفة القرن الثامن عشر ، ويتبني شبل الشميملي المبادئ النظرية العامة لفلسفه النشوء والإرتقاء ، تكون أيام توجه في الفكر يوصي بالمنزع التغريبي ومقابله تنشأ جبهة الدعوة إلى التثبت بالعقائد والأصول الذاتية ، لتحصين الذات من غزو الفرازة القاتمة . ضمن هذا الأفق التاريخي والنظري ، وتتأسس لحظة إنشاء فرح لمقالاته في الدفاع عن العلمانية وهي في الحق لحظة تروم بلورة جوانب من المنظور السياسي الليبرالي . انطلاقاً من مسألة مفصلية داخل هذا المنظور منقصد بذلك مسألة تعين حدود ومجال السياسي في علاقته بالمجال الديني(٤) .

علمانية فرح أنطون: ملابسات السياسة والتاريخ

لجدال في أن تصوّر فرح أنطون في موضوع العلمانية ، ترتبط بملابسات تاريخية سياسية مهمة وهي ملابسات لافتفيها تصوّره ولا تصوّر أولئك الذين يناظرونه ، يتعلق الأمر بموضوع الدعوة إلى» الجامعه الإسلامية » بموضوع الأقليات التنصريات في المشرق العربي ولأن الأمر كذلك فإن الحدود التي اتخذتها المسألة معقولة ومفهومة ، سواء ضمن سياق جهود تطوير الكتابة السياسية العربية المعاصرة . أو ضمن إطار التفكير في كيّفيّات المواجهة بين مقتضيات التبشير بالجامعة الإسلامية وسط مجتمعات من بين سماتها التنوع العقائدي .

وقدتمكن فرح أنطون من خلال تبنيه المنظور الفلسفى الوضعي ، أثناء دفاعه على ضرورة استقلال السياسي عن الدين(٥) ، أن يتجلّوا الشحنة الدينية المباشرة بحديثه عن وحدة الجنر الميتافيزيقي للأديان متوجها نحو بناء تصوّر سياسي الأولوية لكل ما هو ديني . وذلك بالاعتماد على قوانين التاريخ بما يلورتها الفلسفة الوضعية في القرن التاسع عشر مع كفافة في حسن التنازه مع محاوره ، بلغ ذروته في دفاعه عن ضرورة احترام الأديان ، واحترام المقويس الدينية بعد استخدامها في المغارك السياسية والتاريخية . وذلك بحكم أن روحها المتعالية والملائمية ، تقتضي أن نرتفع بها عن متطلبات المغارك الأرضية ، معارك السياسة والتاريخ .

كانت جهود كل من الطهطاوي وخير الدين التونسي وقد واكبته في المستوى السياسي الواقعى جهود دولة محمد على ويعضّ بآيات تونس الذين اشتغل معهم خير الدين التونسي قد ارتبطت بذروه استيعاب «التنظيمات» داخل المجتمعات الإسلامية ، باعتبارها رسيلة من وسائل امتلاك التمدن وتنظيماته (مؤسساته الحديثة) . إلا أنها لم تفكّر في العقائد والفلسفات السياسية المؤطرة لمصيرورة تشكيل وتتطور هذه المؤسسات . أما مقالة فرح أنطون فقد اتجهت نحو الفلسفات والمفاهيم الناظمة لها ، وأعانت بالفاهيم الكبير المؤسسة العقيدة الليبرالية منقصد بذلك الدفاع عن الحرية والمساواة وفصل الدين عن الدولة والدفاع عن التسامح والمواطنة . وبغير ذلك من المفاهيم التي عمل فرح على بناء خطابه السياسي بالاستعانة بها . مؤسساً كما قلنا مقالة جديدة بمرجعية جديدة ، داخل دائرة الفكر السياسي الناشئ في ثقافة النهضة العربية .

حيث سيأتي إنتاج مقالة فرح ، المتمثل في المناظرة المشار إليها آنفاً . انتقال وجهة الجدل من موضوع تاريخ اضطهاد المسلمين والنصارى للعلم والfilosofie ، وذلك بمناسبة الحديث عن ابن رشد وفلسفته ، إلى موضوع النهضة وتجاذب التأثير ، وذلك بحكم أن الإشكالية المركزية الموجهة لروح الفكر إذ ذاك ، كانت تستدعي ذلك ، إلا أن اتساع مجال التفكير في الاصلاح السياسي والنهضة الشاملة أضاع جزءاً من الشحنة السياسية القوية التي فجرتها مقاربة فرح أنطون للموضوع ، وربما لهذا السبب ولأسباب أخرى كثيرة ، لم تنتج مقالاته ما يطير الرؤية أو يقدم

التفكير فيها وفي القضايا المرتبطة بها، فقد ظلت المناظرة مجرد هامش مفتوح على إشكال كبير، لم تتمكن من تعميق النظر فيه، ولا بناء وتركيز أسفلته الأساس، وهو الأمر الذي ترك سؤال العلمانية قائماً ومعلقاً، بل مسكته عنده في ثقافتنا السياسية المعاصرة.

ومنذما تحدث اليوم عن راهنية نصوص فرح في الدفاع عن العلمانية، فإننا نزيد تسجيل مفارقة من مفارقات النظر السياسي في الفكر العربي المعاصر، ذلك أن ظاهرة «الصحوة الإسلامية» تتخلّى في مواقف وأراء كثيرة من تيارتها عن الموقف التوفيقية التي بنتها سلفية محمد عبده، أثناء سجالها مع دعاوى فرح أنطون، وهي الدعاوى التي لم تكن تخرج في إصدار أحكام وتسسيطر مواقف قد لا يمتلك البعض اليوم القدرة على إعلانها والنطق بها من هنا بالذات، تأثر راهنية مقالة فرح، فعندهما يكتب الاستاذ فؤاد زكريا مقالة في العقد الأخير من القرن العشرين في الدفاع عن العلمانية، معتبراً أنها ضرورة حضارية^(١) (١) وعندهما يعتبر حسن حنفي أن «الإسلام بين علماني في جوهره»^(٧) (٧) يرتفع صوت فرح متقدّثاً عن مبررات الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية^(٨) (٨) فتثير نصوصه بوضوحها ووضوح قصتها، أسطلة كبرى تتعلّق بعواوين النظر السياسي، في الفكر وفي الممارسة السياسية، في العالم العربي.

يعتبر معترض على ما نحن بصدد توضيحه وإبرازه، فيشير إلى أن معارك الفكر السياسي العربي متقطعة على أكثر من جبهة، وذلك بحكم خصوميات تاريناها المعاصر. ولعله يقول إن المعارك الفكرية الكبرى قد لا تحل في المدى الزمني المتوسط، بل يلزمها مدى زمني أطول، لتمكن من بلورة ما يسمع بتجاوز قيد الفكر القديم. إلا أن هذه المبررات لا تكفي لقبول مراواحة الخطى في الفكر السياسي العربي بحيث تظلّ كثيرة من الأسئلة المهمة قائمة، وحيث يشهد حاضرنا أشكالاً من الردة تجاه تراجعات لا يستثنى المرء أن يتبنّى بحدوها، ومعنى هذا أننا مطالبون بمزيد من البحث في إخفاقنا السياسي المتواصل، ومزيد من البحث فيما لم تتمكن من صياغته من الأسئلة والأجوبة في المجال السياسي العربي.

من المناظرة إلى المحاكمة: جهود متقطعة في الدفاع عن العلمانية

لماذا إذن لم يتمكن الفكر السياسي العربي من تركيب وبناء ما يطور المقالة العلمانية الأنطونية؟ بل لماذا ما زال مفهوم العلمانية يحمل دلالات قدرية، دلالة «الشبيهة» في الفكر العربي المعاصر؟ نجد أجوبة أولية على هذه الأسئلة في سياق تاريخ مفهوم العلمانية، كما تم تبلوره في الفكر العربي المعاصر، فقد أثبتت مواقف رشيد رضا من «الجامعة» وصحابها جانبها من النخبة الدينية، في مطلع القرن التنصري وتم إنشاؤه وتوظيف قراءة معينة للتراث السياسي الإسلامي لواجهة دعوة فرح أنطون، ولم يتوقف الأمر عند هذا فوجدنا لاحقاً أن نص الشیخ على عبد الرانق «الإسلام وأصول الحكم» قد لمصيراً مماثلاً، بل إن الأمر بلغ درجة تقديميه للمحاكمه بإضافة إلى النصوص المضادة التي كتبت في الرد عليه وهي نصوص تجلّى فيها كثير من العنف الرمزي، الذي ينتظر كل من يحاول صياغة الأسئلة المسکوت عنها في الفكر العربي المعاصر، وخاصة منها أسئلة المقدس في علاقاته بالتاريخ. لقد حاول على عبد الرانق (١٩٦٦-١٨٨٨) في «الإسلام وأصول الحكم» ضمن شروط تاريجية جديدة، الرد بطريقة غير مباشرة على أطروحات محمد عبده في جداله مع فرح أنطون، كما واجه الداعين إلى إحياء مؤسسة الخلافة، بعد أن أعلن مصطفى كمال أتاتورك (١٩٢٨-١٨٨١) التخلّي عنها^(٩) (٩).

ولم يكن على عبد الرازق في نص «الإسلام وأصول الحكم» يرفض الخلافة في ذاتها بل إنه اتجه للإقرار الصريح، وهذا هو الأساس في نصه بضرورة الاحتكام في مجال السياسة إلى «أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة» (١٠) وهنا بالذات تلتقي جهوده في الفهم والتعقل مع نتائج مقالات فرح، حيث يعتمدان معاً في تصوبيهما رؤية جديدة في النظر إلى الشأن السياسي، رغم أنهما لم ينتحجاً ما يؤسس هذه الرؤية تأسياً نظرياً متماسكاً، باستثناء معطيات المانح المذكورة، التي تضمنت اجتهادات فرح، وهي معطيات تشير وتشير أكثر مما تبني وتؤسس بمعطيات نص التفكير في أصول الحكم في الإسلام، وهو نص لا يمكن بقراءاته المختزلة للتاريخ السياسي في الإسلام من اختراق حجب تاريخ مقدد، تاريخ لم تفرز ملامحه الواقعية والقصبة، بالصورة التي يتken من تشخيص وقد مختلف مظاهره السياسية والعاقنية، دون أن تعنى هذه الأحكام أكثر من محاولة في المعاينة المباشرة الراسخة للأثار النصية الشاهدة.

عكست النصوص التي قدمتها بصورة مختزلة طموحاً علمانياً يارزاً، وهو طموح يعبر عن مواجهة أصحابه لتجارب تاريخية ونماذج نظرية محددة وضمن سياقات لا يتبين إغفالها.

ولا شك في أن كتابة فرح أنطون وعلى عبد الرازق تقدم لنا نماذج لكتابية سياسية في زمن اتسعت أبعاده وحدها، فاليمكن الفصل بين كتابة فرح والمنظومة المرجعية الليبرالية في بعدها الأنواري، ولا كتابة فرح ومناخ الهيمنة الإمبريالية كما لا يمكن فصلها عن صراع الأقليات العربية المسيحية في الشام في نهاية القرن التاسع عشر.

إلا أن هذا المعطى -مسألة صراع الأقليات- لا يمكن أن يكون في نظرنا مؤشراً كافياً لفهم آلية فكرية تتجه للدفاع عن فصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية في المشرق العربي.

إن المسألة الأساسية التي تهمتنا في سياق هذا التحليل، هي إبراز محدودية النموذج النظري المرجعى المستخدم في معالجة فرح لمسألة الفصل بين السلطتين السياسية والدينية وعلى عبد الرازق في دفاعه عن دينوية الخلافة والملك في الإسلام.

ولا نقصد بالحدودية هنا التقليل من قيمة هذه النصوص، أو التقليل من أهمية الأفق السياسي التي افتحتها في باب الكتابة السياسية العربية. إننا نذكر في المحدودية في بعدها التاريخي المخصوصي، لتتمكن من رؤية نتائجها وأفاق هذه النتائج داخل دائرة الشرط التي مكتتها من البروز، ثم ساعدت لاحقاً على تهميشها وتقليلها عمق تعلقها في الكتابة السياسية العربية في الزمن الذي تلتها. نحن نذكر في الحدود، إننا لتعينا اليوم على إعادة التفكير في آثارها، في إطار الوعي الشامل بالمستجدات السياسية والتاريخية والتي ستشكل بدون شك حدود تأملاتنا الراهنة.

ورغم الجهود الفكرية الجزئية، التي تواصلت متباشرة في فضاء الفكر السياسي العربي المعاصر، فإن الثقافة العربية لم تنتج النظر السياسي المؤصل للاختيارات الليبرالية في الفكر وفي الممارسة، فقد شكلت الدول العربية في أغلب الأقطار العربية بمظهر الدولة الوطنية، كما عرفها التاريخ الأوروبي الحديث. واقتضت ذلك رياح التأثير التي فرضتها مستلزمات المرحلة الاستعمارية، إنشاء المؤسسات المماثلة للمؤسسات القائمة في المجتمعات الغربية، لكن منظومة القيم السياسية، ظلت مقيدة بكثير من معطيات المرجعية التقليدية، وهي معطيات لا علاقة لها بالظاهر

المؤسسية الجديدة ، فتخرج عن ذلك ازدواجية في الواقع وفي الفكر(١١) ، طفي فيها الجانب التقليدي المحافظ ، على كل الارهاسات الفكرية المفتوحة على المرجعية الفريبة ، فضاعف هذا من غرية هذه الارهاسات الجديدة ، وهو الأمر الذي قلل من جنونها وفاعليتها المرتبطة ، في إمكانية إنتاج مثاقفة سياسية مخصوصة بقادرة على تطوير مجال الفكر السياسي العربي.

لم تثمّر مراقبة فرح أنطون إنما يطور النظر إلى مجال السياسي في الفكر العربي المعاصر ، ولم تتمكن المراجعة التاريخية المختزلة لأصول الحكم في الإسلام على عبد الرزاق ، من مواجهة تلك الموروث السياسي بما تتبادر في هذه التجربة وبمعنى هذا أن معركة العلمانية ما زالت مفتوحة في الضوء السياسي العربي ، مثل ما هي مفتوحة بأشكال أخرى في مناطق أخرى في العالم ، بما فيها الغرب الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك دون أن تحدث عن الجغرافيات الأخرى وخاصة منها بعض القضايا الأسيوية ، التي تثير فيها إشكالات المقدس في علاقتها بالتاريخ وبالمجتمع قضايا تستحق البحث والعناية .

٢- إعادة بناء مفهوم العلمانية في الفكر السياسي العربي

ستستطيع القول دون مجازفة إن التوجه العام للاختيارات السياسية والفلسفية المتضمنة في الآثارين المذكورين (رسوم المناظرة وكتاب الإسلام وأصول الحكم) ، كان معاصرنا بجملة من العوائق النظرية ، إضافة إلى العوائق التاريخية المتمثلة في الشروط المجتمعية التي واكبت ظهورهما ، وواكبت أيضاً للرد عليهما ، ثم السقوط عنه ، بحكم أن هذا التوجه (تجوه الفكر في الصين) يخترق سقف المرجعية الذاتية (نقل تجارب الآخرين والنسخ على منوالها).

ولأن مجرى التاريخ العربي قد ولد في الواقع معطيات سياسية مركبة ومتناقضة فقد عملت الدولة الوطنية الناشئة ، في مختلف الأقطار العربية ، على إقامة هدنة عجيبة بينها وبين النظر السياسي التراشى بحيث عملت على المزاوجة بين إقامة المؤسسات العصرية في مستوى التنظيم السياسي والإداري والاقتصادي (التنظيمات بلغة القرن ١٩) وهو ما يندمج ضمن دائرة التدبير العقلاني للمصالح العمومية . والاحتماء في الوقت نفسه باللغة السياسية التقليدية ، ضمانتاً لاستمرار هيمنتها ، ويدفعاً عن استمرارية تاريخية تعلن حراستها للتقليد ، ودفعاً في الان عينه من مقتبلات العصر.

ولأن الأفكار في التاريخ تتبع باستقلالها التسلبي ، عن مجريات الواقع والحداث في سريانها العادي فقد تمكّن الفكر السياسي العربي من بلوغ مشاريع في النظر تتجاوز المرجعية السياسية التراشية ، وتتجاوز أيضاً البنية المحافظة لدولة الحداثة والتقليد . وفي هذا السياق نظر على جهود فكرية تروم إبراز أهمية وضرورة المثاقفة الالزامية لحدث الفكر والمجتمع العربي ، فقد دافع عبد الله العروى وعثمان جعبي ومحمد أركون ونونايف نصار بكل بطيقته الخاصة ، على ضرورة إعادة بناء النظر السياسي في الفكر العربي المعاصر ، وشكلت جهودهم المركبة والمتكلمة والمعبرة في الان نفسه عن روح عصرنا محاولات في إضفاء واهنية على مراقبة فرح أنطون ، في الدافع عن المطلانية(١٢) .

لا يتعلق الأمر باستعادتهم لمنطق أو لمحني النص الأنطوني ، في المناظرة الساعية لإبراز أهمية العلمانية في تجاوز عوائق التأثير السياسي العربي القائم ، ذلك أننا نعتقد أن كييفيات معالجتهم للإشكاليات السياسية في الكتابة العربية المعاصرة تختلف كثيراً عن زاوية المقاربة الأنطونية . كما أن المسافة الزمانية الفاصلة بين تصووصهم

ونصوص فرح أنطون وقد تجاوزت الان ثلاثة أرباع القرن ، قد شهدت من التغيرات والمعطيات ، ما مكن هؤلاء من بلورة مشاريع في النظر السياسي متجاوزة للبادرة التي أطلقتها فرح أنطون قبل قرن من الزمان .

فقد كانت إشكالية عبد الله العروي تروم التفكير في الاخفاق السياسي العربي من زاوية أكثر شمولاً وبهذا جاء دفاعه عن الحداثة والفكر التاريخي عبارة عن محاولة للبرهنة على أهمية الاستناد إلى التاريخ في فهم التاريخ . ومن هنا عنايته الفائقة بالتاريخ المقارن حيث لا يمكن استيعاب الظواهر التاريخية المجتمعية الثقافية بموضع الدرس دون مقارنتها بما يماثلها هنا وهناك . إضافة إلى تسليمه بأهمية الإنجاز الشفافي الغربي حيث لم يكن يتخرج في النجاع المستحب والتواصل على لزوم التعلم من دروس الحضارة الغربية ، بحكم أنها تمتلك اليوم زمام المبادرة التاريخية الجارية وعلى أكثر من صعيد(١٢) . وفي هذه التقاطة بالذات يتحدث العروي لغة فرح ، وهو يمنحك لغة هذا الأخير الراهنية التي تتحدث عنها ، ويتجاوزها في الان نفسه حيث أنسس ويوسّس في فضاء الفكر العربي المعاصر رؤية نقدية تستند دعوة فرح أنطون ، بالاعتماد على معطيات جديدة ونحن نتعثر في قراءة الأخيرة لتوفيقية محمد عبده في كتابه «مفهوم العقل» ما يتم أيضاً جوابه من المناظرة التي لا تكون فقط بين الأحياء وهم يواجهون نصوص بعضهم ، والتي لا تتوقف أيضاً بعد موته أو موته بعضهم ، بل إنها تتواصل بين نصوص الأموات والأحياء بحيث يشكل نقد العروي لتفويقية محمد عبده(١٤) وجهاً آخر من أوجه الجدل المتواصل في الفكر العربي المعاصر . بين الاختيار الديكالي للتباش بمقومات الحداثة الغربية والتيار السلفي الذي يتخذ صوراً مختلفة ، لكنها لا تتجاوز مجتمعه مهما تنوّعت فصائلها وأراؤها سقف الدافع عن الاستمرارية التاريخية ، المحافظة لنقاء ذاتي متخيّل . وذلك رغم كل ظواهر التحول العنيفة التي تجرّت البنيات والمؤسسات والذهنانيات داخل المجتمع العربي . ومنذ ما يزيد على قرن من الزمان .

يمكن أن نتوقف أيضاً قصد المزيد من التمثال ، أمام جرأة هشام جعيط في دعوه الصريحة والمبشرة إلى العلمنة ، وهي الدعوة المشحونة بتناقضات فكرية ، تتجه لإنجاز مشروع في التأصيل النظري والتاريخي للمجال السياسي في الفكر العربي ، بل للمجال الحضاري العربي الإسلامي برمته . إن عمق نظراته لعلاقة الإسلام بالغرب ، علاقات الذات في صيوريتها التاريخية بتأصيل المشروع الحضاري يمكنها تبلور في الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر ، تعبير عن هذه البعيد ، الرامي إلى إنجاز عملية مثاقفة نقدية ، يمكن بإمكانها توسيع مجال الوعي التاريخي العربي ، وذلك عن طريق استيعاب مكاسب الحضارة المعاصرة في مختلف تجلياتها وأبعادها ، ودون أي تذكر لقوميات الذات ، أو تفريط فيها(١٥) .

كما يمكن أن نشير إلى اتجاهات ناصف نصار الفلسفية الرامية إلى بناء خطاب فلسفى سياسى جديد ، مستطبع لأسلمة التراث السياسي الإسلامي وإشكالات الحداثة السياسية وبروح نقدية(١٦) . إلا أن الجهد الأبرز في هذا المجال هو المحاولة الفلسفية الجنرية ، التي ما فتئت تتتطور وتختنق في مشروع نقد العقل الإسلامي عبر كتابات محمد أركون(١٧) .

محمد أركون : نحو توسيع دلالات مفهوم العلمانية

إننا نعتبر أن تعبير محمد أركون عن الانقطاع الحاصل في الفكر السياسي العربي أثناء حدوثه عن غياب أي متابعة لجهود على عبد الرازق ، في تشخيص وتشريح علاقة الإسلام بتأصيل الحكم ، يدل على وعيه الحاد بضرورة

التفكير مجدداً في الطمانية والمشروع السياسي الليبرالي في الفكر العربي المعاصر ، وذلك بالعودة إلى قراءة تاريخ الفكر السياسي الإسلامي قراءة نقدية (١٨) .

ويسمن هذا الأفق يمنع أركون لجهود كل من فرح أنطون وعلى عبد الرانق إمكانية لتطوير ما دشنا القول فيه ، وقد تضمن اجتهادات في هذا الباب مساهمة ، عملت على إعادة تركيب مفهوم العلمنة حسب متطلبات الظرفية الراهنة ، سواء في مستوى الفكر العربي ، أو في مستوى المشروع السياسي الحداثي الغربي .

لم يتبنّ محمد أركون المزعزع التقريبي الوضعي ، الذي أطر رؤية فرح أنطون ولم يتبنّ تارخانية عبد الله العروى التي دافعت عن حتمية الملاقي بين الذات والآخرين حتى عندما تقرن بالتبني في المجال الفكري ، رغم أنها تعد جزءاً من مسلماته الضمنية كما أنه لم يكتف ببناء التصورات السياسية النقدية كما فعل ناصف نصار ، في مصنفه الأخير «منطق السلطة» (١٩) . ولو أنه لا يمكن أن يرفض في ظرفنا نتائجها ، بل إنه اختار طريق التقدّم الفلسفى الجذري ، متوقفاً بصورة رئيسية عند مفهوم العلمنة بالذات ، محاولاً تشريح المرجعية الأنوارية للمفهوم ، ومحاولاً إبراز محوريتها التاريخية بحيث لم يتمكن الغرب الحداثي في نظره ، رغم كل ثوراته في السياسة والمعرفة والتاريخ ، من استبعاد حضور المقدس في التاريخ ، ملوّناً بالآوان مختلفة ، ومعنى هذا بناء على تحليات محمد أركون أنه يمكننا إعادة تأسيس مفهوم العلمنة في ضوء المتغيرات المذكورة ، مع لزوم الاستفادة من مكاسب البحث الافتري بولوجي في موضوع المقدس . ووسسيولوجيا الدين . ودورس الفاسفة السياسية الحديثة . وغير ذلك من الظواهر المتواصلة في التاريخ الكوني ، لتتمكن من بناء مشروع في النظر السياسي العلماني المطابق لمتغيرات ومعطيات ، تتجاوز المعطيات التي ساهمت في صياغة المفهوم في صورته الأنوارية ، في القرن الثامن عشر (٢٠) . وهي الصورة التي اعتمدت مقالة فرح أنطون أثراً رسماً للملامح النظرية الأولى للمفهوم في الكتابة السياسية العربية المعاصرة .

وقد دعا في سياق حفره الفلسفى في مفهوم العلمنة ، إلى بناء ما أطلق عليه اللامفكـر فيه في موضوع ومفهوم العلمنة . أي القضايا التي سكت عنها التصور الأنوارى في موضوع العلمنة وبصورة لا راعية ، وهو الأمر الذى تترتب عنه بالضرورة إمكانية إنجاز بعض التعديلات على المفهوم ، لصلحة إعادة بنائه ، بالصورة التي تجعله مطابقاً لمتطلبات التغير الجارى، سواء في مستوى الفلسفة السياسية ، أو في مستوى المعطيات السياسية الفعلية والواقعية الحادثة في التاريخ .

يواجه محمد أركون موضوع الدين والسياسة في المجال السياسي العربي ، في حاضرنا وفي عصورنا الوسطى بآدوات منهجية جديدة ، تمكنه من إعادة ترتيب معطيات المجال المدرّس بصورة جديدة .
لгинحل إشكال العلمنة في المجال السياسي العربي في نظره ، لا في تبني المفهوم على علاقته ، ولا في رفضه له بحكم أنه يتعلق بتاريخ مفابر ، ومعطيات تاريخية تخص الآخرين ، بل إنه يحاول التفكير فيه انطلاقاً من رصد معطياته في الواقع في صيغته ، وانطلاقاً من المرجعيات الفكرية المحددة والمعينة لمحاجة . وفي هذا الإطار نتبين

في بحثه جهداً في إعادة التأسيس والبناء تفترض أنه يساهم في ابتكار أبعاد جديدة تتعلق بال الموضوع ، وهو الأمر الذي يكشف عمق معالجة الباحث للإشكاليات الجديدة المرتبطة بالمفهوم ، سواء في فكرنا السياسي ، أو في الفكر السياسي الغربي.

بأى معنى تشكل هذه المساهمات في النظر إلى العلمانية عملاً يتجه لتحقيق أطروحة فرح أنطون ، ويعندها راهنية متقدمة ؟

إننا لا نعتقد أن الدقّاع عن قوة راهنية مراقبة فرح أنطون عن العلمانية تكون في استعادتها كما هي . أو باستعمال حججها ومنطقها في البرهنة والاثبات ، فسيّاق إنتاج نصوصه لم يعد وارداً في الصيغة التي تشكل بها في نصوص كل من "الجامعة" و "المنار" ومعارك "الجامعة الإسلامية" ، والجامع الديني والقومي ، كما تشكل في نهاية القرن الماضي ، ومن هنا فإن راهنيتها المطلوية كما تتصورها وتقتربها ، تتحدد في مواصلة التفكير في المفهوم على ضوء المستجدات التاريخية ، وانطلاقاً من مكاسب الفلسفة السياسية الحديثة والمعاصرة ونتائج مباحث العلوم الإنسانية في الدين وفي القدس ، في التاريخ وفي المجتمع . وكذلك على ضوء واقع الصراع السائد في المجتمعات العربية الإسلامية اليوم ، الصراع الأيديولوجي والصراع السياسي ومتظاهراته الدينية ، بمختلف الصور والأنماط التي مافتتت تختذلها.

بهذا المعنى يحضر فرح أنطون في نصوص محمد أركين وهشام جعيط وناصيف نصار وعبد الله العروى . كما يحضر في أعمال باحثين آخرين ، رغم أن أعمال بعض من ذكرنا أسماءهم تتضمن انتقادات صريحة للنصوص فرح . فالعبرة هنا بالافق النظري الجامع . والأفق المستوعب والنافذ بطريقة جديدة لمسار سياسي في النظر ، ينبعي العنایة به ، وتطوير أشكال مقابليته ، من أجل إنجاح مطلب فصل السلطة السياسية عن سلطة المقدس ، ليتمكن البشر من تدبير علاقتهم السياسية بوسائل التدبير البشري الدينية والتاريخية ، وهو أمر يمكن أن يحصل هنا وهناك ، في الماضي وفي الحاضر ، بغض النظر عن نوعية العقائد الدينية.

إن المضمر المقصود هنا - حضور مقالة فرح في إنتاج المتأخرین - لا يتحدد بصورة تنصية ، كما لا يتحدد بطريقة إيجابية ، إنه الحضور النافذ ، حيث يتم استيعاب المنجزات والمكاسب النظرية الحادة فرح أنطون - لحظة ابتكاق المفهوم - وتركيب ما يتجاوزها في الوقت نفسه .

بهذا المعنى تُفتح المساهمات النقدية الجديدة ، التي تروم إعادة بناء مفهوم العلمانية في الفكر السياسي العربي راهنية لنصوص فرح أنطون ، وهي تتجزء فعلاً مناصر مساعدة على إعادة بناء محظى المفهوم في صيغته الكونية ، وخارج دائرة الثنائيات التقليدية التي تميز بين الشرق والغرب ، بين النصرانية والإسلام ، وبين المقدس والديني.

الهوامش

- ١- فرح أنطون ، ابن رشد وفلسفته مع نصوص المناقضة بين محمد عبد وفرح أنطون رقم (٢) المؤلفات الفلسفية قدم لها د. أدونيس الفكرية ، دار الطليعة ، بيروت . ١٩٨١
- ٢- راجع قرائتنا لأعمال الطهطاوي وخبير الدين التونسي ضمن كتابنا ، التأويل والمناقشة ، نحو تأصيل فلسفي للنظر السياسي العربي ، المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٨٧ صفحات ٤٠ - ٧

- راجع على سبيل المثال كتاب هشام شرابي ، المثقفون العرب والغرب ، دار النهار بيروت ط ١١ ص ٧٨ - ٩٥ .
- ٤- راجع دراستنا ، مفهوم العلمانية في الخطاب السياسي العربي ، الجنود الآفاق ، ضمن كتابنا ، التأويل والمفارقة ، ص ٧٧ - ١٠٩ .
- ٥- حصر فرج أنطون ميررات الفصل بين المسلمين الدينية والذين يؤمنون في القضايا الآتية :
- اطلاق الفكر الإنساني من كل قيد خدمة معتقداتهم .
 - الرغبة في المساواة بين أبناء الأمة ، مساواة مطلقة بقطع النظر عن مذاهبهم ومعتقداتهم .
 - ليس من شئون السلطة الدينية التدخل في الأمور الدينية لأن الأديان شرعت لتدير الآخرة لا لتدبر الدنيا .
 - ضعف الأمة واستمرار الضعف فيها ، مادامت جامدة بين المسلمين الدينية والدينية .
 - استحالة الرحلة الدينية ، راجع ابن رشد وفلسفته ص ١٤٤ - ١٥٠ .
- ٦- د. فؤاد زكريا العلمانية ضرورة حضارية ، كتاب قضايا فكرية ، الكتاب الثامن أكتوبر ١٩٨٩ . سلسلة كتب يشرف عليها الأستاذ محمود أمين العالم ص ٢٧٢ - ٢٩٤ .
- ٧- راجع د. حسن حنفى و د محمد عابد الجابرى ، حوار المشرق والمغرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٠ ص ٣٩ .
- ٨- راجع ابن رشد وفلسفته ص ١٤٤ (مرجع سبق ذكره)
- ٩- راجع قرأتنا لنص الإسلام وأصول الحكم في كتاب ، التأويل والمفارقة ص ٨٧ - ٨٩ .
- ١٠- يقول على عبد الرزاق ، ص ٨٩ « فالخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية كلاً ولا القضاء ، ولا غيرهما من وظائف الحكم ورموزها ، وإنما تلك كلها خطط سياسية لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ، ولم يذكرها ولاتهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكم العقل وتعارب الأم وقواعد السياسة ، كما أن تدبیر الجيوش الإسلامية وعمارة المدن والغزو ونظم الباورين لأشان للدين بها ، وإنما يرجع فيها إلى العقل والتجرب ، أو إلى قواعد الحروب أو هندسة المباني وأآراء العارفين » الإسلام وأصول الحكم ص ١٨٢ .
- ١١- راجع تأملات هامة لقهمى جدعان في كتابه الطريقة إلى المستقبل المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٩٦ ص ٢٠٩ - ٣٤٢ .
- ١٢- راجع مقالتنا ، من سؤال العلمانية إلى أسئلة الحداثة السياسية ضمن كتابنا العرب والحداثة السياسية ص ٢٨ دار الطليعة بيروت .
- ١٣- راجع بحث ، درس العروى حول المشروع الأيديولوجي التاريخي ، ضمن كتابنا درس العروى في الدفاع عن الفكر التاريخي دار الفارابي بيروت ٢٠٠٠ .
- ١٤- خصص العروى في كتاب الأخير مفهوم العقل ، مقالة في المفارقة دراسة مهمة عن محمد عبده ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٦ صفحات ٢٣ - ١٦٦ .
- ١٥- راجع كتابي هشام جعيط .
- La Personnalite et devenir arabo - Islamiques, ED : Seuil 1974.



- L'EUROPE et l'Islam. Collection Esprit/ Seuil 1978.

١٦- راجع كتابه الأخير منطق السلطة، مدخل إلى فلسفة الأمر دار أمواج ١٩٩٥

١٧- حول المشروع النقدي لمحمد إركون يمكن الرجوع إلى مقالتنا محمد أركون والنقد الجذرى للتراث فى "العرب والحداثة السياسية" ص ٩٦ - ٩١ (مرجع سبق ذكره).

١٨- راجع كتابه الهام:

Pour une critique de la raison islamique ED: Maisonneuve et la-rose Paris 1984, page 159.

١٩- راجع منطق السلطة الفصل السابع صفحات ١٤٣ - ١٨٤ .

٢٠- راجع positivisme et tradition dans une perspective islamique le kemalisme

٢١- المراجع السابق ص ٩٣ - ٩٤



العلم والدين والتلقيق

د. فيصل دراج

مقارقة مؤسية تفصل العالم الإسلامي اليوم ، والعالم العربي جزء منه ، عن بقية البشرية . فكلما تقدمت البشرية في البحث العلمي وإنجازاته التقنية تقدم الدين في العالم الإسلامي ، «محولاً» إلى «الإسلام» نرداً ، إلى علم جديد غريب . لايمس السؤال ، بداعه ، الإسلام ، فهو موروث حضاري جليل ، مثمناً أنه لايمس الإيمان الذي كان ، ولابزار ، ضرورة إنسانية . ذلك أن السؤال يقوم كله في إنتاج إسلام مزعوم يعادى العلم وينهى عن العقلية العلمية . فإذا كان في العلم مايتحقق بقدرات الإنسان الخلاقة ومايعد صياغة المجتمع والطبيعة ذاتهاً إلى المستقبل ، فإن الأيديولوجيا الدينية الجماهيرية الموسعة تشنل في الإنسان إبداعه وتزهد بالمجتمع والطبيعة وتلتقط إلى ماض متوهם ، أو مخترع ، كما لو كانت قد أخذت على عاتقها أحد أمررين : إما إنقاء الحاضر في أسلنته العقدة والاكتفاء بالماضي المفترض ، أو إلغاء الحاضر والماضي معاً وتأهيل الإنسان كي يذهب إلى الموت .

في تقديميه لكتاب بيرفرز هوبويو : «الإسلام والعلم » يقول محمد عبد السلام الباكستاني الحاجز على جائزة نوبل في الفيزياء والمعروف بإسلامه ، بأمررين : إن البلاد الإسلامية هي الأشد ضعفاً في المجال العلمي في العالم كله وأن هذا الضعف له أخطار هائلة ، لأن مستقبل الشعوب اليوم مرتبط بتقدمها العلمي والتقني . فالعلم في ترجمته التقنية قوة منتجة اقتصادياً وأساس التقدم الاجتماعي كلـه ، وسلطـة فاعـلة في الأغـراض العسكريـة ، وأداـة تروـيض الطـبيـعة والـسيـطرـة عـلـيـها ، ويعـرف أصـحـابـ الـاخـتصـاصـ سـطـوةـ «الـحـربـ الجـوشـومـيةـ» الـتـيـ تـسـتـطـعـ استـتصـالـ شـعـوبـ كـامـلـةـ فـيـ سـنـوـاتـ قـلـيلـةـ . ومعـ أنـ الـكـثـيرـ مـنـ الـعـربـ ، مـتـأـسـلـمـينـ أـمـ مـسـلـمـينـ ، يـتـحـذـونـ الـيـومـ عـنـ «ـثـورـةـ الـعـلـومـاتـ» فـانـ كـلامـهمـ بلـاغـةـ مـؤـسـيـةـ لـأـكـثـرـ ، لـأـنـهـ يـخـلـطـونـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـتـجـارـةـ ، بـعـدـ أـنـ فـاتـتـ بـلـادـهـمـ جـمـلةـ الـثـورـاتـ الـتـيـ

أفضت إلى «الثورة العلموماتية» مثل الثورة العلمية الكلاسيكية ، التي بدأت في القرن السادس عشر ، والثورة الصناعية والثورة العلمية - التقنية ..

يعطي تعبير : «أسلمة العلوم» صورة عن الأيديولوجيا الدينية المعادية للعلم ولتاريخ العلم في التاريخ الإسلامي في أن . فهذا التعبير الهجين يشق العلم من الدين ، علمًا أنهما حقاً مختلطان تماماً ، ويحول الدين إلى علم للعلوم .. وهو في هذا يقع في خطأين كبيرين : يستبدل بالموضوعي المعياري ، حافظاً الواقع والقياس والتجريب ومكتفيًا بـ «الإيمان» ، ويستبدل بالكوني الخاص ، ملغيًا قوانين المعرفة العلمية ، التي لا تختلف إلى جنس أو دين أو عرق أو لون . بل أنه يأخذ بمنطق طائفى متخصص ، يضع العلم الإسلامي في مواجهة العلم المسيحي ، علمًا أن المختبرات لجنسية لها ، بقدر ما يضع «العلم المؤمن» في مواجهات علم غير مؤمنة أو ضعيفة الإيمان .

تشتق أيديولوجيا «أسلمة العلوم» العلمي من الديني ، متجاهلة كلياً الواقع الثقافي الذي يحضر على المعرفة ، ذلك أن العلم يرد إلى الثقافة لا إلى الأرواح المجردة . وهي في هذا تستبدل بالدينىيى الشخص التوايا المؤمنة ، وبالعلمانى المجرد إيماناً لاتحدى فيه . ومع أن التعبير الهجين يحتوى بالعلوم وهو يتحقق بالإسلام ، فإنه يتد العلم شاهراً سيف الإسلام المفترض على الدينىيى والعلمانى والمجتمعى والتارىخى ، أى أنه يحجب أهدافه السياسية والأيديولوجية وراء شعار جليل ، أو هكذا يبدو ، يمنع الحوار أولاً وينهى عن التناقض وحوار الثقافات . ومن الغرابة يمكن أن هذا الشعار المتassلم يتناسى كلياً العلوم التى أنتجها المسلمين الأوائل . التي كانت علوماً كونية ، وإلا لما اعترف ولا انتفع بها أحد ، والتي كانت أيضاً أثراً لافتتاح العلماء المسلمين على علوم اليونان وفارس والهند وغيرها من البلدان . وعلمه من العبىث الحديث عن علم رياضى إسلامى، يتوجه المسلمين ولا يتوجه غيرهم ، وعن فنزياء خاصة بال المسلمين .. ومن العبىث أكثر أن هذه العلوم لا وجود لها اليوم ، ذلك أن علوم الرياضيات والفيزياء والكميات وغيرها من اختصاص بشر لا يقولون بـ «أسلمة العلوم» ولا بـ « المسيحية العلوم» أيضاً.

لاتقصد «أسلمة العلوم» إلى إنتاج الفلوم ، الذى يبدأ بسياسة علمية ولا ينتهي ببنية تحتية خاصة بالاكتشاف العلمي ، إنما تقصد إلى تعين الإسلام فى ذات علم للعلوم ، قائمة بإسلام - مثال ، ينطوى على العلوم التى اكتشفت وعلى تلك التى لم تكتشف بعد . وإن يكون هذا الإسلام المخترع إلا مرجعًا لإيمانية مقلقة ، يجعل تأويل الوجود قواماً على الوجود والإطلاقية الصارمة بديلاً عن البحث والاكتشاف . ذلك أن علم العلوم لا يقبل بالمعرفة النسبية وبدأ الشك والقياس والاختبار، متىما أنه لا يقبل بالجزء والمتحول ، أى أنه يقوض مبادئ التفكير العلمي ، ولهذا ، فإن أيديولوجيا «أسلمة العلوم» تحيل على أيديولوجيا تلقيفية ، تعادى العلم باسم العلم ، وتقاتل ضد كل تصور علمي للعالم ، متتبعة إلى «فولكلور العلوم» ، الذى يميز العقليات الفقيرة القريبة من السحر والشعوذة أكثر من أى شيء آخر . بيد أن الأمر ، فى وجه آخر له ، ليس كذلك تماماً . فلو صدر هذا العنوان فى سياق تعبير فيه «المجتمع الإسلامي» بتسارع وكثافة إنجازاته العلمية، لبدا الأمر مفهوماً ، لأنه يحيل أنذاك على « غيبة المنتصر» ، الذى يطلق اسماء على المواضيع جميعاً ، لكنه ثما وصعد فى زمن صعود «الصحوة الإسلامية» ، التي أعرضت عن أسلمة الأدب والفنون وقامت بـ إلغائهما ، ولم تستطع

الإعراض عن العلم فطالبته بـ « أسلمنتها ». كان الأسلامة المقترضة رغبة ذاتية يملئها مرجع ديني أعلى ، يود أن يحصل بين المسلمين وغيرهم ، بقدر ما يود أن يحصل العلم الإسلامي عن العلوم الشريرة . إن شعار « أسلامة العلوم » تلقيقي ، في التحديد الأخير ، فلا هو أثر لتصور ديني قويم ، ولا هو امتداد لتصور على ، إن لم يكن يكتفى على « فولكلور ديني » ، منتهياً إلى تصور فولكلوري للعلوم . والسؤال الذي يطرح الآن : أليس هذا الشعار استطالة لأيديولوجيات سلطوية ، كما فعل ضياء الحق في باكستان ذات مرة ؟ أليس فيه ماليبي حاجات أيديولوجية سلطوية متعددة ؟ والسؤال لا غرابة فيه طالما أن الاستعمال الذرياعي للدين قابل للتطبيق على السلطات والمعارضات الدينية في آن ؟ فالآولى ، كما الثانية ، تأخذ بعموميات أيديولوجية غير قابلة للاختبار والتبييق . كان تقول السلطة بوحدة العلم والإيمان ، وأن تقول سلطات قائمة ، أو محتملة ، بأسامة العلم . يجب البلاغة المتسلمة مادها مكتفية بلغة لاقتبال الاختبار ، تتصلب أميراً للمؤمنين ضعيف الإيمان في بلد ، وتخلق « مؤسسات العلوم الإسلامية » في بلد يشكو معظم سكانه من الأمية .

منذ هزيمة حزيران ، أو بعدها بقليل ، تحول « الإسلام » إلى عنصر ثابت وأساسى من عناصر الأيديولوجيا السلطوية . لكن هذا الإسلام المقترض ، وقد اندرج في عناصر أيديولوجيا أخرى ، يتخفّف من المعنى الحقيقى للدين ، منتهياً إلى أيديولوجيا دينية سلطوية ، توسيغ وتبير وتوطيد موقع السلطة . لكنه تعين على السلطة المتسلمة ، التي لا تزيد أن تستعيده عدل عمر بن الخطاب ، أن تبرهن عن إسلامها عن طريق النفي ، وذلك في إتجاهين : أن توزع إسلاماً شكلانياً ، أقرب إلى « التدروش » بسخاء لانتظار له ، وأن تخضع أجهزة الإعلام السمعية - البصرية في خدمة الإسلام السلطوي ، وأن تخضع في المناهج المدرسية تصوراً دينياً ، بريء أن « الخطرين المتوازنين خطان لا يلتقيان إلا بإذن الله » . وأن تقصر تعبير « العلماء » على رجال الدين لا على العاملين في العلوم الطبيعية كما تفعل الدول المتحضررة ..

أما الاتجاه الثاني فيتجلى في التطهير من الديمقراطية والعلقانية ومن اعتبار كلمة العلمانية إثما ورذيلة ، وفي العمل المجتهد على إطفاء الثقافة مقدمة أساسية لانطفاء السياسة . وما تعبير « أسلامة العلوم » ، الذي يقول بكل يلتهم الأجزاء ولا يعترف بالاستقلال الذاتي للعلوم ، التي لا توجد إلا في استقلالها ، إلا صورة لجتماع كلاني ، لا يعترف بالأفراد والحوارات ولا بالنسبي والمجزئ . عندها تصريح « أسلامة العلوم » ، التي تلغي العلوم وتوطد التسلّم ، متساوية لـ « أسلامة السلطة » التي تؤمن بديمومة السلطة أكثر مما تكترث بمعنى الإسلام .

يفضي الاستعمال الذرياعي للإسلام إلى تأسلم السلطة ، التي تجتهد بدورها في أسلامة المجتمع . ينتهي الظرفان معًا إلى « الفولكلور الديني » ، الذي يؤسلم العلوم ويجعل من الإسلام علمًا للعلوم . ولعل هذا التسلّم ، الذي يتوزع على السلطة والمجتمع ، هو الذي يجعل البلدان الإسلامية الأكثر ضعفاً في مجال البحث العلمي ، كما أشار عالم الفيزياء الباكستاني . توسيع السلطة بالدين ماتشاء ، موطدة مواقعها وناظرة إلى بيومية مفتوحة ، ويسوغ المجتمع بالدين جهله وقدرته ، إن لم ير في « الإيمان الجاهل » وسيلة تميزه من الغرب العلمي « الملح » و« المادي ». لهذا يصبح « القرآن الكريم » ، وهو كتاب إيمان وتهذيب وتأمل ، مرجعًا للفيزياء والكيمياء وعلم الفلك ، بل يصبح « خسوف شمس

» ، كما حصل قبل سنوات قليلة، مناسبة لتبني صلابة «العلوم الإيمانية» وهشاشة «العلوم الدينية». فالفيزياء، في النهاية، كما يرى المسلمين علم ديني، والديني واهن القيمة قياساً بالديني، مما يجعل «علوم الشافعى» أكثر أهمية من علوم الاقتصاد والإحصاء، والزراعة والطب ..

ينتهى الإسلام الذى يقول بـ «أسلمة العلوم» إلى فولكلور لزوماً إلى فولكلور علمي. إنها الهجنة الكاملة التى تعبّر عن مجتمع متداخ، يحجب وجهه المهزوم باقتنعة كثيرة تتحدث عن الانتصار، إذ المجتمع منتصر بإسلامه، يتذزع، باشكال لا متكافئة، على السلطات والقوى الدينية . وإذا كانت القوى الأخيرة لا تذهب إلى العلم لأنّه قائم في «صدورها»، فإن السلطات ، غالباً، تصالح في جهازها المدرسي بين العلمي والإيمانى ، فيقرأ التلميذ العلم يتصرّف لهوتى ، ولا يرى في العلم إلا برهاناً عن صحة الخطاب الدينى وأصالته . وقد تختزل السلطة العلم إلى «التجارة» ، لأنّه يصبح استيراد الأدوات العلمية آية على الاهتمام بالعلم ، علماً أنّ الأخير يحتاج إلى أيدىولوجيا مجتمعية تحتفى بالعلوم ، وإلى بنية علمية تحتية ، تحقق الإنجاز العلمي وتحضّر عليه من وجه نظر وطنية ، ليصبح علمًا وطنياً ، يؤمن الحاجات الوطنية . غير أنّ العلم الوطنى لا يزيد من أسلمة العلم ولا من وحدة «العلم والإيمان» ، بل من سلطة وطنية تشتق السياسة العلمية من جملة سياسات اجتماعية مستقلة ومتكمالة.

السؤال الآن هو : ما الذي يجعل السلطات السياسية ، أو معظمها ، يأخذ بالتأسلم ويحضر عليه ؟ وما الذي يجعل قوى المعارضة الدينية تزايد على السلطات بالتأسلم أو برفع خطاب ديني أكثر تماسكاً ، بالمعنى الظاهري على الأقل ؟ يعثر السؤال الأول على جوابه في : غياب الشرعية ، إذ لو كانت السلطات السياسية شرعية ، أي تم انتخابها ديمقراطياً ، لما احتاجت إلى خطاب تلفيقى ، تماهى به الشعب وتزايد به على «المعارضات الدينية» متمسكة في الوقت ذاته بأشياء من الحداثة الحقيقة أو الحداثة الربة . يعثر السؤال الثاني على جوابه في سلسلة من المقولات : تزوير الحقيقة ، ملء الفراغ الفكري ، تسلیع الدين ، الدفاع عن الأصالة ، رفض التغرب ، التمسك بالهوية في عالم قلق مضطرب لا عدالة فيه ... تجمع الإجابة في الحالين ، وتشير إلى الإخفاق التاريخي للسلطة السياسية في العالم العربي ، التي تهرب من هزيمة إلى أخرى ، حاجبة الهزيمة بأيدىولوجيا دينية تلفيقية لا تنتهي .

تبقى في النهاية ملاحظتان أساسيتان ، ترتبطان بموضوع العلم والإسلام والأصالة ، تقول الملاحظة الأولى : ليس من المطلوب أسلمة العلوم ، دون النظر إلى دواعها ، فما هو مطلوب ، بالمعنى الجدى للكلمة ، هو أن يساهم المتقسّيون إلى الإسلام في تقديم العلم (على المستوى الإنساني) وأن يتخلّوا إلى جزء حقيقى من الإنسانية المبدعة ، بدلاً من البقاء على هامش الإبداع العلمي ، وتبين التهبيش بداعوى دينية زائفة . وتنقول الملاحظة الثانية : ليس المطلوب نسبة الحاضر إلى الماضي ، بلغة دينية أو غيرها ، بل أن يقوم العرب في الحاضر بالدور الذي كانوا يقومون به في الماضي ، حين كانوا ينجذبون علوماً غير مسبوقة لاحتاج إلى نعمت أو صفة .

تحيل الأسئلة جمِيعاً على سؤال الدولة الوطنية ، التي تستمد شرعيتها من مواطنين تمثلهم ديمقراطياً، ومن افتتاح حقيقى على العصر الذى نعيش ، الذى يقول بالمواطنة والدستور وحق الإنسان فى العيش الكريم ، والذى خلف وراءه بعيداً «الفولكلور العلمي» الذى سبق العصور الحديثة .



لاهوت الفقراء .. نحرير الدين

متابعة: سليمان شفيق

تحرير النص الديني وتأويله بما يلائم الزمان ويتوافق مع المكان هو الطريق لتحرير الإنسان قبل الأديان والأوطان

في البدء كانت الاسكندرية مهد العلم والقدسية! حيث المكتبة الأولى والبراءة الأولى، مهد العلم والرسالات ، في زمن كان فيه البطريريك هو مدير المكتبة حيث الزمن الذي كان فيه الاعلم هو الأقدس ، وبعد عشرين قرنا ، وأيضاً بالاسكندرية عاد الزمن من جديد لمدة ثلاثة أيام ، السبب والأحد والأثنين (٥ مايو) حيث عقدت ندوة لاهوت التحرير... إشكاليات ورؤى»، في أحد مقرات «الخلوة» والرياضيات الروحية للأباء اليسوعيين بكتنجة مريوط، ثلاثة أيام ، حاول فيها عشرون من الفلاسفة والعلماء ورجال الدين والمفكرين ، البحث عن إجابات لأسئلة مثل: هل خلق الله الإنسان لكي يعبده أم لكي يحرر نفسه من ظلم أخيه الإنسان ، هل الله ضد المرأة أم لا ؟ وهل اللاهوت والفقه والناموس من أجل الأرض أم من أجل السماء بـهل خلق الله الأديان الوصفية والطبيعية أم لا ؟ وهل اللادينيين من جماعة المؤمنين ؟ وأسئلة أخرى تنوء الأرض بحملها ، اتسعت لها الصدور ، وقاعة صغيرة ، في الندوة التي نظمها مركز الجزوiet الثقافي والمركز المصري لدراسات وبحوث

البحر المتوسط للتنمية وجمعية النهضة العلمية والثقافية وانقسمت الندوة إلى خمسة محاور : إشكاليات المصادر البلاشفية لاهوت التحرير وlahot التحرير من منظور إسلامي ، ولاهوت التحرير وإشكاليات سياسية ، وتجارب وخبرات ميدانية حول لاهوت التحرير وصولاً لنحو لاهوت تحرير عربي مصرى.

قدم للندوة الأخ فايز سعد اليسوعى مرحباً بالحضور وشارحاً أهداف الندوة على أنها تبحث إشكاليات لاهوت التحرير من خلال كتابات الأب وليم سيدهم اليسوعى وهى خمسة كتب أساسية نقل منها إلى العربية ثلاثة كتب : «lahot التحرير فى أمريكا اللاتينية» للأب اليسوعى «جواتيرين» «lahot التحرير فى أفريقيا الراهب الاسود للأب ديموند توتى» ولا هوت التحرير اليسوعى للأب اليسوعى «الويزوس بيرس» ، كما كتب الأب وليم سيدهم كتاباً « نحو لاهوت تحرير عربى مصرى » وخامسها « الدين وحقوق الإنسان.. رؤية مسيحية » وبعد هذه المحاولات ، وذلك الاجتهاد - كما أضاف الأخ فايز سعد - نحاول فى هذه الندوة البحث معًا عن الاشكاليات والرقى لاهوت التحرير ، وهل يمكن تأسيس لاهوت تحرير عربى مصرى؟

إشكاليات فلسفية لاهوت التحرير

وعن إشكاليات المصادر الفلسفية في الهر، تحدث إلينا صاحب العرش اللاهوتي الأب وليم سيدهم عن كيف نشأ لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية لكن يحل العلاقة بين الظلم الذي تمثل في الديكتاتوريات العسكرية في نهاية السبعينيات (١٩٦٨) على يد الطغمة الحاكمة والمؤيدة لlahot سائد بيرز الظلم الظبطي والسياسي من قبل المؤسسة الكنسية فكان بالمقابل الحب التفضيلي للقراء والفقير الاختيارى للباء الكهنة هو الرد على الظلم ومن هنا نشأ لاهوت التحرير ، لكن يؤكّد أن الله خلق الإنسان لكي يحرره ويساعده على تحرير أخيه الإنسان، لا أن يظلم ويستغل أخيه الإنسان، ومن ثم اعترف لاهوت التحرير بالصراع الظبطي واتخذ من آليات المادية التاريخية بنية معرفية للتحرر ومن إعادة تفسير وتأويل النص الديني من خلال رؤية تنسب مع الوعي الاجتماعي بنية أساسية للتحرر وهكذا ارتبطت الماركسية معرفياً ونفسانياً بلاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية، ثم عرج الأب وليم سيدهم على لاهوت التحرير الأسود، الذي نشأ في أفريقيا من خلال الأباء توتى ضد لاهوت الأقلية ، والذي أكد فيه الأباء توتى على أن المسيح لم يحمل البشارة للبيض فقط، بل جاء فقيراً مظلوماً من أجل الفقراء والمظلومين في مواجهة الظلم الوجودي العنصري الذي حمله المبشرون الأوائل الذين ربطوا بين رسالة المسيحية ورسالة الاستعمار لأكثر من خمسة قرون ، ثم انتقل الأب وليم سيدهم إلى لاهوت التحرير الذي أسسه الأب اليسوعي «بيرس» ، ذلك اللاهوت الذي حاول أن يغير عن ضرورة التجسد الثقافي للمسيحية مع الثقافة الآسيوية بما في ذلك دياناتها الطبيعية والوصفيه الهندوكيه أو البوذية ، وسائل الأديان

الإيساوية، لأن محبة المسيح في كل الأديان وكل البشر من أجل تحرير الإنسان ومن أجل الكفاح ضد الظلم، ومن ثم فقضية لاهوت التحرير لا تكمن في تحرير الإنسان، فحسب بل تتبع من تحرير النص الديني عبر الاجتهداد في تأويله لصالح الزمان وبما يتلاءم مع ثقافة المكان من أجل الإنسان. وعن فلسفة التحرير حدثنا الأب «كريستان فان نيسبان» الإيسوعي عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية ودورها في تحرير النص الديني وربط التحرير بالواقع خاصة قرارات مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٨-١٩٦٥) وحتى الفلسفة التعليمية للأب الإيسوعي «باولوفيريري» ودور تعاليم الكنيسة الكاثوليكية المهم في تجديد الlahوت لكي يجيب على أسئلة الواقع وكما يلبي الlahوت الاحتياجات الروحية للإنسان صار يلبي الاحتياجات المادية والإنسانية له.

و حول التأثير على الفكر الlahوتى الغربى عبر الأسئلة المتتجدة «تحدث استاذة الlahوت الدكتورة ماجى عبد المسيح مؤكدة على أن لاهوت التحرير يتجسد على الأرض طالما هناك ظالم ومظلوم، بمعنى إنه إذا وجد لاهوت تقليدى يبرر الظلم فلابد أن يقابله لاهوت تحرير ضد الظلم، وسيبقى السؤال الخاص بالlahوت التحرير مفتوحاً بالظلم مفتوحاً والنصل مفتوحاً للفسیر والتأويل على مر الزمان والمكان.

لاهوت التحرير من منظور إسلامي

ثلاثة فقهاء فرسان «الشيخ الجليل جمال البنا» يطرح الورقة السؤال : «هل الإسلام في حاجة إلى مثال لlahوت التحرير» ويطرح الإجابة عبر رؤية متكاملة لlahوت تحرير إسلامي من خلال «تشويه» القرآن الكريم ، ويتركتا بعد أن فتح باب الاجتهداد وعلى مصراعيه للدكتور الفيلسوف حسن حنفى الذى يحدثنا فى «علم العقائد والمتغيرات الاجتماعية» عن كونية الإسلام مجسداً فكر وأليات الحركات الاجتماعية الثورية الإسلامية ، ويطرح السؤال حول الربط بين لاهوت تحرير إسلامي وجود حضارة عربية إسلامية متحققة في الواقع ، وإنهايار أو تردى تلك التماذج في أوقات الظلم والظلمات ، أما المفكر الماركسي الصوفى السودانى د. حيدر إبراهيم على قيسير بنا بعيداً عن الشاطئ وهو يسبح نحو لاهوت تحرير إسلامي ، طارحاً السؤال الإشكالية: «هل الإسلام يصعب عليه تقبل أفكار تحريرية مشابهة لقبول المسيحية لlahوت التحرير؟ وذلك لأنه يصعب على نخب الفقهاء تفسير وتأويل النص برؤية متتجدة في ظل غياب مؤسسة متحررة؟ ويفضيف متسائلاً : وهل الإسلام الذى لم يعرف المؤسسة الدينية مثل المسيحية أصبح له الآن مؤسسة دينية تعوق مصالحها تحرير النص عبر تأويله وتقسيمه لصالح الزمان والمكان والإنسان؟.

لاهوت التحرير وإشكاليات سياسية

ونمضي مع تدقق نهر لاهوت التحرير إلى شطوط السياسة، المفكر سمير مرقص يحدثنا عن جدلية العلاقة بين دين المؤسسة وبين الحركة وكيف أفرز التناقض بين تلك الثانية لاهوت التحرير

في أمريكا اللاتينية منطلقاً من الواقع وليس من المؤسسة، من الأرض إلى السماء وليس العكس، وعن لاهوت التحرير: التاريخ والسياسة والهوية يحدثنا الباحث د. يسرى مصطفى وعن علاقة لاهوت التحرير بالماركسية يتحدث الدكتور أنور مغبظ حيث أكد المتحدثون الثلاثة على أن رحلة بحث الإنسان عن الخلاص قادته إلى الدين، ورحلة بحث الآباء الكهنة في أمريكا اللاتينية عن تحرير للإنسان المسيحي الكاثوليكي من ظلم أخيه الإنسان المسيحي الكاثوليكي (الديكاكتور) قادتهما معاً إلى الماركسية فصارت البناء التحتي لآليات لاهوت التحرير وأن المادية التاريخية هي قاعدة التحرير على الأرض والسيجية هي القاعدة الخلاصية السماوية، ولكن الأسئلة لا زالت تتفاعل مع العلاقة الجدلية بين المطلق والنطبي حول المادي والمثالي حول تاريخية النص وتتأوله عبر تحدد تفسيره من زمان ومن مكان لمكان.

تجارب وخبرات ميدانية حول لاهوت التحرير

ثلاث نساء وثلاث تجارب قادت رائدات من الواقع إلى لاهوت التحرير، التجربة الأولى تعليم المقهورات كأداة لتحرير النساء -تجربة باولوفيراري- تتحدث عنها الكاتبة والقائدة السياسية فريدة النقاش، سردت تجربتها في جمعية أهلية ثم في اتحاد النساء التقديمي بحزب التجمع في محو الأمية للنساء المقهورات، وأكملت أنها اكتشفت من خلال التجربة وبعد قراءة أفكار الأب باولوفيراري أن التجربة مرتبطة بآفكاره، حيث إن تعليم النساء المقهورات أو الرجال المقهورين يجب الا يقتصر على تعليم القراءة والكتابة بل ضرورة ربط التعليم بالوعي السياسي والاجتماعي حتى يستطيع المقهورون أن يستخدموا العلم من أجل التحرر السياسي والاجتماعي، وخاصة حتى تستطيع النساء بعد أن يتحررن من الأممية أن يتحررن من الظلم الاجتماعي عبر إنراكيهن أسباب ومهامه الظلم، وطرح فريدة النقاش أمثلة لنساء تحررن من الأممية دون أن يتحررن من الأممية السياسية فكن مع عدم عمل المرأة وعودتها للمنزل، وأخريات تم الربط في التجربة بين محو أميتهن ورفع وعيهن السياسي والاجتماعي فتحررن من الجهل والظلم معاً في جدلية تحريرية إنسانية فريدة.

ومن الجامعة اليسوعية بيروت -مركز الدراسات الإسلامية المسيحي تحدث في الندوة باحثتان سحبتا بنا بين أمواج الخبرات الميدانية المتلاطمة ، الأولى هي لينا فرجات بنت الجنوب اللبناني المناضل، وحدثتنا عن «lahot التحرير الفلسطيني» للأب الفلسطيني نعيم عتيق، تلك المحاولة التي ارتكزت على فكرة تحرير الأرض بالعمل السياسي والاجتماعي عبر «يوتوبি�يا» تحاول أن تقنع الظالم بحقوق المظلوم من خلال سبرورة جدلية سلامية لتغيير الواقع، مما فتح الجدل والجرح حول علاقة لاهوت التحرير الفلسطيني لlahot التحرير اللاتيني ، وامكانية تغيير الواقع بين استخدام السلاح وكيف أن هناك قسمًا من الشعب الفلسطيني والسلطة الفلسطينية تحاول

عبر تلك الآليات الوصول إلى الدولة الوطنية الفلسطينية وعاصمتها القدس، وحين اشتد الجدل قالـت بنت صيدا: «هي محاولة تستبعـي الدراسة لكي تستمر وتسـتـكـمل».

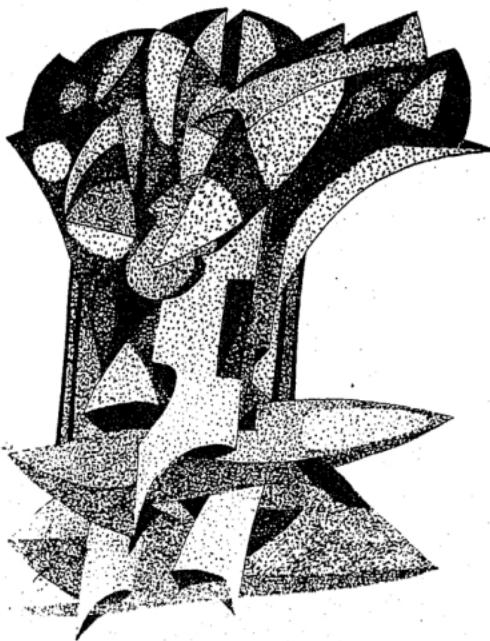
ويـعـدـ أنـ كـادـتـ تـتـماـهـيـ لـوـنـاـ فـرـحـاتـ الـبـلـانـيـةـ الشـيـعـيـةـ فـىـ الدـافـعـ عـمـاـ تـخـتـلـفـ مـعـهـ مـنـ اـفـكـارـ الـأـبـ الـمـسـيـحـيـ الـأـنـجـيـلـيـكـيـ نـعـيمـ عـتـيقـ ،ـ تـقـدـمـ فـارـسـةـ لـبـلـانـيـةـ أـخـرىـ ،ـ وـهـىـ الـبـاحـثـةـ رـيـتاـ العـربـ لـتـقـدـمـ لـنـاـ تـجـرـيـةـ إـنـسـانـيـةـ وـجـوـدـيـةـ مـتـفـرـدةـ ،ـ عـنـ دـورـ لـاهـوتـ التـحـرـيرـ فـىـ تـغـيـرـهـاـ عـبـرـ التـماـهـيـ مـعـ قـولـ السـيـدـ المـسـيـحـ «الـحـقـ يـحـرـرـنـاـ»ـ ،ـ فـهـىـ مـسـيـحـيـةـ مـارـوـنـيـةـ طـرـدـهـاـ الـفـلـسـطـيـنـيـوـنـ مـنـ قـرـيـتـهاـ إـبـانـ الـحـربـ الـأـهـلـيـةـ الـبـلـانـيـةـ ،ـ وـكـيـفـ تـحـوـلـتـ عـبـرـ تـجـرـيـةـ الـأـلـمـ إـلـىـ صـفـوـفـ الدـافـعـ عـنـ الشـعـبـ الـفـلـسـطـيـنـيـ عـبـرـ الـآـلـيـاتـ إـعـادـةـ اـكـتـشـافـ فـىـ مـعـنـىـ الـظـلـمـ مـنـ خـلـالـ الـبـحـثـ عـنـ الـمـسـيـحـ الـمـحرـرـ لـذـاتـهـ وـالـشـعـوبـ ،ـ فـاتـصـرـ الـمـسـيـحـ فـىـ ذـاتـهـ حـيـنـاـ اـنـهـزـمـ الـظـلـمـ دـاخـلـهـ ،ـ وـمـنـ ثـمـ سـاعـدـهـ الـمـسـيـحـ الـمـحرـرـ لـذـاتـهـ عـلـىـ أـنـ تـعـودـ لـقـرـيـتـهـاـ لـتـبـشـرـ بـلـاهـوتـ الـمـصالـحةـ بـيـنـ الـمـوارـنـةـ وـالـفـلـسـطـيـنـيـوـنـ ،ـ بـيـنـ الـمـسـيـحـيـيـنـ وـالـمـسـلـمـيـيـنـ ،ـ مـؤـكـدـةـ عـلـىـ أـنـ اللـهـ وـاـحـدـ لـاـ يـرـضـىـ بـظـلـمـ الـإـنـسـانـ لـأـخـيـهـ الـإـنـسـانـ ،ـ وـلـازـمـ رـيـتاـ الـجـمـيـلـةـ تـحـلـ بـوـطـنـ مـحـبـ قـادـمـ مـنـ اـعـمـاقـ جـرـوـحـ الـطـائـفـيـةـ وـمـحـمـلاـ بـاحـلـامـ الـعـاشـقـيـنـ لـتـحـرـيرـ الـأـوطـانـ بـلـاهـوتـ الـحـيـاةـ .ـ

نـوـلـاـهـوتـ تـحـرـيرـ عـرـبـيـ مـصـرـيـ *

ثمـ فـىـ الـجـلـسـةـ الـأـخـيـرـ طـرـحـ الـأـلـفـرـ الـدـكـتـورـ عـاصـمـ الـدـسـوقـىـ رـؤـيـةـ جـديـدـةـ لـمـؤـسـسـةـ دـينـيـةـ إـسـلامـيـةـ حـدـيـثـةـ يـلـعـبـ فـيـهـاـ رـجـالـ الـدـينـ الدـوـرـ الـأـهـمـ فـىـ تـحـرـيرـ النـصـ (ـالـإـنـسـانـ)ـ وـطـرـحـ كـاتـبـ الـسـطـوـرـ أـهـمـيـةـ الـبـحـثـ عـنـ لـاهـوتـ الـحـيـاةـ الـمـرـبـيـةـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـخـلـقـ أـوـطـانـاـ مـوـحـدـةـ فـىـ ظـلـ تـعـدـدـيـةـ دـينـيـةـ وـعـرـقـيـةـ وـثـقـافـيـةـ عـلـىـ قـاعـدـةـ الـمـواـطـنـةـ .ـ

وـحاـوـلـ عـالـمـ الـتـرـيـةـ دـ.ـكـمـالـ نـجـيبـ أـنـ يـحدـدـ نقاطـ الـاـتـقـاـقـ وـالـا~خـلـافـ ،ـ حـيـثـ تـوـقـفـ الـمـتـحـاوـرـوـنـ كـثـيـراـ أـمـطـمـ مـصـطـلـحـ (ـالـلـاهـوتـ)ـ وـكـيـفـيـةـ اـعـمـالـهـ فـىـ الـوـاقـعـ إـلـاسـلـامـيـ ،ـ فـقـالـ الـبـعـضـ (ـفـقـهـ)ـ وـرـأـيـ الـبـعـضـ الـأـخـرـ مـصـطـلـحـ (ـالـفـكـرـ الـدـينـيـ)ـ ،ـ وـأـخـرـونـ (ـالـخـطـابـ الـدـينـيـ)ـ ،ـ وـلـكـنـ الـجـمـيـعـ لـمـ يـتـوـقـفـواـ كـثـيـراـ أـمـامـ الـخـلـافـ حـولـ الـمـصـطـلـحـ وـاـصـرـواـ عـلـىـ مـوـاـصـلـةـ الـطـرـيقـ وـقـدـمـواـ الـعـدـيدـ مـنـ الـاقـتـراـحـاتـ وـمـنـهـاـ ضـرـورةـ عـقـدـ لـقـاءـ سـنـيـ ،ـ وـتـأـسـيسـ مـجـمـوعـةـ بـحـثـيـةـ لـدـرـاسـاتـ إـلـاسـلـامـيـةـ الـمـسـيـحـيـةـ ،ـ وـضـرـورةـ تـوـثـيقـ الـتـجـارـبـ الـمـيـدانـيـةـ ،ـ وـتـوـالـتـ الـمـقـترـحـاتـ وـلـمـ تـنـتـهـ الـأـسـنـةـ لـأـنـ الـظـلـمـ باـقـ وـلـاهـوتـ تـحـرـيرـ الـأـرـضـ وـالـإـنـسـانـ فـىـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ لـازـلـ مـطـلـوـبـاـ وـبـالـحـاجـ عـلـىـ مـرـ الزـمانـ .ـ

الديوان الصغير



مستجاب نهر المكاييس

المتأبط شرا وإبداعا

إعداد وتقديم: طلعت الشايب

بعض الناس يفتح عينيه لكي ينظر ، لكنه لا يرى شيئاً ، محمد مستجاب يفتح عينيه فيرى ، وأحياناً يرى دون أن يفتحهما بعض الناس ينصلت «يطرطاً ودانه» بتعبيري يعني حقـ!ـ لكنه لا يسمع شيئاً . محمد مستجاب ينصلت أو لا ينصلت فيسمع . وأحياناً يسمع الصمت!ـ محمد مستجاب حالة استثنائية في الكتابة الإبداعية وفي مقالاته القصيرة الأشبة بالأغراض المدحجة في الصحافة الثقافية ، وهو أكثر من ذلك في عباراته المحكمة التي يذيل بها مقالاته المارقة في مجلة العربي كل شهر . عبارات هي «السوفت وير» لذلك الهيكل الضخم الذي يلتقيك بجلبابه الصعيدي ونظرة تحسبها بلهاء بينما هي جمرة خبيثة يتوكأ عليها ويهش بها على النقاد وعلى كتاب لا تعرفونهم ألهام المطاردة . محمد مستجاب في عباراته المحكمة سيد من سادة اللغة يأخذ بيده إلى التهلكة حيث التفجير الذي يخرج لك مكتونتها من البر الشمين وليس ذلك التفجير الإرهابي الذي يحوّلها إلى حطام ويحوّل القاريء إلى أبله . مع عبارات مستجاب أو قنابله الموقوتة أنت على موعد من المفارقة الساساجرة والمجاورة المدهشة والنكتة البليغة تنظر فترى وتتصفح فتسمع وتكتشف أن بداخلك كاتنا آخر أكثر ذكاء يمكن أن يتنصبـ لامرأحةـ أمامك فجأة بأقل قدر ممكـنـ منـ الكلـماتـ .

اسمع يا سيدى

- * العواطف كالرية ، تحتاج بين وقت وأخر للتقليل والتهدئة وتعريفها للشمس ، يستحسن أن يتم ذلك خارج البيت.
- * الأدباء زبدة العالم ، يسيرون عند التعرض لأية حرارة ، ويتخلصون كالكوليستروں عند الاحتفاظ بهم لفترة طويلة.
- * البعض يعتقد أن الخطوط المستقيمة لا تتصادم ، هذا لو أن كل الخطوط الأخرى مستقيمة أيضاً.

* إذا توقفت يدك في يدها بعض الوقت ، فلا تعنـ كثـيراـ فيـ عـينـيهاـ .

* كثـيراـ ما يبدأ الليل الطويل في منتصف الليلة الماضيةـ .

* حتى الـيـالـىـ التي تـبـدـأـ بالـغـنـاءـ ، كـثـيراـ ما تـتـهـيـ بالـصـرـاعـ .

* أي كلب يمكنه أن يوقد مدينته في ساعة واحدة ، المصلح يحتاج إلى ثلاثة عاماً.

* الأصدقاء نوع من المخلوقات ينام مبكراً وقبل أن يحتاجهم بنصف ساعة في أغلب الأحوال.

* سـأـلـتـ أـبـوـهـاـ إـنـ كـنـتـ أحـزـنـ سـكـنـاـ ، فـقـلـتـ نـعـمـ عـنـدـيـ شـقـةـ ، فـوـافـقـ عـلـىـ زـوـاجـنـاـ ، ثـمـ رـفـضـ أـنـ يـكـتـشـفـ خـدـاعـيـ وـاسـتـمرـ يـبـحـثـ لـنـاـ عـنـ سـكـنـ .

* ليس هناك بينك وبين زوجتك أسرار ، السر يكون دائمـاـ بعيدـاـ وتخـشـيـ أنـ يـنـسـلـ اليـكـماـ .

* لا يمكن أن تكون كل الأبواب مغلقة ، أنت الذي تدق يا سيءـ الحـظـ علىـ الـحـوـائـطـ!

* كل الأمواج تبدوـ وهي تسحبـ للغرقـ وـكـانـهاـ تـبـتـسـمـ وـتـدـاعـبـكـ .

* سـأـلـتـهـ فـيـ اـسـتـيـاءـ : مـاـذاـ قـعـلـتـ ذـلـكـ فـيـ صـدـيقـ؟ـ فـقـالـ فـيـ هـدوـءـ : وـهـلـ لـابـدـ لـىـ مـنـ الـبـحـثـ عـنـ

واحد لا أعرفه لكي أفعل فيه ذلك؟.

* ليست السحب هي التي تحجب أشعة الشمس ، إنها المظلات والسلالم والسقوف والضجيج وعظام الجمجمة وبلاهة الأصدقاء!.

* كثير من الشعابين تنظر إليك في إعجاب قبل أن تطلق أول بخات السم!.

* السلاحف لا تصلح لصعود السلالم ، المصاعد العصرية أعادت ترتيب المسألة!.

* نار الله المقدة أن يكون أحدهما بليدا ، زوجتك أو رئيسك في العمل . جهنم أن يكن الاثنين.

* طبيعي جدا أن تخسر المرأة بأن حقيقتها من جلد الشعب!

* يمكن أن نفهمها هكذا: خانت زوجها مع عشيقها ، فلما تخلى عنها زوجها بدأت تخون عشيقها مع زوجها!.

* لكي تتعلم كيف تؤكل الكتف ، عليك أن تتمكن من كل الجسم أولا!.

* تزوج وعش سعيدا ، تزوج فعل أمر .. عش سعيدا ، فعل مضحك!.

* الحناء والاغتسال بالكوليونيا والدعاء بأن تكون الجنة هي المال عناصر أساسية في طقوس الزواج وانقضاء الأجل!.

* ألغعن من تصفيية الحسابات ، أعداء لا حساب لهم!.

* كلما جالست مثقفا ذا منصب ، تذكرت وجوه العوائض.

* تحت طبلة كل أذن معسكر للشياطين !.

* قد يكون ضروريًا أن تعرف أن مثانة مسكنك ترتبط بما يحمله من خواريق!.

* ذلك الذي أصاب كبد الحقيقة.. بتليف!!.

هذه عينة بينة من كتابات محمد مستجاب التي يفسدتها الشرح أو التحليل ، وربما كان أنساب الردود عليها هو الصمت البليغ الذي يتبادر قاريءً أعماله ، لذلك فإن محاولات التفسير والتشريح وال الوقوف على عتبات نصوصه «بنص رجل» ، «واكتشاف الذات» و«استكناه الآخر» بشفرة زمكانية» .. بذلك كله رجس من عمل النقاد فاجتبوه ، يستوى في ذلك النقاد البنطيون والمفكرون والمدونون والمرمومون وكل من يندرجون العصافير بحثاً في داخلها عن الموسيقى، فتش أنت في نصوص محمد مستجاب وسوف تجد محلول الحكم والخرافة والأسطورة في خلطة سحرية لكاتب يتأنط شراً كثيراً وفتاً أكثر.

ط. ش

البشرة

« .. ويكون لك ولد ذكر من صلبك ، تضييع عينه اليمنى جهلاً واليسرى ثقافة ، يهلك أطناناً من التبغ والورق وأبيات الشعر والشاي ومكعبات الثلج وأبيات التكوير والمبادئ والملوك والخفراء والثبرة والشعارات والوزراء ، يكون رعماً ، فلقاً ، جاماً ، جامعاً لصفات الكلاب والعصافير والحنظل والحشرات والأنبياء والأبقار ، يداهمكم بقصصه القصيرة ، حتى يقضى نحبه مجللاً بآيات الفخار في العراء على قارعة الوطن».!

مقدمة: «قيم وانهيار آل مستجاب».

بخلوان!

«أنا لست ناقداً بل مجرد متلوق وهو مدخل طيب يبدأ به معظم النقاد كلامهم بعدما يستقرؤن على منصة الندوة وهذا يعني أنهم سوف يمرحون ويقولون ويلعبون ويصدرون أحكاماً دون أن تطالهم قوانين القول الأدبي . فإذا انحرف عن جادة الأدب دافق عن نفسه بأنه ليس ناقداً ، وإذا تبهه أحد إلى ولو جهة مسالك أو دروب لا علاقة لها بهذا النص المطروح ، تململ وتتسايم لأنك لم تدرك معنى أنه ليس ناقداً ، ولا أعرف كيف تستدعى من يقوم أو يقيم لك سيارتك أو بيتك أو مقتنياتك وهو يصرح بأنه ليس مهندساً أو ميكانيكاً أو خبيراً ومع ذلك فتحنن نفعها كل يوم في الندوات الثقافية».

من: «حرب الدم».

قصة قصيرة حمقاء!

بعد مباحثات استغرقت اثنين وعشرين عاماً ، ومائة وأربعين تذكرة سينما وسبعين تذاكر مسرح وثلاث عشرة رحلة إلى الشواطئ وثمانين مأدبة غداء ، وثلاثمائة وأربعة وخمسين متراً من مختلف الأقمشة وشققتين متتاليتين وأربع ترققات وستة أبواء وعشرين ذكراً من البطل وأربعة ديووك رومية ، ونصف جوال من التمباك ، وتوسيع زيارات لألياء الله الصالحين ومحاولاتين لأداء العمرة ، وأربع علاقات سرية ، وثلاث عمليات بواسير ومصرمان أعور وبوالي ، وألف وعشرين ببضة ، وسبعين مشاجرات ، وشكوى كيدية واحدة ، وصفحة طحينة و مليون ركعة صلاة ، نجح السيد المشار إليه في تطويق عنق زوجته بحبيل من الكتان وظل يضغط حتى فصل دماغها عن باقي الجسد.

من: «القصص الأخرى».

مالهم الجنة

«خمسة مالهم الجنة: مستجاب الأول لأن جهنم لم تكن اكتشفت بعد ، وألم آل مستجاب لأنها ألم آل مستجاب ، وجبار يتبه في الأرض مرحاً قال «لا» لامرأتين متتاليتين ثم قال «لأول رجل يقابلها ،

وبليغ قرقرت الحروف في حنجرته حتى وقع بين شطري قصيدة قديمة ، ومستجاب الخامس الذي فاته اعتلاء أريكة آل مستجاب مرتين: الأولى فور هلاك الرابع الذي داهمه شيطان في محل الأدب فبحثوا عن الخانس في الدروب وظلال الجمizen والفيافي، حتى أدركوه بين قوم وهبوا أنفسهم له بوعندما استعاد نفسه كان السادس قد وطد أمره وجعل من السابع خدينا لمجلسه ولعليا لعهده ، والمرة الثانية هي هذه التي كتب علينا أن نفصح عنها كي ندرأ ما يكون قد علق بها من أذران وسوء نوايا وأغاليظ».

من قصيدة مستجاب الخامس

عيار قاتل

«بقيا ضوء في آخر غرب الدنيا . السكون . تلاشت كل أصوات القرية ، قالت عمتى نفيسة : اللهم اجعله خيرا ، وارتجم الشیخ حسني وارتبتک فى قراءة الفاتحة فاندهش المصلون ، وعوى کلب وظل واقفا وانقللت الارانب من جحورها تاركة حزمة البرسيم ، وانحبست الفمامتان كل فى الأخرى فتساقطت السوداد فوق النخيل والقصب والذرة وصحف السمك وصحفون الملوخية والقطقاس وصفوف المصلين والعيس المقرن وكاكتس الفراخ منزعة وعوى الكلب مرة أخرى وتراجع عبد الله للخلف وأنزل ملابسه فظلت زوجته متمعنة فى وجهه . وترك عبد الحميد المزين رأسه على قبره ونظر إلى الأفق واهتز بدن الحاجة شقاء وأحسست بوخز فى عنقها وأسقط محمد عبد التواب طفله من فوق رقبته ، وتوقف محمود عبد الجابر عن دهان مؤخرة جمله ووضع ضيوف محمود عبد الرجال اللقمة فى أفواههم وأنصتوا ، وسقطت زجاجة الجاز من يد طفلة وانكسرت البيضة فى يد الطفلة الثانية.

سكن جسد القرية كله وانتصبت أذانها متسمة أى صوت فى آفاق السكون . وهمست أم محمد : اللهم اجعله خيرا .. استر يا رب ! وبوى عيار ناري .
وخطبت عمتى نفيسة على صدرها وصرخت منزعة متتفضة :

ـ هذا العيار قاتل !

بعدها بثوان ، انداح صراخ القرية ملتفاعا:

ـ الحاج وطفله انصربيا بالرصاص !.

من «بيروط الشريف».

.. كانت ليلة !

ـ حينذاك ، ووسط انهمار الزغاريد ، أدخلت العروس بيتها الجديد وتقدمت من العتبة بقدمها اليمنى فقامت أم نعمان بفسلها بماء الورد المستجلب من عبد المنعم الحباك ، ثم حملت إلى حجرة

نعمان وأغلق الباب عليها ومعها الداية وإحدى عجائز آل أبي العيون وأم نعمان ، ووقف عبد النظير بخشونته وجسده القارع على الباب ليحول بين الناس وبين محاولة الدخول ، حيثند بدأت الداية عملها ، خلعت عن العروسة شالها وبعض أربيتها التي تعوق الحركة ، وأمرت المرأة المسنة أن تجلسها على حجرها وأن تلف نراعيها حول إبطي العروسة وحول فخديها لتعجزها عن المقاومة ، وفرشت أسلف وركي العروسة العاريتين شوالا ، وأمرت من يقف بالباب بالإذن للعرس بالدخول .
 وظهر نعمان في الوقت المناسب تماما ، شرخ جموع الأطفال والنساء وبهذه المصبوبة بالحناء خيرزانه ، وافتتح الباب ثم انفلق وبدأ الرجال يحدثون ضجة صارخة بالخطب على الباب ، وامتدت نراع نعمان ذات الإصبع المهيبة واخترق الإصبع موضع العفة في بنت اخت أبي العيون ، اقتحمت الإصبع المشرعة طبقة الألم الدموي الشريف ، لتصرخ العروسة ، لكن الداية تتبعه إلى وجل العريس فتبسمه وتمسك بياصبيعه وتعيد من جديد الاختراق ، فينبثق الدم العظيم معلنا انتهاء الجزء الأول من حياة نعمان ، ومؤذنا للقوم المنتظرين بإطلاق عياراتهم النارية ، والتدليل الدموي يلقى فوق رؤوس الحشد حاملا في ثيابه حسن الاختيار ، ليتحرك القوم بعدها بنعمان إلى ترعة بحر يوسف ليتسنى للعرس أن يلقى بالطوبات السبع إلى النهر والسعادة تغمر شاطئ بحر يوسف ، وأحد السفراء يتحرك في نفس الوقت مقتريا من مجلس قيادة الثورة ليس لم إندارا شديد اللهجة طالبا من جمال عبد الناصر أن يسحب جيشه من حول القناة أو يسمح لبريطانيا وفرنسا بضرر المطارات والمنازل بالقناة» .

من «التاريخ السرى لنعمان عبد الحافظ»

كلب السنط (*)

التقىت بأمرأة تكاد تصل إلى سن اليأس ، أثناء عودتي من الطاحون بعد احتجاء طريق شجر الجميز أحست ب أنها ترغب في أن أعاشرها فأوصلت إليها إحساسا خاصا بعدم ممانعتي ، أقفر الطريق وهرب كل الشجر - رغم ضخامته - إلى الخلف ، واحتضنت الصمت . سألتني عن أبي فأشترت إليها أنه مات ، وأن أمي تزوجت . قالـت خسارة ولم أدرك عمن انصبـت الخسارة ، على أبي أم على أمي وكانت ضخمة وارفة ، لم تكن منقرـة ، ورأـيت أنهـ من المستحسن استبعـاد عـناصر التـفـورـ منهاـ .

عند مشارف البلدة انحرفت المرأة يمينا وسط المزارع فشعرت بالبرد والخوف - قليلا - بسبب العفريـتـ الذى يـظهـرـ فىـ هـذـاـ المـكـانـ فىـ عـزـ الـظـهـرـ نـظـرتـ إـلـىـ بـعـينـيهـاـ المـحملـتـينـ بكلـ مـقتـضـياتـ الإـثـارـةـ الرـيفـيـةـ الـمـكـلـحةـ السـانـجـةـ ،ـ اـنـشـتـيـتـ شـهـوـةـ وـسـرـتـ خـلـفـهاـ ،ـ توـقـفـتـ لـتـحـانـيـنـىـ ثـمـ اـسـتـفـسـرـتـ عـنـ إـخـوـتـىـ .ـ الأـكـيـرـ لمـ نـرـهـ مـنـذـ تـسـعـةـ عـشـرـ عـامـاـ لـاحـفـاظـ السـلـطـةـ بـهـ فـيـ أـحـدـ السـجـونـ لـيـقـضـىـ مـدـةـ

السجن المتقى عليها مع المأمور . ضحكت المرأة لخفة دمى . الثاني أعمى وينتعيش من سكب جزء
عمر فوق فتحات المقابر ، الثالث معلم ابتدائى ظهر أيام نظرية طه حسين الخاصة بالتعليم والماء
والهواء وضرورة تمنع الجميع بهم ، الرابع أنا الذى أسيير بجوارك ، ألف جسدك بنتظراتي وأجهد
قراتى كى استخرج المقبول من ميزانتك . سال عرقى وامتلاً العذاء بالتراب فانحنىت لأحكم رباطه
، الخامس- أصغرتنا- تخرج من عامين وهو الآن مكلف بالقوات المسلحة .

ولإخواتك البنات؟ .. الكبرى تزوجت ثم ماتت وهى تلد . الثانية فى المنزل لم تتزوج بعد ..
عند كوخ صفيحي ينام تحت شجرة سنط، توقفت المرأة وأخرجت مفتاحها من ضفائر شعرها
وبدأت تعالج فتح الباب ، ارتكنت أنا على شجرة السنط بظهرى ، خلال ثوان قليلة -كان كلبان من
كلاب السنط يتسللان إلى ملابسى ، الكلاب الرودية روعنى ، خلعت جلابى وألقيت به أرضا فى
جزع ، فتشتت ملابس الداخلية حتى لا يكون الرود قد وصل إليها ، بللت المرأة المفتاح بلعابها عدة
مرات وهى تخضك فى حبور لانزعاجى ، تعاونت الشمس مع إحساسى ورغبتي فزاقت حمرة
جميلة على خدها ، شعرها طويل ناعم ونظيف .

من أدخل أخاك الأكبر السجن؟ المخدرات . أسفت المرأة وصممت «سألتنى عنمن تسبيب فى
إصابة أخي الثنائى بالعمى .
أخبرتها أن الأداء عملوا له « عملا » فمرض وهو فى العشرين بالجدري والتهم المرض عينيه ،
أسفت مرة ثانية وصممت ثم فتحتلى الباب .
على حصيرة قديمة جلست ، خلعت حذائى فتتاولتها -هي- وأبعتها عن منطقة الجلوس حيث
إن راحتها مؤذية .

ومانا تعامل أنت الان؟ لاشنى . أسفت وسألتنى عن حال أخي الأصغر . أفضت لها فى شرح
حاله حيث إنه أحسن واحد -اليوم- فى البلد كلها وإن كان يعاني من مشاكلنا التى نلقاها عليه بين
الحين والحين ، وأنه لذلك لا يحضر كثيرا وإن كان يكتب إلينا .

صنعت لي شايا ثم سألتنى إن كنت أشم رائحة شىء محدد ، نظرت المرأة إلى حذائى وضحكـت
فازدادت أنوثتها وضوحـا . أردافها سميـنة وجسمها بـضـنـ، نـراـعـاهـاـ جـمـيلـتـانـ وـيـداـهـاـ رـائـعـتـانـ . خـلـعـتـ
ملابسـهاـ وـابـتـسـمـتـ لـتـشـجـعـنـىـ . خـلـعـتـ فـانـتـنـىـ وـنـظـرـتـ إـلـيـهاـ لـأـبـدـاـ المسـأـلـةـ فـابـتـعـدـتـ عـنـ فـىـ دـلـالـ .
هل ذهبت إلى مصر؟ لم أنهـبـ . هل رأـيـتـ ما يـفـعـلـهـ بنـاتـ القـاهـرـةـ للـشـباـنـ؟ لم أـرـ ، ولكنـ عنـدىـ
فـكـرـةـ عـماـ يـحـدـثـ . لماـذاـ مـاتـ أـبـيـكـ؟ لاـ أـعـرـفـ . أـسـتـرـكـ وـأـخـبـرـتـهاـ أـنـهـ فيـماـ يـقالـ . قدـ مـاتـ فـىـ
الـحـقـلـ . سـأـلـتـنـىـ كـيـفـ ، فـلـمـ أـعـرـفـ الـجـوابـ ، طـيـبـ ، لماـذاـ تـزـوـجـ أـمـكـ؟ لـأـنـهاـ يـجبـ أـنـ تـزـوـجـ . اـزـدـادـ
وجهـهاـ أحـمـارـاـ . قـالـتـ إـنـهاـ تـوـدـ أـنـ تـتـعـرـفـ عـلـىـ أـخـىـ الـأـصـفـرـ الـذـىـ فـىـ الـجـيـشـ . أـظـهـرـتـ لهاـ

امتنانى - وعدتها باصطحابه - فى أول فرصة - إلى خدرها الصفيحي . قالت سأطعمنك . لم أرفض . أحضرت صفيحة من خن الكوخ بها ملوحة ذات رائحة نفاذة . لم أستنسع الأكل وأظهرت لها ضيقى . قالت إن هذه اللوحة الفاسدة هي خلاصة أحشاء وقلوب معظم عشان شبان المنطة .

ضحكـتـ أناـ لـكـنـهاـ كـانـتـ عـابـسـةـ وـقـفـتـ المـرأـةـ لـتـتـنـاـولـ شـيـئـاـ مـنـ رـفـ عـلـىـ فـاتـضـحـ لـىـ أـنـهـ جـيـلـةـ وجـيـلـةـ جـداـ أـبـدـاـ لـاـ تـوـجـدـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ حـضـرـتـ مـعـىـ مـنـ الـخـارـجـ أـيـةـ عـلـاـقـةـ إـلـاـ فـىـ مـلـامـعـ الشـكـلـ العامـ هـىـ جـمـيـلـةـ وـلـاـ شـيـءـ أـخـرـ . وـقـفـتـ وـاحـتـضـنـتـهـ فـتـالـلـ وـقـبـلـتـ ، بـدـأـتـ تـسـأـلـ مـنـ جـدـيدـ فـأـغـلـقـتـ فـيـهـ يـكـفـىـ وـأـنـاـ أـحـتـوـيـهـ جـسـمـ نـاـئـ مـلـتـهـ ، مـتـوهـ ، أـنـثـىـ فـىـ قـمـةـ أـنـوـثـيـهاـ ، لـاـ تـكـلـمـ فـعـالـىـ كـلـهـ كـلـابـ جـائـعـةـ تـزـحـفـ فـوـقـ شـجـرـ سـنـطـ تـحـرـقـهـ الشـمـسـ . ضـغـطـتـ عـلـيـهـ بـكـلـ قـسـوةـ وـجـنـانـ اللـذـةـ . بـدـأـتـ تـتـمـلـصـ مـنـىـ ، اـزـدـتـ عـلـيـهـ ضـغـطاـ . أـمـكـ تـزـوـجـتـ الرـجـلـ الذـيـ كـانـتـ تـعـرـفـهـ قـبـلـ أـيـكـ . أـبـوـكـ أـحـرـقـ وـهـ يـسـرـقـ مـزـرـعـةـ أـحـدـ الـيـتـامـيـ . أـخـتـكـ مـاتـتـ وـهـيـ تـلـ قـرـدـ . أـخـوـكـ الـأـكـبـرـ . اـزـدـتـ عـلـيـهـ ضـغـطاـ . شـعـرـهـ تـلـاشـىـ وـصـوـتـهـ تـغـيـرـ وـنـمـاـ لـهـ شـارـبـ . ضـرـبـتـهـ لـأـغـلـقـ ذـلـكـ الفـمـ المشـوـهـ . ضـرـبـتـهـ بـعـنـفـ وـبـكـلـ قـسـوةـ كـفـ الـيـدـ . ذـعـرـتـ الـمـرأـةـ . ذـعـرـتـ وـقـفـتـ سـوـدـاءـ مـلـيـئـةـ بـشـعـرـ خـشـنـ حـتـىـ حـواـفـرـهـ .. حـواـفـرـهـ .. اللهـ أـكـبـرـ : فـبـصـقـتـ عـلـىـ وـجـهـ ، اللهـ أـكـبـرـ .. فـانـطـلـقـ الشـرـرـ مـنـ عـيـنـيـهاـ .. اللهـ أـكـبـرـ ، وـأـمـدـ بـالـلـهـ مـنـ الشـيـطـانـ الرـجـيمـ ، أـنـتـ أـبـوـكـ وـأـمـكـ وـأـخـتـكـ وـأـخـوـكـ . تـقـلـصـ أـمـعـائـىـ وـزـاغـتـ عـيـنـيـ وـشـعـرـتـ بـفـزـعـ الـآـخـرـةـ يـلـفـنـىـ فـىـ عـزـ نـهـارـ الـدـنـيـاـ . تـسـطـعـ جـسـدـىـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـلـمـ أـجـدـ لـىـ عـمـودـ فـقـرـيـاـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـنـصـبـ حـيـلـيـ وـيـسـنـدـ طـولـيـ سـحـبـتـيـ الـمـرأـةـ المـفـزـعـةـ مـنـ قـوـمـيـ وـأـلـقـتـيـ خـارـجـ الـكـوـخـ . زـرـحـتـ مـتـبـعاـ عـارـيـاـ وـتـسـلـقـتـ شـجـرـةـ السـنـطـ .

كان الجو حاراً وكانت عارية تماماً ، حاولت أن أحدد مكان الكوخ أسفل الشجرة . التوابع وأحاديد شجرة السنط حجبت الأرض بكل ما فيها عنى . ظللت مهموماً زاحفاً تائماً ألف حول الفروع والأشواك وجبال الصمغ حتى أرهقت تماماً . شدتني نسمة صيف فسقطت على قماش أبيض ناصع يسير تحت الشجرة . انتبه المخلوق لي . تناولتني في انزعاج من فوق كتفه وألقاني على الأرض وفعصني بمركمي وتركتني أثوى وسار .

(*) كلب السنط نوع من الدود الصغير الذى يتغذى فوق أغصان شجر السنط بالصعيد المصرى

اغتيال

كانوا خارجين من جامع أولاد عبد الله فور صلاة العشاء ، كل منهم ينظر في تردد إلى الآخر ، كانوا يحاولون التخلص ممن - أو ممـاـ يـشـغـلـهـ ، وـبـدـأـواـ يـنـسـلـونـ إـلـىـ دـارـةـ الحاجـ(خـ)ـ . فوق الدكـةـ الـتـىـ صـنـعـهـ النـجـارـ جـبـرـةـ وـلـمـ يـأـخـذـ باـقـىـ حـقـهـ عـنـهـ حـتـىـ الـآنـ ، جـلـسـ (دـوـ)(شـ)ـ ، وـعـلـىـ مـصـطـبـةـ سـفـلـيةـ جـلـسـتـ حـرـفـ أـبـجـديـةـ أـخـرىـ ، وـوـقـفـ حـرـفـانـ مـتـالـيـانـ غـيـرـ مـبـاحـ لـهـماـ الـجـلوـسـ

صغر سنهما.

دخل صبي بموقده ووضعه قريبا من المصتبة ،كان مرتبكا بلا دراية فأسقط جمرات على الأرض ،قام واحد - حينئذ - بإبعاد فردة المركوب عن النار ثم مد أصابعه في هدوء إلى الجمرات فاللتقطها وأعادها إلى الموقد . تكلم (د) وقطاعه (ش) وطرحا الأمر على الموجدين واحتسوا الشاي واستحلب بعضهم الدخان ويصدق على الأرض ، وأعاد واحد إبداء إعجابه بالإمام الجديد للجامع فاعتراض واحد وببدأ يسرد الفرق بين صفات الإمامين، ونجد آخر بمدرس يلعب الكوتشينة في مقهى فرغلى مرسى ، وأعلن واحد توقعه أن يخرج الشيشة (ع) من اللومان في عيد الثورة القادم ، وأفرط واحد في وصف البقرة التي سقطت في الجابية فقاموا بذبحها بغية إنقاذهما ، وانحنى واحد فتنى على الموقد وقلب الجمرات فانبعث دخان ، وطلب واحد من واحد إعارة كيلتى ذرة شامية فاعتذر له مقسما بأن صومعته قد فرغت من أي حبوب وكان الجميع يعلمون أنه كانب ومات الكلام فشد الحاج (خ) الموضوع الأساسي وألقاه في حدة بينهم فلما تباطأوا في تقليل الموضوع الملقى بينهم قام الحاج (خ) - مزدادا حدة - وكاد أن يصفع واحدا أغفى ، ولعنه وعبره بأنه سيطّل مثل حاله ينتمي في الماتم والجلسات ، حينئذ قام حرف صامت فترضاه وسحبه إلى الدكة لكن الحاج (خ) رفض الجلوس وظل واقفا محظيا .. صامتا ، ثم اختار اختيار ثلاثة : واحدا من الجالسين وواحدا من الواقعين وواحدا تخلف عن الحضور وأمرهم بإنتهاء الموضوع .

بقليل من الإدراك كان من الممكن أن تتبين الأمر الذي أنتهى الاجتماع إليه . أن يقتل الثلاثة المختارون السيدة (ح).

من قصة (اغتيال).

فكرة

ذات ليلة اضطربت أقدام السادس في حفرة ذات أحجار ناتحة أثناء عودته من حلقات ذكر الله حول مقام الشیخ الصباغ ، بقایا طبیع الكشك امتنجت - فی تناشر على جلباه ورقبته وثایا ججمته ، تداخلت مع أوراق مالية ونظريات الوجود والعدم عند کیرکجورد وسارت تحت ظلال مذكرات محمد التابعی عن اسمهان في اختلال رائع مع ظلال التخييل الفقیر . أن تظل محتاجا ، معوزا ، كنز لا يفني ، القناعة تتتطاير عصافیرا وخفافیش تحت صلیل أجراس المدارس والكتب والكتناس ووصایا الرب وابتهالات الشجن ومواد القانون وشفایف العشق ، ثم عليك أن تلوذ برغبتک العارمة أن يائذن لك الملائكة في الولوج إلى الفردوس . كنز لا يفني لكنه لا يصلح لشراء السجاائر أو المعسل . ذات مرة قال له مصطفی أمین : السياسة أقوال فإن تشثبت بها تحول إلى أموال ، ولصلاح عبد الصبور أبيات من الشعر لم يستطع أن يتذكرها ، كنز لا يفني ، ليست

الشجاعة أو القناعة أو حلمات الرضاعة ، إنما هي- تعلم جيدا - تكمن هناك في الجبل الغربي ، في تلك الصحراء الهادئة المتبدلة بين مداد الحزن حتى خطوط على بابا، المغاراة التي تتداح أبوابها إلى الخلف في موسيقى ضاجة مروعة : افتح يا سمسم . لا تحاول أن تقع أسيرا بين أمواج سفينة مضطربة تنقلب تحت سطوة الأعاصير ، التصل آخر الأمر إلى جزيرة خاوية تظل مرعوبا فيها تحت سطوة الوحدة التي تداحمك الآن ، حاول ألا تتثبت ببساط كريم الدين أو لص بغداد فسوف يبتلوك - في أفق الرياح - بطن الحوت . أنت تعرف ونحن نعرف ، هناك في الجبل الغربي يكن الكثر الذي طحن أحالم القرية كلها .. يكتن لا يفني ولا يخضع للقناعة أبدا .
ليلتها قرر السادس أن يصل إلى الكثر ، أن يحصل عليه ، وظل يداور ويناور ويمنع ثم لم يلبث أن وصل إلى فكرة ما وردت أبدا في دواوين الحكايات !.

من: «اللهو الخفي» رواية قيد النشر

بكرة الفاضل

«أنا - كاتب هذه الرواية - أعنى دائمًا من الإمساك بتأول خيط في بكرة الرواية ، حيث بعدها - رعاك الله - تكرر البكرة في تلقائيهـ إن لم تكن سهلةـ فهي شديدة السيولة والسلاسة ، وما إلى ذلك من الفاظ يميل الأصدقاء لاستخدامها ، إلا أن خيط بكرة الفاضل من آل مستجاب انقطع فجأة وسط صراخ الأهل المفجوعين ، مات بطيء دون أن أصحبه في الرحلة الروائية الممتدة ذات الكبراء الأصيلة القوية مرفوع الرأس عالي الهمامة ، كى أفتح لكم عالمه الشامخ نخيلا وجبالا وكراما ووقوفا مع الحق صامدا ضد أى باطل ، ولذا فإن شهامتكم - أيها الأصدقاء القراء - تلزمـنا بالـنـعـودـ إلىـ بيـوتـناـ هـذـهـ اللـيلـةـ ، إذـ أـنـ الـاخـلـقـ الـأـصـيـلـةـ الـتـيـ تـنـتـعـمـ بـهـاـ تـجـعـلـنـاـ نـجـلـسـ عـلـىـ الـمـصـاـبـ أوـ الـمـقـاعـدـ أوـ الـأـرـضـ حولـ دـارـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ وـضـعـنـىـ فـيـ مـوـقـعـ صـعـبـ بـرـحـيلـهـ المـفـاجـيـ . إـنـنـىـ أـبـكـ أـكـثـرـ منـكـمـ».

من «مستجاب الفاضل»
رواية قيد النشر.



المادية التاريخية : إعادة البناء - ٣

كيف تحولت الماركسية إلى دوجما

د. عاطف أحمد

هذه هي الحلقة الثالثة في قراءة الدكتور عاطف أحمد لكتاب المفكر الماركسي البريطاني جورج لارين المادية التاريخية وإعادة البناء، ومن الجدير بالذكر أن «لارين» وضع كتابه قبل انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية بسنوات.

يناقش لارين في الفصل الثاني من كتابه مسألة التحول الوجماني للماركسية ، تحت عنوان «التفسير الأرثوذكسي»، وهو يشير فيه إلى فكر ماركس النقدي التحليلي ويتحدث عن دور انجلز وطبيعة تفكيره التعليمية والتيسيرية والسبالية خاصة في «ضد بوهرننج» الذي تم تفسيره من قبل جيل الرواد، برنشتين ، واذرل ، وبيلخانوف وكاوتسكي ، باعتباره نظرة عامة للعالم، ودليلًا موسوعيًّا للماركسية المنفصلة عن أصولها النقدية. وما إن تم ذلك حتى بات الطريق مفتوحاً للتقنيين العقائديين للمبادئ التي اتسمت بالأرثوذكسيَّة.

والواقع أن تعبير «أرثوذكسي» قد لا يفي تماماً بالمعانى التي يتحدث عنها لارين ، خاصة حين يصفها بأنها «تقنيَّ عقائدي للمبادئ». ذلك أن تعبير أرثوذكسي ، فضلاً عن أنه يرتبط في

الأنهان بمعنون ديني معين، فإنه يشير أيضاً إلى الاستقامة الفكرية والخلقية ، أما معاناته الأخرى مثل التبعية العقلية خاصة للتقاليد وممثل سلطوية الطابع ، فهي معان بعيدة عن الأذهان رغم أنها الأقرب إلى التعبير عن المقصود من استخدام ذلك التعبير.

فإذا جئنا إلى تعبير «التقنين العقائدي للمبادئ» فإننا نجد لدينا مبادئ : أى أحكام عامة بطيئتها ، أقرب إلى أن تكون استبطاطية منها إلى أن تكون استقرائية ولدينا معتقدات : أى قناعات إيمانية تسليمية لا تقبل الاحتكام إلى الواقع وتسبعد تماما كل ما يخالفها ، ثم لدينا قوانين وهى أيضاً بحكم طبيعتها لا تقبل المناقشة من أى نوع كانت. وما أود قوله هنا هو أن هذه السمات أقرب إلى أن تكون سمات الوجما منها إلى الأرثوذكسيّة .

ويبدو ذلك واضحا حين يوجز لارين الموقف «الأرثوذكسيّة» من القضايا الأربع الشهيرة عنده كالتالي:

الأولى: هي اعتبار المادية التاريخية امتداداً أو تطبيقاً لمبادئ المادية الجدلية (التي تتطبق على الطبيعة في ذلك التصور) على دراسة المجتمع والتاريخ.

الثانية: هي أن الوعي هو انعكاس الواقع المادي بحيث إن الوجود ، العالم المادي سابق على الوعي ويوجد بشكل مستقل عن الوعي.

الثالثة: هي أن القوى المنتجة تتجه إلى التطور عبر التاريخ وهي العامل الأساسي المحدد للتغيرات في البنية الاقتصادية والتي تحدد دورها التغيرات في بقية المجتمع .

الرابعة: هي أن التاريخ يتتطور من خلال مراحل شاملة وضرورية وفقاً للمنطق التقدمي للقوانين شبه الطبيعية التي تقود البشرية بشكل حتمي نحو المجتمع الالاطبقي.

مع ذلك، والإكلام ما زال للاردين ، فمن المهم أن نوضح أنه ليس كل المفكرين الذين عرضوا أو دافعوا عن بعض هذه القضايا الأساسية يوافقون بالضرورة على كل القضايا أو المسائل النوعية التي أثيرت هنا.

على أن المسألة الأهم، ليست هي ما تقوله هذه التصورات أو الفرضيات التقسيمية فحسب ، بل ربما كان الأهم من ذلك هو الطريقة التي تعتقد بها هذه الأفكار و موقفها من يختلف معها . إذ أن المفكرين الذين يعتقدون مثل هذه الأفكار كلها أو بعضها ، إنما يتسبّبون بها على أنها الحقيقة النهائية التي لا تقبل أى تعديل ، سواء أكان ذلك بالحذف أو الإضافة أو حتى بشيء من التعديل في الصياغة . ذلك أنها بالتشبة لعتقداتها حقائق نهائية بحيث يصبح من يبني آية تعديلات فيها ، مراجعاً أو محرفاً أو حتى مرتدًا إلى الفكر البرجوازي الرجعي لأداء التحرر الاشتراكي فرسم حدود فاصلة قاطعة بين هذه التصورات وبين ما عدّها ، والارتياح فيمن يحاول تحليلها

تحليلاً نقدياً «وتقسيم البشر إلى نوعين : من معنا بالكامل ومن ضدنا بالكامل ومن ليس معنا فهو شرير على نحو ما ، أو جاهل أو مضلل في أحسن الحالات هذه الاستراتيجية لقصاصه الآخر وإيجاد هوة غير قابلة للعبور إليه »فضلاً عن الشعور اليقيني بأن الثورة (الخلاص الجمعي) وشيكة الوقوع ،كل ذلك إنما يشكل منظومة اعتقادية يقينة مفلحة هي الدوجماً لذلك أود أن استبدل من الآن فصاعداً ، بمصطلح أرثوذكسيّة « مصطلح «دوجماً» أو «عقائدية» وفقاً للسياسيّة .

نعود إلى لورين سائلين إياه عن علاقة مثل هذه المنظومة العقائدية بماركس وإنجلز فيجيبنا بأنه على الرغم من أن المادية التاريخية هي بالتأكيد الميراث الفكري الأكثر أهمية للعمل المشترك بين ماركس وإنجلز فإن ماركس نفسه لم يستعمل هذا التعبير ولم يتم تعريفه محدداً ولا معالجة منهجية لمضامينه . بينما نجد إنجلز مصطلحي «المفهوم المادي والتاريخي» و«المادية التاريخية» وحاول تقديم تعريف محدد لها باعتبارها :

« تلك الرؤية لجري التاريخ التي تبحث عن السبب النهائي والقوى المحركة العظمى لكل الأحداث التاريخية الهامة في التطور الاقتصادي للمجتمع ، وفي تغيرات أنماط الانتاج والتداول وفي اقسام المجتمع إلى طبقات متميزة نتيجة لذلك ، وفي الصراع بين هذه الطبقات بعضها البعض ». .

وعند محاولة فهم كيف تطورت المادية التاريخية إلى دوجماً فإن علينا أن نتجنب تطرفين . فمن ناحية ليس من الممكن تأييد القول بأن الماركسية العقائدية هي مجرد تشويه للفكر الأصلي لماركوس ومن ناحية أخرى لا يمكن القول بأنها تطوير أبعد لفكرة ماركس .

وإذا كان من الصحيح أن ظهور الماركسية العقائدية يرتبط بوجود فجوات في فكر ماركس تسمح بنشر صياغات أحادية البعد ، فمن الصحيح أيضاً أن فكر ماركس لا يمكن أن يختزل إلى مجرد ذلك البعض .

ثم علينا أن نلاحظ أن بناء منظومة عقائدية ليس نتيجة بسيطة لخيارات ذهنية بحتة . ذلك أن التفسير العقائدي لماركوس وإنجلز من قبل الجيل الأول إنما اعتمد إلى حد كبير على السمات النوعية للممارسات الطبقية التي كان يشارك فيها أولئك المفكرون .

وهناك اعتباران مهمان في هذا الصدد : يتعلق الأول بالظروف التي حدثت الاستراتيجية والنشاطات السياسية للحزب الاشتراكي الألماني -أول حزب ماركسي كبير للطبقة العاملة . فقد كانت ثمة حاجة آنذاك لتنمية منظمات الطبقة العاملة، وتأسيس نقابات، ومن ثم توسيع النضالات الاقتصادية ، في ظل اعتقاد بأن الرأسمالية سوف تنهار بشكل آلى بالاكتشاف البسيط لتناقضاتها الاقتصادية الكامنة . وفي ظل سياق مثل هذا ، من الطبيعي أن يسود التفسير الاقتصادي لماركوس والذي هو من ناحية أخرى ، يشدد على حتمية عملية «التاريخ الطبيعي» التي

كان كاوتسكى ممثلاً لها الأساسية.

وحين حدث انفجار الحرب العالمية تحطم تلك التوقعات . ثم حين انفجر النظام الرأسمالى إلى الخارج حاشا دعماً جماهيريا واسعاً انشق الحزب واندمج في النظام الذى كان يفترض أن يطير هو به.

هذا واحد من الاعتبارين ، أما الثاني فهو التوجه المتزايد للحزب الشيوعى نحو ببرورقراطية شمولية صماء احتكرت لنفسها تفسير ماركس وإنجلز وكانت قادرة خلال الكومونtern على فرض «خطها الرسمى» العقائدى على الأحزاب الأخرى «فهكذا جاء التفسير السوفيتى السلطوى ليثبت ويقتن العتقدات الأساسية للمادية التاريخية . واختتمت عملية التحول الوجمنانى تلك بكتاب ستالين الأشهر «المادية الجدلية والمادية التاريخية» المطبوع فى ١٩٣٨ ، والذى أصبح ذا نفوذ مهمين على الكثير من المثقفين داخل وخارج موطنه الأصلى ، ربما حتى وقت قريب . وقد لا يعلم البعض أن مصطلح «المادية الجدلية» لم يستخدمه لا ماركس ولا إنجلز طوال حياتهما ، بل صاغه بلخانوف فى ١٨٩٤ باعتباره أكثر الأوصاف دقة لفلسفه ماركس تمييزاً لها عن «المادية الميتافيزيقية» (هوبلاخ وهلفتيوس) و«المادية الجدلية» لهيجل وهى حقيقة تلقى بظلال كثيفة من الشك على تأكيد لينين أن ماركس كثيراً ما أطلق على نظرته للعالم اسم «مادية جدلية» وأن كتاب إنجلز «ضد بوهرنچ» الذى قرأه ماركس كاملاً وهو مخطوط ، يعرض تحديداً هذه النظرة للعالم . لكن ذلك لا يعني أن كتابات إنجلز المتأخرة لم يكن لها دور فى نمو الطابع العقائدى للماركسية فهو فى «ضد بوهرنچ» ثم فى «جدل الطبيعة» يعرض للجدل باعتباره صفة عامة تلازم كل الموجودات ، وتنشئ ، مضافة إلى النظرة المادية ، فلسفة عامة تختص بالقوانين الجدلية للحركة . فرداً على قول بوهرنچ بأنه لا يمكن أن تكون هناك تناقضات فى الأشياء الواقعية ، يحاول إنجلز التدليل على أن «الطبيعة هي برهان الجدل» وعلى أنها بمجرد أن ترى الأشياء فى حركتها تظهر لنا التناقضات ، فالحركة ذاتها تناقض ، ثم يسعى إنجلز فى «جدل الطبيعة» متبناً هيجل ، إلى تأسيس وتطوير القوانين العامة للجدل التى تم تجريدها من التاريخ والطبيعة والمجتمع لتخزل فى ثلاثة قوانين : تحول الكم إلى كيف - صراع المتناقضات - ونفي النفي . وهى القوانين التى صاغها هيجل على طريقته من قبل باعتبارها مجرد قوانين للفكر .

على أنه بالنسبة لهيجل لم يكن هناك تمييز دقيق بين التاريخ والطبيعة من جانب والفكر من جانب آخر . إذ كان إنتاج الفكر بالنسبة له هو عملية إنتاج للطبيعة والتاريخ فى آن واحد بحيث يصبح جدل الأفكار هو فى الوقت نفسه جدل المادة .

وربما كان ما زاد الأمر تشوشًا ما قاله ماركس قبل ذلك عن أن ما قام به إنما هو عملية «قلب بسيط» لجدل هيجل ، رغم أننا فى مقاطع أخرى نجد أن المسألة لا يمكن أن تكون مجرد عملية



«قلب» ، لا يسيط ولا مركب . بل رؤية مختلفة ومنهج مختلف وإن ظلت هناك بصمات هيجلية واضحة في بعض المواقف.

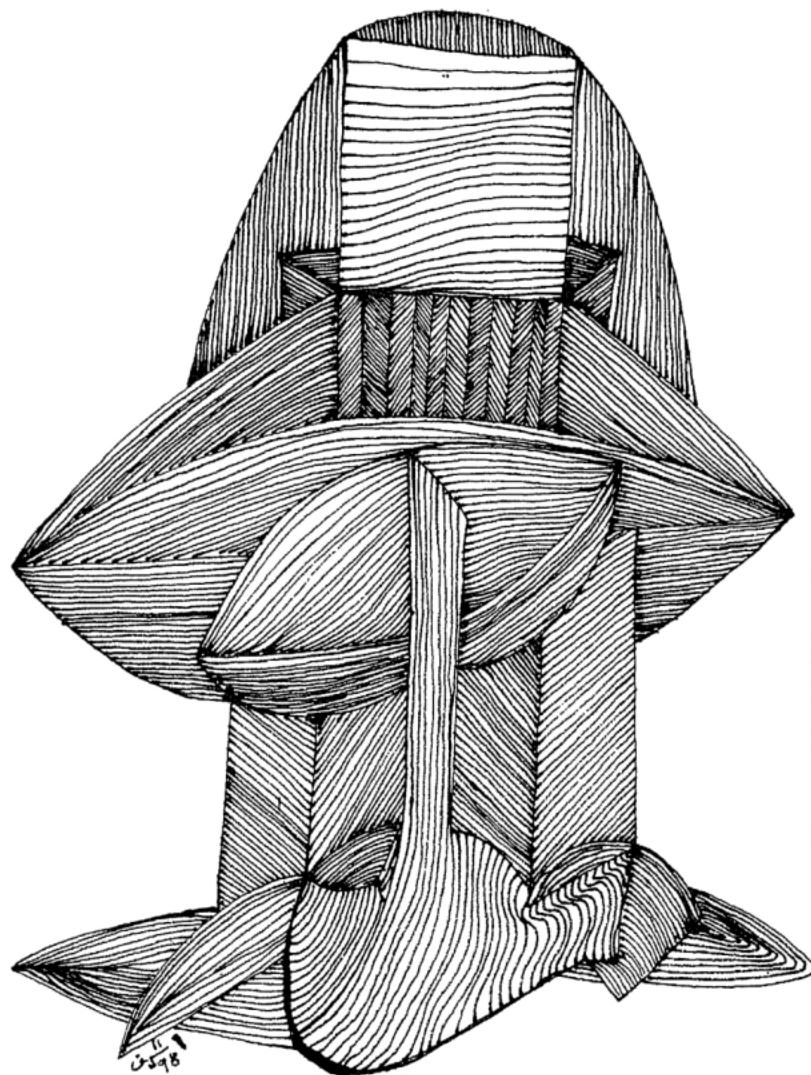
خلاصة القول هنا أنه ليس من المدهش إذن أن جيل الماركسيين الذي أخذ «ضد دوهرنج» كتقييم نهائى للماركسية ، تبنى ييل وحاول أن يقنن إلى مدى أبعد صيغة هيجلية عن الجدل باعتباره مبدأ شاملًا لكل الموجودات.

ولعل الرغبة في الكلام هنا من عندي - في تمييز الذات (البروليتارية) عن الآخر (البرجوازى) من ناحية وفي تبني منهج يتمس بالطابع العلمي - في مناخ ساد في النظرة العلمية بالمفهوم الوضعي - من ناحية أخرى ، هي التي أدت إلى المبالغة في التأكيد على الطبيعة المادية المنظومة الفكرية البازاغة . الأمر الذي انعكس على النظر إلى الوعي كانعكاس وعلى التشكيك بفكرة أولوية قوى الإنتاج ، وأخيرا على التعاقب الخامسى الحتمى للمراحل التاريخية المتوجهة نحو غاية نهائية هي المجتمع اللاتطبقى.

كذلك أود أن أضيف بإيجاز مخل - والكلام لا يزال لي - بعض العوامل الأخرى التي ربما تكون قد أسهمت ، بهذه الدرجة أو تلك في التحول الديجمانى للماركسيـة.

فهناك سينيكولوجية الحصار ، وسيكلوجية الأثنيات وهناك الرغبة الشديدة في الاستحواذ على عقل الجماهير ، تم هناك أخيرا إشكاليات المنظومة النظرية سابقة التكوين التي يتطلب معنتها تحويل الواقع بحيث يتتطابق معها ، وانعكاس ذلك على بنية المنظومة نفسها وعلى مرونتهـا أو تصليحها في مواجهة الواقع خاصة في ظل غياب آليات للتصحيح الذاتى أو للتغذية الراجعة الذاتية.

atiftant@hotmail.com



1598



عزيز الشوان:

**فدانية الموسيقى ومصريته
إعداد وتقديم: أحمد الشريف**

- د. سمحاء النولى
- د. حنان أبو المجد
- د. رشا طموم
- باليه إيزيس وأوزيريس
- بيلوجرافيا الشوان

كان القدماء يقصدون بكلمة موسيقى كل ما هو خير وكل ما يتفق مع الصالح العام . وقد استخدم أفلاطون كلمة موسيقى بهذا المعنى ، وتحدث في «قوانينه» و«جمهوريته» عن الموسيقى المصرية بإعجاب شديد ورفعها درجة كبيرة فوق موسيقى اليونانيين القدماء واقتصرها باعتبارها الانموذج الأفضل والأكثر اكتمالاً للموسيقى ، سواء بسبب تدفقها وحيويتها وسمو تعبيرها أو لروعه جمال آحانها . ليس أفلاطون وحسب الذي تكلم باحترام وإعجاب شديدين عن الموسيقى المصرية ، بل أبرز مؤرخي الأزمنة القيمة مثل جوبا وأثينيون ، لقد قالوا عن المصريين إنهم خير موسيقيين العالم . لذلك يجدر بنا الاهتمام بموسيقاننا ومؤلفينا الموسيقيين . وكعادة المجلس الأعلى للثقافة بادر بالمرجو منه وأقام يومي ٢٠ و ٢١ يونيو احتفالية ذكرى مرور عشر سنوات على وفاة المؤلف الموسيقي العزيز الشوان .

في كلمة الافتتاح أشار د. راجح داود مقرر لجنة الموسيقى والأوركسترات والباليه في المجلس ، إلى دور عزيز الشوان بالنسبة للثقافة المصرية بشكل عام وللتقاليف الموسيقية بشكل خاص ، ولاسيما وأنه أحد رواد التأثير وأحد رواد الموسيقى المصرية في القرن العشرين ، ومن أوائل من اهتموا بعملية التأليف الموسيقي من خلال دراسات جادة على ممارسة هذا الفن الإبداعي الجديد . لقد كانت مصر محصورة بين الطرف والفنان ، والموسيقى التقليدية . وبعد كلمة د. راجح تكلم المحاضرون عن الشوان وأعماله التي تحمل طابعاً قومياً مصرياً (أبو سنبيل) و(إيزيس وأورنديس) ذكرت ذلك د. حنان أبو المجد . واستهلاماً وتنتها على الموسيقى الشعبية كما في لحن «عطشان يا صبياً» وقد توقفت د. رشاط مومع عند هذه النقطة بالتحليل .

أما عالمة الموسيقى د. سمححة الغولى فقد أطلقت على عزيز الشوان وأبو بكر خيرت ويوسف جريس وجمال عبد الرحيم ورفعت جرانه وعطيه شراره وحسن رشيد ويوسف السيسى وغيرهم من مؤلفى الموسيقى المصريين لقب (الذائبين) ، لأنهم كرسوا حياتهم لفن الموسيقى كالتأليف ، لم تكن له معاهد متخصصة ولا أجهزة للأداء كالأوركسترات والفرق ولا وسائل لتدعوه ولا حتى جمهور يتقبل هذا النوع من الموسيقى .

أثناء فترة الاستراحة وقبل عرض فيديو لجزء من أوراقه من إنس الوجود ، ذكرت لي السيدة ليلي الشوان زوجة الراحل الكبير ، أنها لم تر عزيز إلا وهو يعمل ، حتى فترات الراحة كان يقضيها في القراءة والإطلاع وأنه كان يتكلم ويقرأ باكثر من لغة وباتقاد الآخر الذي جعل أستاذته أرام خاشنودريان يقول عنه ، إنه إلى جانب موهبة الموسيقية الكبيرة فهو يتكلم الروسية مثل سكان موسكو . درغم العانة الشديدة في عمله وحياته وعدم تقديره بما هو جدير به ، لم يكن يرفع صوته أو يغضب وينفعل بشدة ، ولم يشك لا من الموسيقى ولا من الظروف المحيطة به وبها . كان يتحمل مصاعب كثيرة بصبر وجلد ودماثة الصالحين . عزيز الشوان كان يعي ويدرك دوره جيداً ، لهذا ليس مستغرباً أن يقول في استهلاله لكتابه (الأورك) : الموسيقى فن مادته الأصوات والأنغام وهي تعبر يأتي من أعماق النفس كالشعلة المضيئة يسعد به المبتكر والمتلقى ، لذلك جعلت منها رسالتى في الحياة ، عازفاً أبعث فيها روح مؤلفها ، ومؤلفاً أصوغها في أشكال نغمية لا صنع منها أعمالاً تحمل إلى الناس رسالتى في التجديد ورفع شأن الموسيقا المصرية ، فإن لم تفعل ذلك مؤلفاتى اليوم ، فربما يتحقق أملى هذا غداً أو بعد غد .



في ذكرى رحيله العشرين

سهمة الفولى

من الثواب الجديدة التي فرضت نفسها على الحياة الثقافية في بلادنا -في النصف الثاني من القرن الماضي ظهر فن التأليف الموسيقي المصري الجديد ، والذي يعتمد على جوهر مصرى ، يعبر عنه فنانوه بأساليب التأليف الموسيقى الغربى.. ولكن هل يفكر أحد منا اليوم في ضخامة المgamرة التي خاضها هؤلاء الفدائين من مؤلفي الموسيقى المصريين (بدعا من جريس وخيت ورشيد إلى الشوان وعبد الرحيم وجرانه وشراارة الرمالى وغيرهم- هل فكرنا في مشاعرهم حين قرر هؤلاء الرجال الشجاعان أن يكرسوا حياتهم لفن موسيقى كالتأليف (بالمعنى العلمي الكامل) فن لم تكن له معاهد متخصصة لتعليميه فى مصر / ولا أجهزة للأداء كالآركسترات والفرق لأدائها / ولا وسائل لتدريبه غير التدوين (الكتابه) اليدوية / ولا حتى إمكانات التصوير الضوئي (الزيروكس) لتصوير مدوناتهم ، ولا إمكانات للتسجيل كالاسطوانات ، أو الشرائط (كاسيت) للتسجيل .. بالاختصار فإنهم قد أتوا بأنفسهم في مجال محفوف بالغيم والضباب دون أن يكون لديهم أى ضمان لتقديم موسيقاهم للجمهور ، ولا لتقدير الجمهور لها ، ان هي عزفت له - فهو جمهور يعرف الموسيقى على أنها الغناء والطرب فليس ضمن خيراته النفسية أن «يستمع» لموسيقى تعبّر عن مشاعر أو معانٍ أو موضوعات أو تخاطب الفكر ، وليس الحواس وحدها: هل تفاصيلنى إنذ على تسمية هؤلاء المؤلفين «بالفدائين»؟ ألم يكن تمكّهم بتحقيق نواتهم

في هذا المجال مفاجأة حقيقة وإنقاداً شجاعاً، يستحق هنا أن نحييه بكل الاحترام والتقدير؛ في كل ذكرى؟ هذه بعض الخواطر التي تواردت على والتي أردت أن أقدم بها لهذا العرض «ل وسيقي» عزيز الشوان بعد عقد من رحيله.

والشوان هو في الواقع واسطة العقد بين الجيلين الأول والثاني من مؤلفينا - فقد ولد أصغر أبناء جيل الرواد (أبو بكر خيرت) سنة ١٩١٠، وبعده بستة أعوام ولد الشوان سنة ١٩١٦، بينما أغلب أبناء الجيل الثاني قد ولدوا في العشرينيات (و قبل خاتمة الرابع الأول) - ثم هو قد درس التأليف الموسيقي محلياً في البداية - مثل أغلب مؤلفي الجيل الأول - ثم أتيحت له فرصة الدراسة المنهجية للتتأليف الموسيقي بكونسرفتوار تشايكونفسكي على خاتشافوريان ، وإذاك فإن تجربة حياته تعد فعلاً واسطة العقد بين الجيلين.

وسوف نستعرض هنا ما تحقق ل وسيقي الشوان عبر ثلاثة محاور :

أ- تعريف بانتشارها وأدائها محلياً التعريف بما سجل منها ثم استعراض التعريف بما كتب عنها على صفحات المراجع الموسيقية المحلية والأجنبية.

لاشك أن الاستماع المتواتر هو أفعى وسائل التعرف على فكر المؤلف الموسيقي وفنه. وموسيقي عزيز الشوان ربما كانت أسعد حظاً من غيره من المؤلفين الموسيقيين المصريين من غابت موسيقاه عن الحفلات الرسمية وعن الجمهور - فموسيقاه كانت حاضرة بشكل متتساعد ، في الأعمال الإركسترالية مثل أبو سنبل ، وكوتشنرتو البالينو الذي احتل بالتدريج مكانة - مهمة ضمن الريتروار ، وتم تسجيله في الأوبرا على اسطوانة مدمجة C.4 وقدمه اركسترا القاهرة السيمفوني عدة مرات .

أما الذروة الحقيقة للحضور الموسيقي للشوان فقد كانت أوبراه «أنس الوجود» التي قدمت أكثر من مرة - بصورة كونسيير - إلى أن أمكن إخراجها إخراجاً مسرحياً كاماًلاً سنة ١٩٩٦ توارفت له أسلوب النجاح الفني ، من قيادة المايسترو يوسف السيسى الذى بذل جهداً لا ينسى في هذا المجال ومن إخراج مخرج فرنسي وديكور لفنان فرنسي أيضاً . وأصبحت «أنس الوجود» الآن من أعمال الريتوار لفرقة الأوبرا المصرية ، وهى التى تستمتع بمشاهدة فصلها الأخير في هذه الندوة. ولا ننسى ما تحقق فى الدراسات العليا فى «مادة الإبداع المصرى فى الصياغات الغربية المقررة على الكوتشنرتو فى أكاديمية الفنون كل طلاق أقسام المعهد مطالبون فيها بذاء عمل (عزف أو غناء) للمؤلفين الذين يدرسون موسيقاً - والشوان من بينهم بالطبع وأنذك أن ثلاثة من أعماله قدمها هؤلاء الطلاب فى حفل فى شهر مايو ١٩٩٣ لجمعية الشباب الموسيقى المصرى وأمكن إرسال تسجيل لها للمؤلف الراحل قبيل رحيله بائتمان قليلة .. وهكذا خرجت موسيقاه من فوق رفوف المكتبات إلى الحيز العملى فى حفلات الأركسترا وحفلات موسيقى الحجرة بتنوعها.

أما فى مجال تسجيل أعمال الشوان فإن الحصيلة أيضاً مشرفة ، فقد أصدرت له مؤسسة «بريزم» بالعلاقات الثقافية الخارجية ، لوزراء الثقافة - شريطين سجلت عليهما أبو سنبل موسيقى

واليه إيزيس وأوزيريس في حافظة صغيرة أنيقة.

وناتئ للمحور الثالث من رصد مسار موسيقى الشوان وهو المتصل بمكانه على صفحات المراجع الأجنبية بصفة خاصة ، نظرا لما تتميز به عادة من الجدية ونقاء التعبير والتقطيم ، طبقاً لمعايير علمية تلتزم بها مؤسسات تحرير تلك المراجع.

وأهم المراجع الموسيقية الانجليزية، كما هو معروف ، قاموس جرقو للموسيقي والموسيقيين وفي طبعته الأخيرةتين سنة ١٩٨٠ سنة ٢٠٠٠ سرد ذكر عزيز الشوان كواحد من مجموعة موسقيين مصرىن (طلب مني أن أكتب عنهم سنة ١٩٧٩) بينهم مطربون وملحنون : محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الرحيم حافظ وفريد الأطرش ومحمد عثمان وسيد درويش وعدد آخر -يمكن تorsiيعه إلى ستة من المؤلفين الموسيقين ، هم جريس، أبو بكر خيرت ، حسن رشيد عزيز الشوان، جمال عبد الرحيم ورفعت جرانة- وكانت هذه هي أولى خطوات الحضور التولى عبر المراجع وكانت الكتابة في ذلك الوقت أمرا شاقا لقلة المعلومات والمصادر، ولكن أمكن أن تتضمن هذه الطبعة ١٣ اسماء مصريةا لشخصيات موسيقية مختلفة ومؤثرة في الحياة الموسيقية.

ثم توسيع قواميس جروف إلى قاموس للآلات وأخر للأورا وهو الذي صدر سنة ١٩٩٥
وطلب مني أن أكتب فيه مدخلاً صغيراً عن كل من حسن رشيد -أورا مصري أنطونيو وسید
درويش الأوريينات . ولم يطلب مني الكتابة عن الشوان ، مع أنه الف أورا أنس الوجود منذ
أواخر السنتينيات . وعندما صدر هذا القاموس بأجزاءه الأربع فوجئت باسم الشوان وارداً فيه
مذيلاً باسم كاتبة واسمها «William Elias» ، وعرفوه بأنه فقط من «تل أبيب / إسرائيل» وكانت هذه
مفاجأة غير سعيدة لي .

وجاءت مفاجأة أخرى أقل سعادة، عندما كتبوا إلى بعد الانتهاء من توسيع الكتابات عن عزيز الشوان وجمال عبد الرحيم (بعد وفاتهما) إلى ٥٠ كلمة لكل بدلًا من ٢٠٠ لطبعه، إذ أن التحرير طلب مني أن يشير إلى هذا لوليان إلیاس بجانب اسمى في مقالتي لجروف الجديد سنة ٢٠٠٠ عن الشوان ورفقت الفكرة تماماً وكتبت لمسئولي التحرير خطاباً أشير فيه إلى بعض مثالى كتابة ولليام إلیاس وما ورد بها من أخطاء في قاموس جروف للأپيرا وألخصها هنا فيما

كتب هذا الكاتب عن أوبرا عنترة ١٩٤٧ أنها من فصلين والحقيقة أنها من ثلاثة فصول ، وبعد شرح مبتسراً للقصة الشعرية لأحمد شوقي كتب إن موسيقاها مكتوبة بأسلوب تقليدي جداً وأنها تمثل المرحلة المبكرة في أسلوبه الموسيقي وهذا صحيح إلى حد ما - ثم أضاف أن الهمونية والكتيرابينط عنده فيها أقرب للمحسنات والزخارف! وهذا غير صحيح ، وسوف تستمعون إلى مشهد منها غداً بإذن الله: فإذا كان المؤلف قد كتب مقدمة هذا المشهد بنسيج هش منمق بال كان متعمداً لأنه من غير الطبيعي أن يرسم جو البدو والمصراء بنسيج موسيقى أوروبى كثيف ، ولكن يستلاحظون من كذلك تكثيف الكتابة الهمونية في موقع النزوة من الحوار العاطفى بين عبلة وعنترة .. أما عن «أنس الوجود» (والتي يكتب اسمها) «أناس» باضافة شرطة فوق حرف **transliteration** لغة العربية بالصروف اللاتينية) وأصبح الاسم ينطق حسبما كتبه «أناس الوجود» (من ألف ليلة وليلة).

وحُرف كلية في القصة إذ كتب أن «أناس» الوجود وقع في غرام زهرة الورد» وترجم الاسم إلى flower of the rose ؟! والاسم الصحيح كما ورد في «ألف ليلة وليلة» هو الورد في الأكمام - وهو الاسم الذي اختصره الشوان إلى ورد الأكمام (ليس زهر الورد) - وقال: ورفض أبوها الوزير زواجه من أنس الوجود ، وقرر نفي ابنته إلى معبد إيزيس في جزيرة فيلة وأمر بقتل أنس الوجود - ولكنه هرب وذهب إلى حبيبته في منفها واتحدا معاً ؟ أي أن شرحة القصة في الأوبرا قد ألغى تماماً شخصية السلطان (وهو وارد في الأصل أنه «الملك» الذي كان هو يرغب في الزواج من ورد الأكمام - والتي موقفه التنبيل في الأوبرا حين تخلى عن رغبته الشخصية ليجمع شمل الحبيبين وادهى إليهما الجزيرة مما جاء عن أنس الوجود محرف في اسم البطل والبطلة قليلاً بما جاء بتصد «عنترة» ، وهي التي أشكت تماماً في أن يكن قدماً طلع على مدونتها ، وكل ما يمكن ، أن يكون قد استمع لافتتاحيتها (أوبرا عنترة) التي سجلت على أسطوانة في موسكو بقيادة الكساندرا «جاووك».

وامتدت الخطابات بين التحرير وبيني حول مشكلة ذكر الاسم حتى وصلت لدرجة التشاحن ولا أعرف على وجه التحديد: هل طبقوا مطلبى الذى شرحته لهم مستنداً إلى هذه الأخطاء فى كتابات وليام إلياس أم لا؟ - على كل الأحوال فإن المطلع على ما كتب عن الشوان في قاموس جروف «الجديد» فيه عرض واف لأعماله وأسلوبه باؤس مما جاء في الطبعة السابقة سنة ١٩٨٠ وأوفى . من هذا كله يتجلى أن الأضواء التي سلطت على موسيقى عزيز الشوان خلال السنوات الأخيرة عاونت على تحقيق حضور كبير لها أداءً وتسجيلاً ودراسة على صفحات المراجع الغربية الكبرى ونرجو أن يتضاعد هذا الحضور ليعطي له ولزماته «الفدائين» من مؤلفينا الموسيقيين ما هم به جديرون من احترام وتقدير وتعاطف ومساندة .

(*) أما طبعة سنة ٢٠٠٠ فقد زاد فيها عدد المcribs إلى ٢١ اسماً.



الملاحم المميزة لأسلوب عزيز الشوان

حنان أبو العجد

بعد عشر سنوات من وفاة المؤلف المصري الكبير عزيز الشوان ، ما زلتني بحث تتحقق في تراثه لاستكشاف سمات وجوانب جديدة من إبداعه الفني بعشرين سنة في تاريخ الفن ليست بالفترة الطويلة ، فقد تعلمنا من قراءة تاريخ الموسيقى عزيز العصور أن إدراك قيمة الفنان وقيمة إبداعاته قد لا تتحقق إلا بمرور سنوات طويلة من البحث والتدقيق ومما يزيد من صعوبة ذلك في مصر ، أن أعمال المؤلفين المصريين موضوع البحث غير متوفرة ، فإن وجدت التسجيلات قد لا توجد المدونات ، وأن توفرت المدونات فلا يكون لها تسجيلات وفي بعض الحالات نجد جزءاً كبيراً من قائمة أعمال المؤلف لم تعرف بعد ، مما يصعب من إمكانية وضع صورة شاملة وكاملة عن إبداع هذا المؤلف.

ويالقدر المتاح من المدونات والتسجيلات المتنوعة لعزيز الشوان نحاول في السطور القادمة أن نبرز الملاحم المميزة لأسلوب واحد من رواد التأليف الموسيقي المصري المعاصر.

أسلوبه الموسيقي

تحمل معظم أعمال الشوان طابعاً قومياً مصرياً وتظهر قائمة أعمال الشوان اهتمامه الواضح بالمواضيعات الفرعونية ، فإلى جانب أوريرا أنس الوجود ، كتب الشوان الصورة السيميفونية «أيو سينبل» للأركسترا والكورال ، وبالإيه إيزيس وأوزوريس».

وقد تأثر أسلوب الشوان بوجه عام بأسلوب فترة الرومانسية المتأخرة وبصفة خاصة الروسي منه

ويرجع ذلك لسفره المتكرر إلى الاتحاد السوفيتي سابقاً ودراسته مع المؤلف الشهير أرام خاتشا وريان لمدة عام ونصف في كونسروفيتوار موسكو. ويستعرض في السطور القادمة بشيء من التفصيل ، الملخص المميز لأسلوب عزيز الشوان بصفة خاصة في الألحان والنسيج والتلوين.

الألحان

تتميز ألحان الشوان بالغناية المطومة أحياناً بالحليات والزخارف المميزة للألحان المصرية، كذلك تتسم الألحان بالاسترسال الشبيه بالارتفاع في المراويف الغنائية مما يدعم الروح المصرية في الألحان (نموذج موسيقي أرابيسك رقم ٢).

والمؤلف أسلوب معروف في تحويل الألحان العمل الرئيسية حيث تظهر هذه الأنماط اللحنية في أجزاء مختلفة من العمل بتحويل وتوزيع شيق يساعد على ربط أجزاء العمل ارتباطاً عضوياً ونفسياً مثل استخدامه أحياناً من الحركة الأولى في كونشرتو البيانو بشكل مختصر في نهاية الحركة الثالثة كلود من الربط بين حركات الكوتشيروتو وهو يعتمد في بناء الأجزاء الكبيرة على الوتيفات اللحنية القصيرة الكثيرة والتي يصوغها بشكل كترابينطي يعتمد على المحاكاة مثل فقرة الانتترميو من أوبرا أنس الوجود، أو يعرض هذه الوتيفات اللحنية في صورة تنويعات ، وهو كذلك يستخدم بكثرة التكرار والتتابعات اللحنية، وعند إعادة للألحان يطعمها بالهارمونيات المثلثة.

ولم يعتمد الشوان كثيراً في أعماله على الألحان من التراث العربي الشعبي التقليدي إلا في أعمال قليلة . ويتناول الشوان هذه الألحان التراثية في إطار نسيج غربي يحمل سمات فترة الرومانسية المتأخرة وعند اعتقاده على ألحان شعبية في أحد أعماله فإنه يبذل جهداً موفقاً في تتميمتها بالتلويون بمسارات مقامية مختلفة ، وهو عادة يستخدم جزءاً قصيراً من اللحن الشعبي يعمل على تكراره تائراً بأسلوب الموسيقي الشعبي وعادة ما يتناوله بكتابية كترابينطية ، ثم يستخدم هذا الجزء اللحنى القصير في سلسلة من التحولات المقامية السريعة مثال على ذلك استخدامه لحن الله يا بدوى « وهو لحن لدراويش السيد البدوى في الحركة الثالثة من كونشرتو البيانو لحن سالمة يا سلام ، في كونشرتو البيانو (نموذج موسيقي الحركة الأولى) .

ومن الأعمال التي استخدم فيها الألحان الشعبية المصرية المعروفة كذلك التنويعات السيمفونية للحن عطشان يا صبايا ، وكذلك سيمفونية عمان التي تقوم على إيقاعات وألحان شعبية ب كاملة أو مجزأة ، تمثل الطابع الشعبي العماني في مناطق الشمال والجنوب.

التلحين الغنائي:

قد تكون أهم إنجازات عزيز الشوان أعماله الغنائية فقد نجح الشوان في أوبرا أنس الوجود إلى حد كبير في كتابة موسيقى تلائم اللغة العربية من ناحية ، وتناسب تقنيات الغناء الأوبرالي من ناحية أخرى ، وهو ما يعد من المشاكل الشائكة التي تمثل تحدياً حقيقياً للمؤلف الموسيقي تعتمد في تقنياتها على الأساليب الغربية في التأليف الموسيقي وقد كتب الشوان للغناء اثنتين من الأوبرا هما أنس الوجود والتي عرضت كاملة عام ١٩٩٦ بعد وفاة المؤلف ، وأوبرا عنترة والتي لم تعرض حتى الآن وتم فقط عزف

وتسجيل الافتتاحية - وستقدم غداً في الحفل المكمل لهذه الندوة بالمسرح الصغير مشهد من هذه الأوبرا عملت على إخراجها إلى النور الاستاذة الدكتورة سمية الخولي بالتعاون مع المؤلف الموسيقي على عثمان (نموذج موسيقى من أنس الوجود هو ثانٍي وكودال ختامي) والشوان كذلك أربع غنائيات (كانتات) منها القسم ، وبلادي وبعض الأغانيات المنفردة مثل «الموال» و«البركان» (وسيقدمان كذلك غداً).

المقافية:

تنقسم المقافية عند الشوان بأنها غير ثابتة وكثيرة التحول ، فالبلغم من وجود دليل المقام في بداية العمل إلا أنه ينقيب به لفترات طويلة ويقوم بعمل تحويلات كبيرة بين المقامات مستخدماً في بعض الحالات مقامات الموسيقى العربية مثل مقام الكرد في آريا «أين أنت الآن» وفي الرقصة الشرقية من الفصل الثاني من أوبرا أنس الوجود ، ومقام التو أثر في الحركة الأولى من كونشرتو البيانو وفي افتتاحية أوبرا أنس الوجود كما استخدم بعد الثانية الرابعة للميز لقام الحاجز في مجموعة مقطوعات البيانو آرابيسك وكذلك استخدم الشوان المقامات الجرجورية القديمة مثل مقام الليدي في الانترمتوس (الفاصل الموسيقي) في أوبرا أنس الوجود وكذلك مقام المكسوليدي في رقصة الوصيفات من نفس الأوبرا وقد استخدم الشوان المقامات الخامسة بفرض التلوين في اللوحة السيمفونية «أبو سنبل» حيث يبرز من أن لا خلل العمل.

النسيج الموسيقي

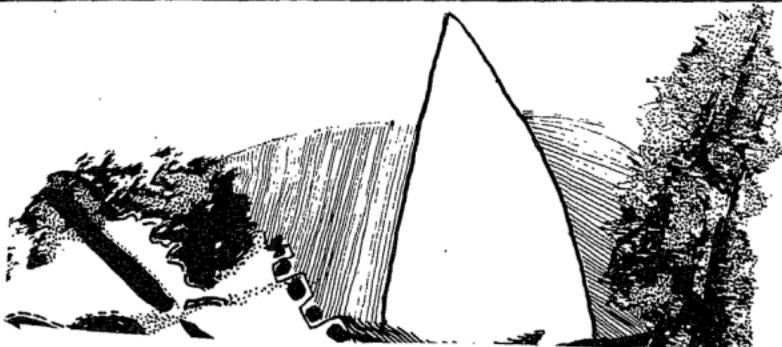
كتربابطياً ، يستخدم المؤلف أقانين الكانون والمحاكاة في نسيجه الموسيقي وخاصة في تطوير الأقسام الموسيقية مثل افتتاحية أوبرا أنس الوجود وعند تكرار موضوعات أو أنكار لحنية في العمل الواحد فإنه يلجأ لاستخدام بعض الأقانين الكتربابطية الأخرى مثل التكبير والتضييق.

أما هارمونيا

فتقسام لغة عزيز الشوان الهاーモنية بالكماتية والثانويات المضافة - وذلك من السمات المميزة لفترة الرومانسية المتأخرة - مع لمسة من التناقض في النسيج الهاـرموـني في بعض الأعمال بغرض التلوين، وهو في ذلك متاثراً بالمؤلف الروسي رـحـمـانـيـفـ إلى جانب تأثيره بـدرـاسـتهـ معـخـاتـشـادـورـيـانـ . وأسلوبـهـ الـهـارـموـنـيـ فيـ أـعـمالـهـ يـقـومـ غالـباـ عـلـىـ التـركـيـبـاتـ الـهـارـموـنـيـةـ الـثـلـاثـيـةـ التـقـيـدـيـةـ معـ استـخـدـامـ الـلـمـسـ والتـطـعـيمـ والـانـقـلـابـاتـ بوـالـآـفـالـاتـ بـتـوـالـيـ الـثـلـاثـاتـ لـاغـطـاءـ كـثـافـةـ هـارـموـنـيـةـ ، وـمـنـ سـمـاتـ أـسـلـوـبـهـ الـهـارـموـنـيـ كـذـالـكـ مـزـجـ الـرـابـعـاتـ الـمـخـلـفةـ :ـ التـاتـمـةـ وـالـنـاقـصـةـ مـاـ يـعـطـيـ إـحـسـاـسـيـ بـالـتـاـفـرـ لـكـنـهـ لـيـسـ شـدـيدـ لـأـنـ يـاتـيـ بـنـ ثـانـياـ الـلـحنـ .

ومن سماته المميزة عدم تحديد الفجوة بين المقامين الكبير والمصغير كما في الحركة الأولى من كونشرتو البيانو بين مقامي سى بيمول الكبير سى بيمول المصغير وفي بعض الحالات التي يرغب فيها المؤلف بإعطاء الطابع المصري ، تتميز القفلات بتطويل واستدارة مصرية أصلية مثل نهاية الانترمتوس من أوبرا أنس الوجود.

كما تتسنم هارمونياته في بعض الحالات بنهاية مقامية مع فقرات من التحويلات إلى السالم القريبة



كما في كونشرتو البيانو وسيمفونية عمان وافتتاحية أوبرا أنس الوجود.

الكتابة الأركستراية والتلوين:

تظهر أعمال عزيز الشوان الأركستراية موهبته المميزة في مجال التلوين الأركستراى ومعرفته بامكانات آلات الأركسترا وحسن توظيف أدواتها لخدمة العمل الفنى وبصفة خاصة الآلات الورقية والآلات النفخ الخشبية التي يستخدمها ببراعة ويسلاسة مثل في افتتاحية أوبرا أنس الوجود وفي توبيعاته على لحن «عطشان يا صبايا» والتي تعد من أبرز أعمال المؤلف. أما آلات النفخ النحاسية فهو يوظفها في المواقف القوية والحماسية مثل في اللوحة السيمفونية «أبو سمبل» والتي وضع لها خلفية رينينية قوية فخمة التلوين للآلات النحاسية توحى بضخامة المعبد . وللمؤلف طريقة مميزة في تكرار أحانى عن طريق انتقالها بين الآلوان المختلفة لآلات الأركسترا مثل بداية الحركة الثانية من كونشرتو البيانو حيث يبدأ اللحن الأساسي تعزف آلة الكلارينيت تتبعها الأوبرا ثم آلات الفيولين ثم البيانو المنفرد وبعد فقرة قصيرة يقوم الأركسترا بالكامل بعزف نفس اللحن.

ويحاول المؤلف في بعض أعماله أن يحاكي رنين أصوات آلات شعبية أو تقليدية مثل الكادنستة الشهيرة في كونشرتو البيانو والتي يحاكي فيها صوت آلة القانون ، والتي تلجمها كذلك في قطعة البيانو أرابيسك . كذلك في سيمفونية عمان يحاكي المؤلف في أجزاء متعددة رنين أصوات الآلات الموسيقية الشعبية العمانية.

ومن المؤكد أن أسلوب عزيز الشوان في التلوين الأركستراى يصنف على أعماله بعدها تعبيرياً مميزاً . وفي الختام أود أن أشير إلى أنه لا يزال الوقت مبكراً لوضع صورة شاملة وكاملة لأسلوب عزيز الشوان وغيره من المؤلفين المصريين ، ما دامت هناك أعمالاً لم تسجل وأخرى لم تعرف حتى الآن ، ومن هذا المنبر الثقافي ، وبهذه المناسبة ، نطالب كل الجهات المعنية بمزيد من الاهتمام والعمل الجاد المخلص على إخراج أعمال المؤلفين المصريين للنور ونشرها كمدونات موسيقية ، وإتاحة الفرص لعزفها وتسجيلها حتى لا تبقى إبداعات هؤلاء المؤلفين راثاً صامتاً.

الشوان وموسيقاه

البناء اللحنى والصياغة

رشا طموم

عزيز الشوان هو واحد من أهم المؤلفين الموسيقيين المصريين القوميين الذين شغلوا أنفسهم بمحاولة الخروج بالموسيقى المصرية من نطاق المحلية إلى العالمية. وقد سعى الشوان لتحقيق ذلك ليس فقط من خلال أعماله الموسيقية بل من خلال مقالاته وكتاباته التي كان يدعو فيها دائماً على أهمية تأكيد الفنان المبدع على هويته الثقافية حتى لا يتوه في عالم العولمة الواقفة. وفي مقال له بمجلة الموسيقى العربية عام ١٩٧٣ أشار إلى أنه "إذا لم تكن موسيقانا وأغانيانا قادرة على أن تأخذ مكانها اللائق بين موسیقات العالم باعتبارها فنونا نابعة من حضارات عريقة فليس ذلك عن ضعف في جوهرها بل عن عوامل تاريخية وسياسية عرقلت تطور هذه الموسيقى الثرية في عناصرها". وأكد أنه لن يتأتي الوصول بالموسيقى المصرية إلى العالمية إلا من خلال الارتباط الوثيق بالتاريخ والترااث أى الأصالة، مع استيفاء المواصفات العلمية والفنية أى تقنيات التأليف الموسيقى العالمي أو المعاصرة.

فجات أعماله الموسيقية تحمل رسالة فنية مزدوجة، رسالة تخاطب المستمع المصري البسيط تقوده لفهم أن الموسيقى ليست فقط فناً يهدى الحس ويطرأ الوجدان بل هي فن يخاطب العقل والوجدان معاً، يجعلنا نتفكر ويتأمل لنستشرع صنعة الفنان المبدع وابتكراته. وأن المتعة العقلية ستكون أعمق وأطول تأثيراً من مجرد التطريب الوجداني.

أما الرسالة الأخرى فهي إلى المستمع في العالم كله تهدف إلى تعريفه بعناصر الموسيقى المصرية الشرقية من خلال صورها في بيونقة الأشكال والصيغ الفنية التي اعتاد الاستماع إليها لتضفي عليها مذاقاً خاصاً يتحقق تجديداً لهذه الأشكال وشهرة وانتشاراً للموسيقى المصرية المحلية . وقد سبقنا في ذلك العديد من مؤلفي المدارس القومية في كثير من البلدان التي وصلت بموسيقاهما المحلية إلى الانتشار في العالم كله .

ولتحقيق هذه الرسالة الفنية المزدوجة أدرك الشوان أن المواطن المصري خاصة بل والعربي على وجه العموم ، هو إنسان رومانتيكي بطبيعة يعلى من شأن الأحساس والانفعالات ، وأن الوصول إلى عقله لن يكون إلا مروضاً بمشاعره ووجانه ، لذا فقد جاءت أغلب أعماله الموسيقية رومانتيكية الطابع تحمل سمات شخصية المتحدث والمتنقى ، وجاءت أغلب الحانه غنائية مسترسلة تقترب من طبيعة الألحان المصرية التقليدية وتحمل كثيراً من الملامح التقاسيمية وأسلوب نهايات الجمل اللحنية الشرقية .

وقد جمع في بناء أفكاره اللحنية بين أسلوب السردية الذي يميز الموسيقى التقليدية الشرقية وبين البنائية اللحنية الدرامية في الفكر الموسيقي الغربي ، البناء السردي للألحان : الذي يظهر فيه الجمل اللحنية متراسمة بشكل أفقى لا ترتبط فيما بينها بعلاقات بنائية بقدر ما هي علاقات مقامية ويمكن أن نلمس ذلك مثلاً في أسلوب البناء اللحنى السردى للسماعيات التي تحرك العrelations المقامية أكثر من اللحنية . أما البناء اللحنى الدرامي في الفكر الموسيقى الغربي فهو قائم على توليد الأفكار الموسيقية من بعضها البعض مع إيجاد علاقات لحنية ومقامية بينها سواء بالتشابه أو التنويع أو التضاد أحياناً . ويلجاً أغلب المؤلفين الموسيقيين إلى التعامل مع هذه الأفكار اللحنية بالتنمية والتطوير خلال العمل الموسيقى مما يحقق بناء درامي متضاعداً .

أما عن أسلوب تنظيم هذه الأفكار الموسيقية أو منطلق عليها صياغة العمل أو الخطة البنائية الداخلية له ، فقد تناول الشوان الصياغات الموسيقية الغربية المنشأ بما يتلامع مع نوعية العمل الموسيقى الذي يبعده ومع طبيعة أفكاره الموسيقية واللحنية التي ألفها . وسعى فيها للجمع ما بين تحقيق تلقائية القبول لدى المواطن البسيط والصنعة الفنية في تناول هذه الصيغ التي تتجنب متنزوعي الموسيقى في مصر والعالم كله .

وهو ما يمكن أن نلمسه في ثلاثة من أهم أعماله الموسيقية التي توسيع أسلوب الشوان في بناء الحانه وصياغتها الموسيقية .

أولاً : كونشرتو البيانو : من أهم أعماله الموسيقية التي ألفها في المرحلة الثانية من حياته الفنية عام ١٩٥٥ يظهر فيها التأثير الروسي الرومانтиكي الواضح والذي يقترب إلى حد كبير من ذوق المستمع المصري .

صاغ عزيز الشوان الحركة الأولى من هذا العمل في واحدة من أصعب صيغ التأليف الغربي وهي صيغة الصوناتا التي تحتاج لصنعة وتقنية عالية من المؤلف الموسيقي . هذه الصيغة قائمة على فكرتين

موسيقيتين رئيسيتين يقوم المؤلف بتناولهما في إطار ثلاثة أقسام موسيقية ، القسم الأول لعرض الأفكار الأساسية والثانوية والقسم الثاني للتمييز والتفاعل بها والقسم الثالث لإعادة عرضها في السلم الأصلي والختام . ويزيد على هذه الصياغة ما يخص مؤلفة الكونشرتو من مراعاة الحوار بين الآلة المفردة والأوركسترا في عرض الأفكار وتمييزها مع وجود جزء افرادي لللة لاستعراض مهاراتها الأدائية يسمى الكادنزا.

تناول عزيز الشوان أفكاره الموسيقية في هذا العمل باسهاب يعكس تأثير الموسيقى الشرقية والأسلوب الرومانتيكي الروسي . فقد عرض الفكرة الموسيقية الأولى ذات اللحن العريض المسترسل بشكل مطول ومتصاعد وبعد فقرة انتقالية تظهر الفكرة الموسيقية الثانية الغنائية الرقيقة محققا التضاد المطلوب بين طابع الفكرتين ومقامهما .

ثم يظهر بعدها جزء الكادنزا ذو الملحن التقاسيمي خاصة لأسلوب أداء آلة القانون لتشكيل فكرة موسيقية جديدة على غير ما اعتاد عليه المؤلفون في بناء الكادنزا من الأفكار الموسيقية الأساسية . يلى ذلك ظهور قسم التنمية والتفاعل والذي بناء الشوان على مادة لحنية جديدة استهل فيها ملامح اللحن الشائع " سالمة ياسلامه " لسيد درويش ليتمثل استطرادا لم يلغا فيه للتعامل مع الأفكار الأساسية بالتفاعل وقد يكن ذلك لطول قسم العرض واسترسال الألحان مما تضيق معها إمكانية تناولها بالتنمية إلى جانب تخوفه مما قد يحدث من ملل نتيجة لتناول هذه الألحان مرة أخرى في قسم التفاعل بعد عرضها بشكل مطول يحمل سمات السردية والتكرار الشرقي باضافات طفيفة وخاصة لفكرة الثانية . أما في قسم إعادة العرض فليم يلجا الشوان إلى الإعادة الحرفية للألحان الأفكار الأساسية كما ظهرت لأول مرة في قسم العرض ، بل اكتفى بالتنويع عن الفكرة الثانية أو لا ثم إعادة الفكرة الأولى ودمجها في ختام رائعة للحركة .

ويذلك نجد أن عزيز الشوان قد حقق التقاليد الخارجية لهذه الصيغة الغربية ولكن بما تتطلب طبيعة الألحان الغنائية لمؤلف مصرى شرقى .

ثانياً : تنوعات على لحن شعبي " مطشان ياصبايا " للأوركسترا
هنا يتعامل المؤلف مع فكرة مستهملة ليست من بنات أفكاره بل تنتهي للموروث الشعبي المختزن في وهي المثلثي المصري بأشكال متعددة ناتجة عن التغيرات التي تحذثها عملية التواتر الشفهي لهذه الألحان الشعبية سواء بالإضافة أو الحذف .
وبالرغم من أن هذا العمل مبني على فكرة موسيقية واحدة إلى أن الشوان اختار له صيغة التنوعات التي تتحقق له درامية البناء حيث يظهر اللحن عدة مرات يتناوله المؤلف في كل مرة بالتنويع والتغيير .

وصيغة التنوعات من الصيغ المهمة التي تبرز قدرة المبدع في تفهم خصائص فكرته اللحنية وتصنيف هذه الخصائص إلى عناصر أساسية وأخرى تفصيلية ويقوم المؤلف بتناول اللحن بالتنويع مع الإبقاء على العناصر الأساسية التي تعيده وتغيير العناصر التفصيلية مستخدما في ذلك كل إمكاناته

الموسيقية ووسائله في التأليف والتي تحقق الإمتاع الوجداني والعقلي معاً.
يظهر لنا اللحن الشعبي هنا عدة مرات :

المرة الأولى : بشكله الأصلي بعرض فخر تؤديه الأوركسترا مجتمعة وتبين فيه أحد العناصر الأساسية في اللحن وهي مسافة الرابعة التي يبدأ بها في مقام النهايند. يلى ذلك التنويع الأول وفيه يستخدم الزخرفة الإيقاعية للهيكل الأساسي للحن وبأسلوب شرقي الطابع ويختل هذا التنويع تنمية لشذوة من اللحن المزخرف تتناقلها آلات الأوركسترا.

ثم يتوالى التنويعان الثاني والثالث والذي يجمع فيما المؤلف مابين التغيير المقامي للحن وتغيير مساره الحنوي مع الاحتفاظ بالهيكل الأساسي له والاستفادة من إمكانات التلوين الأوركسترالي الشيق وخاصة لآلات الفنون.

ثم يعيد المؤلف التنويعات الثلاثة السابقة بتغييرات طفيفة مؤكدا روح التكرار والإسهاب المميزة للطابع الشرقي.

ثالثاً : عمله الموسيقي أبو سعيل :

نحن هنا أمام عمل موسيقى بروgramي أطلق عليه المؤلف "صور سيمفونية" إشارة لتعبير العمل عن مشاهد محددة شرحها المؤلف في برنامج العمل . وقد ألف هذا العمل في الستينيات بتكتلif من وزارة الثقافة المصرية بمناسبة نقل معبد أبو سعيل من مكانه الأصلي إلى مكان آخر بعد ما شابه من تأثير بناء السد العالي.

ما لا شك فيه أن المؤلف الموسيقى عندما يبدع عملاً وصيفياً يعلم جيداً أن إضفاء صفة الوصف على الموسيقى سيكون هو الغاية التي يهتم بتحقيقها والتي يجب أن لا تكتبلها قواعد الصياغة بقيود محددة . لذا فقد جاء هذا العمل في صياغة حرة قائمة على سرد أفكار لحنية تغير عن الموضوع المصري الفرعوني مع استخدام المؤلف لفكرة الموسيقية الأساسية التي تظهر في البداية ويعبر بها عن فرعون مصر (رمسيس) كعامل ربط ضموري بين أجزاء العمل الموسيقي تظهر تمازجها اللحنية مت坦اثرة بين آن وآخر بصورة تلوينية مختلفة إما باداء الكورال بالأهات أو باداء الأوركسترا .

ومن المعروف أن الموسيقى الفرعونية لم تصلنا منها تنوينات تؤكد نصوصها أو سماتها الموسيقية بشكل فعلى لذا فهي تخضع لرؤية المؤلف في محاولة التفسير الموسيقي للنقوش الموجودة على المعابد وتحويلها لموسيقى قد تتشابه مع الموسيقى الأصلية . لذا فقد اختار عزيز الشوان هذه البداية الفخمة التي تعبّر عن موكب الفرعون مستخدماً التلوين النحاسي وأداء الكورال وظهور ملامح من السلم الخماسي التي أثبتت عدة دراسات أن هذا التكوين المقامي هو غالباً ما يمثل أغلب الحضارات القديمة.



(أيزيس وأوزيروس)

باليه في ثلاثة فصول ، كتبه عزيز الشوان خلال عامي ١٩٦٩/١٨ عزفت متاليلات من موسيقى هذا الباليه في ألمانيا وفي مصر وفي السويد سجلت موسيقى الباليه كاملة في ألمانيا ، وعزفه أوركسترا ليزنج عام ١٩٦٩.

شخصيات الباليه

أوزير: إله الخير والخصوصية ، كان أحد ملوك مصر ثم أصبح بعد موته إله العالم الآخر.

إيزنا: اخت أوزير ، إلهة الحب والأمومة.

ست: شقيق أوزير ، إله الشر والجدب.

نفتيس: شقيقة الثلاثة السالفين وزوجة ست.

حورس: ابن أوزير وإيزنا ، توج ملكاً بعد انتصاره على ست قاتل أبيه.

المجاميع

الناتسون: الآلهة التسعة الذين يحكمون المبارزة بين حورس وست

كھنة وكاهنات

الشعب: رجال ونساء

اتباع أوزير

اتباع ست

إضافة(يس) في نهاية أسماء أوزيرا وإيزنا من قواعد اللغة اليونانية القديمة والأسماء التي وردت في النصوص الفرعونية هي: أوزير وإيزنا .

ويقوم قصة الباليه على أسطورة من عهد قدماء المصريين كما رواها المؤرخ اليوناني بلوتارك . وقام بمعالجة الأسطورة وتحويلها إلى مشاهد راقصة متخصص في إعداد «ليبرتو» الباليه اسمه بيتر بوديك من العاملين في أوبرا برلين الشرقية وكان من الضروري حذف بعض المشاهد من نص بلوتارك لاستحالة تنفيذها على المسرح .

دور الشعب غير وارد في نص بلوتارك وكان من المهم إبرازه لتوضيح الفرق بين معاملة كل من أوزيريس وشقيقه ست للشعب .

فسر أحداث الأسطورة يمثل المادة الدرامية في هذا الباليه ولكن المغزى يمكن في انتصار الخير على الشر أي انتصار حورس ابن أوزيريس إلى الخير والخصوصية على قاتل أبيه الطاغية ست إلى الشر والجدب ، غير أنه في الواقع يتعايش الخير مع الشر في كل زمان ومكان ولذلك لا يقتل حورس عممه .

الرقص لغة لها عدة لهجات وأساليب الرقص الكلاسيكي لا يصلح لهذا الباليه وكان المطلوب هو إبداع أسلوب جديد مستوحى من النقوش الموجودة على جدران المعابد والمقابر من آثار قدماء المصريين ، ولما كانت هذه النصوص ثابتة فتحريكها يتطلب دراسات وتجارب حتى لا تبتعد الحركة عن الطابع المصري القديم .

الفترة الزمنية ٢٠ سنة التي تمر بين أحداث الفصلين الثاني والثالث هي الفترة اللازمة لكي يبلغ حورس مرحلة الرجلة .

ويبدأ الباليه بافتتاحية تمهد لرفع الستار عن المشهد الأول ، الذي يدور في الصحراء ، وفي ركن المسرح ترى تكعيبة تحتها بيئ . تدخل فتاة من الشعب تحمل جرة وبعد فترة من التردد تؤدي رقصة منفردة ، ثم تحضر بعض الفتيات حاملات الجرار ويرقصن رقصة جماعية .

يدخل شاب تربطه علاقة بالفتاة الأولى ، ويرقصان معاً .

يسمع لحن أوزيريس ، معنا قدومه ، ويدخل أوزيريس ومعه أتباعه ، فيلتقي حوله الجميع ، ويزرع الأرض ، وتصب الفتيات الماء من الجرار . ينبع الزرع ، فيؤدي الجميع رقصة تعبيراً عن فرحتهم .. ثم ينصرفون ماعدا الفتاة الأولى وصديقها اللذان يرقصان معاً حتى وقت الغروب .
يدخل(ست) وأعوانه ، ويدمرون الزراعة التي أنبتها (أوزيريس) .

الفصل الأول

المشهد الأول :

ترقص (إيزيس) منفردة وحولها الوصيقات يدخل (أوزيريس) فتتصرف الوصيقات ، بينما تستمر (إيزيس) في الرقص .

المشهد الثاني :

قاعة العرش يحتشد بها عليه القوم، يدخل (ست) وزوجته (فتيس) وأعوانه ، فيقابلوا بالترحاب.

يجلس (أوزيريس) و(ست) إلى يمينه ، ويخبره أنه قرر منحه النصف الجنوبي من البلاد، ويتووجه ملأً عليه ، حتى ينفي حقه ويتوقف البطش بالشعب.

* يدخل الكاهن الأكبر حاملاً تاج الشمال والجنوب ويتوج الملكين.

* يقف (ست) غاضباً وينزع التاج من على رأس أخيه ويندفع خارجاً ، وسط دهشة الحاضرين وتبعه زوجته ، بينما يشعر أوزيريس بالحزن العميق ويطلب من الجميع الانصراف.

المشهد الثالث:

أوزيريس يجلس في أحد الأركان يفك ورأسه بين يديه ، بينما ترقص إيزيس لمواساته ، ثم تطلب منه أن يرقض معها ، وبعد أن يؤديها رقصة ثنائية يخرج (أوزيريس) وتبقى (إيزيس) وحدها.

المشهد الرابع:

* تدخل الوصيفات في طابورين على إيقاع بطيء يخلف رئيسهن التي تحمل الطفل (حورس) ، ثم تناوله (إيزيس) . يدخل (أوزيريس) ويحمل الطفل نحو الشرفة ويرفعه ليراه الشعب الذي تجمع في الساحة وتسمع أصوات تهليل.

المشهد الخامس:

* يدخل (ست) وأعوانه ويضربون الفلاحين بالعصى والكرابيع ، ثم يستولون على محصولهم..

المشهد السادس:

* قاعة العرش وبها أعوان (أوزيريس) وضيوفه يشاركونه فرحته بابنه (حورس) ويحتفلون بهذه المناسبة السعيدة باداء الرقصات المنفردة «الجماعية».

المشهد السابع:

* يدخل (ست) وأعوانه ويبيطشون بالعمال الذين يجهزون رسومات ملونة لزخرفة جدران المعابد، ويمزقون الورق الذي تم رسمه.

المشهد الثامن:

* قاعة العرش، حيث يواصل الجميع احتفالهم ، يحضر رسول من قبل (ست) ويسلم (أوزيريس) دعوة من أخيه ليزوره في الجنوب، فيوافق (أوزيريس) ، ويعود الجميع لواصلة احتفالهم حتى نهاية.

المشهد التاسع:

* يستعد (أوزيريس) للسفر، ويتجمع أصدقاؤه وأعوانه ليودعوه بينما تعبّر (إيزيس) عن مخاوفها ، وإحساسها بالكارثة قبل وقوعها.

* تقترب من المرسى مركب شراعية ، ثم تتوقف فيحمل العمال صناديق الهدايا ، ويصعد

(أوزيريس) مع بعض رفاقه إلى المركب التي تتحرك بعد ذلك ببطء خارج المشهد ، (إيزيس) ما زالت في حالة من الهلع والحزن.

الفصل الثاني

المشهد الأول:

* يصل (أوزيريس) وترحب به الجماهير ، بينما ينتظره (ست) واقفا على سلم القصر تأكله الغيرة من حب الجماهير لأخيه.

المشهد الثاني:

* ترقص (نفتيس) لاستقبال (أوزيريس) ثم تتوالى الرقصات مرحبة بالضيف.
يأمر (ست) باحضار التابوت ، الذي صنعه خصيصاً ليهديه لأخيه (أوزيريس) ويخبره بأنه صنعه على مقاسه تماماً . ويطلب منه أن يجريه ويمجرد دخول (أوزيريس) في الصندوق يسارع الجميع بإغلاقه بإحكام تام ، ويحمله الأعوان إلى الخارج ، ويقف (ست) سعيداً بانتصار الشر.

المشهد الثالث:

* وتدور أحداته في قاعة العرش ، حيث ترقص (إيزيس) لابنها (حورس) ثليها رقصة للوصيفات ، ثم أغنية المهد.

المشهد الرابع:

* وتدور أحداته في ساحة كبيرة بجوار القصر، وتقى عدة رقصات ثم يعود رفاق (أوزيريس) والحزن على وجوهم وتعلم (إيزيس) بالمؤامرة وإن الصندوق قد ألقى في النيل.

المشهد الخامس:

* يضم مشاهد سريعة متالية لبحث (ست) وأعوانه عن (إيزيس) وابنها للتخلص منهما.

المشهد السادس:

* تبحث إيزيس عن التابوت ، فيخبرها بعض الأطفال أنهم شاهدوا أمواج البحر تجرفه نحو الشمال وتنضم إليها (نفتيس).

المشهد السابع:

* تصل (إيزيس) إلى حديقة قصر الملك في بيلاوس حيث توجد شجرة في وسطها ، فتقرب منها (إيزيس) في خوف وتردد ، وترقص حول الشجرة وقد عاودها الألم.
الفتيات حاميات التابوت كونن من أجسامهن جذع الشجرة ، يبتعدن واحدة تلو الأخرى.
تسقط (إيزيس) من شدة الإعياء ، فتسعفها أختها (نفتيس).

الفصل الثالث

المشهد الأول:

الجميع يحيطون بال التابوت ، يدخل (ست) وأعوانه في هرب الجميع ما عدا (إيزيس) و(نفتيس)
فيفتح (ست) التابوت ويطعن جثة أخيه بسيفه عدة مرات ثم يخرج.

ينبعث فجأة من التابوت نور قوى، تعبيراً عن خلود روح (أوزيريس) فتغنى الجماهير نشيد
(أوزيريس).

بعد مرور (٢٠) عاما

المشهد الثاني:

يدخل (حورس) وقد أصبح شاباً وسيماً ، فيلتقي الشعب من حوله باعتباره الملك . ويؤدي
(حورس) رقصته، ثم ترقص (إيزيس) معبرة عن روحها بابتها .
يدخل أعيوان (ست) ليعرضوا على اعتبار (حورس) الملك . يحدث صدام ينتصر فيه (حورس)
وأعوانه .

يدخل (ست) ويبارز (حورس) وتدور عدة جولات من المبارزة ، ينتصر فيها (حورس) وفي
المبارزة الأخيرة يكاد حورس أن يقتل عمها (ست) ولكن (إيزيس) تتركه في آخر لحظة وتمسك بيده
حتى لا يدخل الرمح في صدرها(ست).

يتم إعلان انتصار حورس ، ويتوهج ملكاً على عرش أبيه في الشمال والجنوب، ويرقص الشعب
فرحاً بتتويجه (حورس).

ويذلك ينتهي البالىء ، بانتصار الخير على الشر.

والقطوعات المسجلة على الشريط المرفق ، نجدها في الأجزاء التالية ضمن القصة:

الوجه الأول:

- ١- الفتاة وجرة الماء ، في بداية التمهيد.
- ٢- أوزيريس يعلم الشباب الزراعة . في التمهيد.
- ٣- ست ينلف النبت، في ختام التمهيد.
- ٤- رقصة (إيزيس) في بداية المشهد الأول من الفصل الأول.
- ٥- تتويج الأخوين . في المشهد الثاني من الفصل الأول

الوجه الثاني :

- ٦- مولد حورس، في المشهد الرابع من الفصل الأول.
- ٧- أوزيريس يبحر إلى مملكة سنت ، في ختام المشهد التاسع من الفصل الأول.
- ٨- رقصة (فتيس) ، في بداية المشهد الثاني من الفصل الثاني.
- ٩- إيزيس تبحث عن أوزيريس في بداية المشهد السادس من الفصل الثاني.
- ١٠- تتويج (حورس) قرب ختام البالىء في المشهد الثاني من الفصل الثالث.



عزيز الشوان

تاريخ الميلاد:

٦ مايو ١٩١٦ - القاهرة.

الدراسة العامة:

الابتدائية والثانوية والعليا بمدارس الفرير وكلية الخرنفش.

الدراسة الموسيقية:

تعلم آلة الفيولين على يد الاستاذ أويرفرون

تعلم التأليف الموسيقي على يد الاستاذ ميناتو والاستاذ أورلفيتسكى في القاهرة وختاتنا

دوريان في موسكو - معها تشايكوفسكي.

الأوسمة والجوائز

١٩٥٦ الجائزة الأولى في التأليف من وزارة الثقافة المصرية .

١٩٦٧ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

١٩٨٤ وسام عمان منحه السلطان قابوس .

قائمة الأعمال :

(أنظر القائمة المرفقة).

العمل :

مستشار أوركسترا القاهرة السيمفوني (سابقاً) .

أستاذ التأليف والكتابة لآلات الأوركسترا بمعهد الموسيقى العربية.

قائمة الأعمال الموسيقية

المراحل الأولى (حوالى ١٩٤٥ - ١٩٥٥)

شرق وغرب : (مصنف رقم ١)).

تأليف عام ١٩٤٥

قدم لأول مرة في حفل قاد فيه المؤلف أوركسترا القاهرة السيمفوني في قاعة إبورات عام ١٩٥٤ (الجامعة الأمريكية) يوم السبت ٢٤ أبريل (لم يسجل).

بوليو : تأليف عام ١٩٤٢

عطشان يا صبيا : قصيدة سيمفونى

تأليف عام ١٩٤٧

قدم لأول مرة في القاهرة عام ١٩٥٤

قام في موسكو عام ١٩٥٦ وسجل على أسطوانة نشرتها شركة ميلوديا بقيادة الكسندر جارك (Gaouk).

عنترة: أويرا من ثلاثة فصول - شعر أحمد شوقي.

تأليف عام ١٩٤٨

قدمت الافتتاحية في القاهرة عام ١٩٤٥ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٧ وفي موسكو عام ١٩٥٦ حيث قاموا بتسجيلها على أسطوانات شركة ميلوديا بعض الإربات للتينور ، سجلت لراديو القاهرة.

السيمفونية الأولى : في يومينور أربع حركات

تأليف عام ١٩٥٣

قدمت لأول مرة في القاهرة عام ١٩٥٤ في حفل قادة المؤلف في قاعة إبورات بالجامعة الأمريكية.

«عربيات» للبيانو المنفرد رقم ٢-١

تأليف عام ١٩٥٠

عزفت في مصر والخارج.

«عربيات» للبيانو المنفرد رقم ٤-٣.

تأليف عام ١٩٤٥

١٠ أغاني عاطفية ووطنية للنساء والرجال: ١٩٤٥ - ١٩٥٥ بعضها سجل في الانذاعة.

خواطر القبولينة والبيانو:

تأليف عام ١٩٥٢

عزفت في مصر والخارج

السيمفونية الثانية:

تأليف عام ١٩٥٢/٥٢ .

لم تعرف .

موسيقى تصويرية لبعض الأفلام:
الحب ١٩٥٤

رسالة إلى الله ١٩٥٥ .

مرحلة الثانية (حوالى ١٩٥٥-١٩٦٥) .

كونشرتو للبيانو والوركسترا (في سلسلة b مينور).

تأليف عام ١٩٥٦ .

قدم لأول مرة في مصر - اوركسترا القاهرة السمفوني ، صولبيت مارسيل متى وقيادة ساشا بيووف.

سجل في موسكو عام ١٩٦٨ اوركسترا راديو موسكو بقيادة ارام خاتشاتوريان وصولبيت بيانو باختشيف . أصدر على اسطوانة لشركة ميلوديا وأيضاً في Prism Series وزارة الثقافة.

متتابعات راقصة للأوركسترا

تأليف عام ١٩٥٧

روندي للشيلو والبيانو

تأليف عام ١٩٥٨

عزف في مصر والخارج

prism سجلت على اسطوانة .

عزف ناجي الحبشي

خواطر للفيولينة والبيانو

تأليف عام ١٩٥٧

عزف في مصر والخارج

بلادى بلادى ، كانتانا لأربعة صولبيت وكورال

تأليف عام ١٩٦٠

قدمت لأول مرة في القاهرة عام ١٩٦٤ .

اوركسترا القاهرة السمفوني وكورال القاهرة .

قيادة يوسف السياسي .

بالقدس أقسم: كانتانا لسوبرانو وتيتور وكورال

تأليف عام ١٩٦٢

قدمت في القاهرة عام ١٩٦٩

اوركسترا القاهرة السمفوني وكورال القاهرة .

قيادة يوسف السياسي .

ارفعي رأسك يا افريقيا ، لتينور وكورال

تأليف عام ١٩٦٤

سجلت في الراديو عام ١٩٥٣.

السيمفونية الثالثة: طرد الهاكسوس

تأليف عام ١٩٦٥/٦٤

لم تعرف

متتابعات رمضان

تأليف عام ١٩٦٢

لم تعرف

الموال : تينور واركسترا

تأليف عام ١٩٦٢

أنت مصر وأنا مصر: كانتانا لتينور وسبرانو

تأليف عام ١٩٦٢

المراحلة الثالثة (حوالى ١٩٦٦ حتى الان)

«عربيات» للبيانو رقم ٥-٦.

تأليف عام ١٩٦٦

عزفت في مصر والخارج

باليه ايزيس واوزويريس : في فصلين

تأليف عام ١٩٦٩/٦٨

عزفت متتابعات من هذا الباليه في المانيا وفي مصر وفي السويد

سجل كاملا في المانيا- اوركسترا ليبنج عام ١٩٦٩

اوبرا انس الوجود : في ثلاثة فصول . شعر سلامة العباسى

تأليف عام ١٩٨٠/٧٠

لم تقدم كاملة. قدمت الافتتاحية والانترميزو

سيمفونية عمان(السيمفونية الرابعة)

تأليف عام ١٩٨٥

عزفت في القاهرة ولندن ومسقط

سجلت عام ١٩٨٦-اوركسترا لندن السيمفوني

اوبريت العشرة الطيبة:

اعادة توزيع عام ١٩٨٤/٣

قدمت على مسرح البالون

رياعي للآلات الوتيرية

تأليف عام ١٩٨٢

لم يقدم

خمسى للآلات الوتيرية والهارب



تأليف عام ١٩٨٢
لم يقدم
قائمة الكتب

The Evolution of Egyptian Music as part of Arabic Music . Cairo
:Prism (1973).

- الموسيقى للجميع . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٩) .
الموسيقى : تعبير نغمي ومتطرق : القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٦) .
الأوبرا : القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٨) .
موسوعة الموسيقى : موسوعة موجزة : القاهرة : دار الثقافة (١٩٩٢) .

جميل الأبله

إسحق باشيفس سنجو

ترجمة: سمير أبو الفتوى

قبل أن تقرأ

منذ فترة ، ليست بالقصيرة ، وعثت أدب ونقد ، في إطار مهمتها التعريف بكل أداب العالم ، أهمية الانفتاح على كل الأداب ، ورغم أنها ندرك أنه طموح كبير ، يحتاج إلى هيئة كاملة متكاملة للمتابعة والترجمة ، إلا أنها حاولنا قدر جهدنا ، وفي هذا السياق تابعنا ، الأدب الأفغاني ، ونشرنا ترجمات شعرية وقصصية منه ، وكذلك الأدب الباكستاني والإيراني والتركي ، محاولين بذلك الخروج من أسر المركبة الأوروبية ، الغربية نديداً ، التي صار أدبها ، لدى بعض الكتاب نعيمة ونمودجاً ، وحاول بعض النقاد فرض إعجابهم بكونديرا - مثلًا - وقالوا بذلك للأجيال الجديدة : كانوا مثل كونديرا أولاً تكون أدباء أبداً .

ومن هذا العدد من أدب ونقد ننشر ، قصة «جميل الأبله» للكاتب البولندي : «إسحق باشيفس سنجر» في محاولة لمد بصرنا إلى أوروبا الشرقية ، تلك الكتلة من العالم التي لا نعرف عن أدبها الكثير ، رغم أن بها قامات أدبية وفكرية وسينمائية هائلة ، نذكر فقط بـ «أندريه فايدا» المخرج السينمائي الشهير ، والذى كنا قد أعددنا عنه ملفاً في أعداد سابقة . ولعل هذه القصة لاسدق سنجر، تكون بداية الطريق لمواد أخرى من أوروبا الشرقية وبقية أنحاء العالم.

أنا جمبيل الأبله ، بهذا يدعوني الناس ، ولكنني لست أراني أبله ، بل العكس . لقد لقيني الناس بالألبه حينما كنت لا أزال بالمدرسة ، ولقد كان لي من الألقاب سبعة ، ولكن الأبله هو الذي التصق بي ولم يفارقني ، أو يترى ما بلاهتي ؟ بلاهتي أنى أندخ بسهولة.

قالوا لي : هل تعلم أن زوجة الحاخام قد جاعها المخاض ؟ فهربت من المدرسة ، على أنها كانت كتبة ، وكيف كان يتتسنى لي أن أعرف ؟ يجوز أن بطنها لم تكن منتفخة ، غير أنني ما نظرت إليها قط ، أكان هذا حقاً منتهي البلاهة من جانبي ؟ وضحكـتـ الزمرة ، ونـهـقتـ ، وـدـقـتـ الأرضـ بالـاقـدامـ رـاقـصـةـ ، وأـشـدـتـ دـعـاءـ يا رب بارك ليـلتـناـ ، وـبـدـلـ منـ الـزـيـبـبـ الذـىـ يـمـنـعـ عـنـ ولـادـةـ مـلـاـلـاـ يـدـىـ بـرـوـثـ العـيـنـ ، وماـكـنـتـ خـرـعاـ أوـ ضـعـيفـاـ ولوـ أـنـيـ لـطـمـتـ الـواـحـدـ مـنـهـ عـلـىـ وـجـهـهـ لأـبـصـرـ الطـرـيقـ المـؤـنـيةـ إـلـىـ «ـكـراـكـاوـ»ـ (ـ)ـ يـاـكـمـلـهـاـ ، عـلـىـ أـنـيـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ لـسـتـ مـلـاـكـمـاـ بـطـبـعـيـ ، وـلـذـاـ قـلـتـ لـنـفـسـيـ : دـعـ الـأـمـرـ يـمـرـ ، وـلـعـلـ هـذـاـ مـاـ شـجـعـهـمـ عـلـىـ خـدـاعـيـ . وـكـنـتـ عـاـشـاـ مـنـ الـمـدـرـسـةـ إـلـىـ الـبـيـتـ فـسـمـعـتـ كـلـاـيـنـجـ ، وـرـغـمـ أـنـيـ لـأـخـافـ الـكـلـابـ أـوـ أـخـشـاهـاـ ، فـإـنـيـ لـأـحـبـ الـتـحـرـشـ بـهـاـ ، فـقـدـ يـكـونـ أـحـدـهـاـ عـقـورـاـ ، وـلـوـ عـضـكـ هـذـاـ فـمـاـ مـنـ حـقـتـ طـرـطـيـرـ فـيـ الـعـالـمـ يـمـكـنـهـ مـعـيـ . تـسـعـفـكـ ، لـهـذـاـ لـذـتـ بـالـفـرـارـ وـجـاهـتـ مـنـ النـفـاةـ ، فـرـأـيـتـ السـوقـ كـلـهـ غـارـقاـ فـيـ الضـحـكـ ، إـذـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ كـلـبـ عـلـىـ الإـلـاطـلـقـ ، بـلـ «ـوـلـفـ لـيـبـ»ـ اللـصـ يـوكـيـفـ كـانـ يـتـسـنـىـ لـيـ أـنـ أـعـرـفـ أـنـهـ هـوـ ؟ـ لـقـدـ كـانـ يـعـوـىـ مـثـلـ الـكـلـبـ ، وـعـنـدـمـاـ وـجـدـ الـعـاـيـشـنـ وـمـعـتـابـوـ الـمـقـاـبـلـ »ـ أـنـ مـنـ السـهـلـ خـدـاعـيـ وـتـضـلـلـيـ جـرـبـ كـلـ مـنـهـ حـظـهـ مـعـيـ ، «ـجـمـبـيلـ»ـ الـقـيـصـرـ فـيـ طـرـيـقـ إـلـىـ فـرـاـمـيـوـلـ ، «ـجـمـبـيلـ»ـ الـقـمـرـ سـقـطـ فـيـ تـورـبـيـنـ ، جـمـبـيلـ الصـغـيرـ هـوـدـلـ فـرـيـبـيسـ عـثـرـ عـلـىـ كـنـزـ خـلـفـ الـحـمـامـ الـعـمـومـيـ ، وـأـنـاـ كـالـغـبـيـ صـدـقـتـهـمـ جـمـيـعـاـ ، أـوـلـاـ : أـنـ كـلـ شـيـ جـائـزـ الـوـقـوعـ ، كـمـ هـوـ مـكـتـوبـ فـيـ عـلـمـ الـجـدـودـ ، وـإـنـ كـنـتـ لـأـنـرـيـ الـطـرـيـقـ بـالـضـبـطـ ، ثـانـيـاـ : لـأـنـ الـبـلـدـ كـلـهـ كـانـ تـلـوـنـيـ ، وـلـوـ أـنـيـ جـرـوـتـ عـلـىـ مـصـارـحـتـهـمـ بـأـنـهـ يـعـثـبـونـ بـيـ لـجـرـ عـلـىـ ذـلـكـ الـمـاتـعـبـ ، وـلـصـاحـبـوـ غـاضـبـيـنـ : مـاـذـاـ تـعـنـىـ ؟ـ تـرـيدـ أـنـ تـقـولـ أـنـتـاـ كـانـبـيـوـنـ ؟ـ مـاـذـىـ كـانـ عـلـىـ أـنـ أـصـنـعـ ؟ـ لـقـدـ صـدـقـتـهـمـ عـلـىـ أـمـلـ أـنـ يـصـلـحـ ذـلـكـ حـالـهـ بـعـضـ الشـئـ . وـلـكـنـتـ يـتـيمـ الـأـبـوـيـنـ ، وـتـوـفـيـ أـيـضـاـ جـدـيـ لـأـبـيـ الـذـيـ رـيـانـيـ صـرـتـ خـبـارـاـ ، وـيـاهـولـ مـاـ لـاقـيـتـهـ مـنـهـ فـيـ تـالـكـ الـفـتـرـةـ فـكـلـ اـمـرـأـ وـفـتـأـ أـتـتـ إـلـىـ الـمـخـبـرـ لـكـىـ تـنـتـضـجـ عـجـنةـ مـكـرـوـنـةـ فـيـ الـقـرـنـ حـاـلـوـتـ أـنـ تـعـثـبـ بـيـ وـلـوـ مـرـةـ عـلـىـ الـأـقـلـ ، جـمـبـيلـ ثـمـ حـوـرـيـةـ فـيـ السـمـاءـ ، جـمـبـيلـ الـحـاخـامـ أـنـجـبـ عـجـلـاـ عـرـمـ سـبـعـةـ أـشـهـرـ .ـ «ـجـمـبـيلـ»ـ الـبـقـرـ طـارـتـ فـقـ سـطـحـ الـمـنـزـلـ ، وـوـضـعـتـ بـيـضـاـ نـاحـسـيـاـ أـصـفـرـ ، وـجـاعـيـ ذـاتـ مـرـةـ تـلـمـيـدـ بـالـمـعـهـدـ الـدـيـنـيـ الـيـهـوـدـيـ لـشـرـاءـ قـرـصـةـ ، وـقـالـ لـيـ :

ـبـيـنـمـاـ أـنـتـ وـاقـفـ هـنـاـ نـقـتـشـ الـخـبـزـ بـمـجـرـفـتـ جـاءـ الـمـسـيـحـ ، وـيـعـثـ المـوـتـيـ .

ـفـقـلـتـ لـهـ :

ـمـاـذـاـ تـقـصـدـ ؟ـ أـنـاـ لـمـ أـسـمـعـ أـحـدـاـ يـنـفـخـ فـيـ قـرـنـ خـرـوفـ .

ـفـقـالـ :

ـهـلـ أـنـتـ أـصـمـ ؟ـ

وأخذ جميع من المخرب يصرخون :
لقد سمعنا النفع ، لقد سمعنا .

وقدمت المخرب أنداك ، ريتز «صانعة الشموع» ، وصاحت بصوتها الأخش :

إن أبيك وأملك قد قاما من القبر ، وهما يبحثان عنك .

وأصارحك القول بآني كنت أدرك تماماً أن شيئاً من هذا لم يحدث ، ومع ذلك أقيمت على قميصي ، وخرجت ، وأنا أقول لنفسي : لعل شيئاً ما قد وقع ، ماذما على إن أنا أقيمت نظرة ؟ ، ولكن باللعبة الناطقة ! لهذا قطعت على نفسي عهداً لا أصدق شيئاً مما يقال لي بعد ذلك أبداً ، على أن ذلك كان مستحيلاً ، فقد أفسدوا على تفكيري حتى اختلطت الأمور على ، ولم أعد أعرف أول لها من آخر .

ونذهب إلى الحاخام أسأله النصح ، فقال لي :

إنه مكتوب لأن تقضي سني عمرك كلها أبله خير لك من أن تقضي ساعة واحدة منها شريراً ، إنك تستأبه ، بل هم البلياء ، فالذى يسى إلى جاره محمرة عليه الجنة » ، ومع ذلك فقد خدعتني ابنته بقولها لى وأنا أعلم بمغادرة المقر الحاخامي :

ـ ألم تقبل الحائط بعد ؟

ـ قلت :

ـ كلا ، ولم ؟.

ـ فأجبت :

ـ الشريعة توجب عليك هذا بعد كل زيارة .

ولم أر ضرراً في ذلك ، على أنها انجرت ضاحكة ، لابأس ، فقد كان «مقبلاً» ظريفاً .

وأردت أن أرحل إلى بلدة أخرى ، على أن كل من البلدة انشغل بمسألة تزويجي ، وراح يلاحقنى إلى حد تمزيق أطراف معطفى ، وإغراق أذننى بلعابه ولم تكن المعنية عنراط ظاهرة ، ولكنهم أخبروني أنها عفيفة نقية لم يمسسها بشهر من قبل ، وكان بها ظلع ، غير أنهما قالوا إنه تعرّض واختلط بمن جراء الحياة والخجل وكان لها طفل من الزنا ، بيد أنهما أكروا لي أنه أخوها الصغير فصحت فيهما :

ـ إنكم تضيعون وقتكم ، فأنتم ان تزوج هذه العاهرة .

ـ فقالوا في سخط :

ـ يا أسلوبك في الحديث ، لا تخجل من نفسك ؟ وفي وسعنا أن نقتادك إلى الحاخام ليفرمك على نعمتك إياها بهذا الوصف القبيح .

ومن ثم تبين لي أنى لن أستطيع الهرب منهم بسهولة ، قلت لنفسي : إنهم مصممون على أن يتذمرون أضحوكة لهم ، ولكن متى تزوجت صرت السيد المطاع ، فإذا ارتفعتك هي زوجاً فاقبل أنت أيضاً الزواج منها ، زد على ذلك أنك لا تستطيع أن تحيا في هذه الدنيا دون أن يصيبك أذى منها أو تتوقع السلامة فيها من كل شر» .

ونذهب إلى منزلها الطيني المقام على الرمل ، والزمرة كلها تتبعنى بالصياح والغناء ومحاكاة أصوات صيادى الديبة على أنهم مالبئوا أن توقفوا عند بئر السلم ، لخوفهم من مفاتحة «إليكا» في أى شئ ، فقد كان فمهما ينفتح كما لو كان دائرا على سلط ، ولسانها سلط ، وبخلت المنزل .. كانت هي وافقة أمام حوض الغسيل حافية القدمين تنسل الملابس ، عليهما رداء مبتذر من قماش البلاش . وقد عقصت ضفائرها ، ورشقتها بالدبابيس من كل ناحية فوق رأسها ، وكانت تزهق أنفاسى الراشحة الكريهة المتبعثة من المكان

كله ، وكان من الواضح أنها تعرفنى فقد ألت نظرة على ، ثم قالت:

-أنظروا من تراه قد جاء إلينا ، إنه المفل ، شد كرسيا

وأخبرتها بالأمر كله دون أن أخفى عنها شيئا ، قالت لها:

-صارحنى القول ، هل أنت حقا عذرا ؟ وهل يكاثل المولع بالآذية هو حقاً أخوك الصغير ؟ لا تخدعنى بربك ، فأنا يتيم الآباء .

فأجابات :

وأنا يتيمة مثلك ، إن من يحاول لي نراعك ساكسير له أنفه ، ولكن لا تدعهم يظنون أنهم قادرون على استغافالى ، فهذا أريد بوطة قدرها خمسون جلداً ولتجعلهم فوق ذلك يجمعون مبلغاً من المال ، وإلا صنعوا بي ما أنت تعرفه . كانت صريحة معى واضحة للغاية ، فقالت:

-العروس هى التى تعطى البائنة لا العريس

قالت:

لا تساومنى ، أريد إجابة قاطعة بنعم أو لا ، وإلا فلترجع من حيث أتيت . قلت لنفسي : هذا العجين لن يصنع منه خبز أبدا ، على أن أهل بلدتنا لم يكونوا فقراء ، فوافقوا على كل المطلوب ، وشرعوا فى إتمام عقد القران وتصانيف فى تلك الأونة أن كان ثمة دوستاريا وياتية ، فاجريت المراسم عند بيوت المقربة بالقرب من كوخ غسل جثث الموتى الصغير ، وسكر الرجال ، وفي أثناء تحرير القرن سمعت العاخام الأكثر تقى يسأل:

-هل العروس أرملة أم مطلقة ؟

فأجابت زوجة القنبلت نيابة عنها:

-كل الأمرين

كانت لحظة سوداء بالنسبة لي ولكن ماذا كنت أصنع ؟ أو كنت أفر من تحت ظلة الزواج ؟ .
وكان ثمة غنا ورقص ، وكذلك رقصت أمami جداً عجوز ، وهي تحضرن رغيف السبت الأبيض الملفوف ، كما دعا المترעם للفرح الحاضرين للترجم على والدتها نحن العروسين ، وألقى تلميذ المدارس الثمار الشوكية مثلاً يصنعن فى يوم صيام التاسع من آب ، وتلقينا الكثير من الهدايا : لوح خشب المكرونة الشعرية ومعجناً وجراحاً ، ومقشات ومغارف ، وطاولة أخرى متعدة من الأدوات المنزلية ، وحان

منى التفاتة ، فرأيت شابين ضخمين يحملان سرير طفل ، فسألتهم:
ـ وما حاجتنا إلى هذا ؟

فَأَحْبَابًا :

– لا ترهق تفكيرك بهذا الأمر ، فكل شيء على ما يرام ، السرير سيكون له نفع .
– فلديك أن مكيدة تدبر لي في الخفاء ، على أنني فكرت في الأمر قائلا لنفسي : ماذا عليك إن أنت سلكت طريقا آخر . لسوف أعرف حتما سر إحضاره ، وليس من المعقول أن تكون القرية كلها مجتمعة قد أصابها الجنون .»

وفي الليل أتيت حيث ترقد زوجتي ، ولكنها لم تدعني أقربها ، فقلت لها :
-أنت يا هذه ، انتظري هاهنا ، الأجل هذا زوجونا ؟
فقالات :

-جاعنی المحيض.

فقط

ـ ولكنهم أخذوك إلى الحمام الشعائري وهو تال على الأول ، أليس هذا هو المفروض؟
ـ فقالت:

–اليوم غير أمس ، وأمس غير اليوم ، فلترحل حالاً من هنا إن كان هذا لا يعجبك .
وقصاري القول انتظرت
ولم تك أرضي أربعة أشهر حتى جاءها المخاض ، وحاول أهل البلدة ، أن يمنعوا أنفسهم من الضحك
، ولكن ماذا كنت أصنع ؟ لقد عانت هي الاما مبرحة وخمسة الحوائط بظافرها ، وبיקت قائلة :
ـ إنـ، احـلـةـ بـأـ حـمـيلـ ، سـاحـمـنـ .

وأنهمك النسوة اللائي غض بهن المنزل في على أئية من الماء ، وتعالت الصربخات إلى عتان السماء ،
والمعتاد في مثل هذه الحالة أن يذهب المرأة إلى بيت الصلاة ليزدد المزميمر مفعولت واستحسنن أهل القرية
صنيعى وأقرؤنى عليه ، ووقفت فى ركن أترنم بالزميمر والصلوات ، فهذ جماعة المصلين رفوسهم قاتلتين:
ـ ادع ، ادع ، فالدعاء لا يسبب العمل للمرأة مطلقاً.

وَقَرْبُ أَحَدِهِمْ قَسَا إِلَى فَمِي ، وَقَالَ :
— تَبَنَ لِلْبَقْرِ

رياه ! أئمة ما يوجب المواخذة على هذا أيضاً
ووُضعت زوجتي ولدأً بوفى يوم الجمعة وقف القنبلت (٢) في الكنيس أمام تابوت العهد ، وبخط على
منضدة القراءة ، وأعلن قاتلها :

بالضحك ، فاتقد وجهي ، ولم أدر ما أضيع ، مع أنى كنت وحدى المسئول عن مراسيم الحفنان والشعائير .
وجاء نصف القرية يجرى ، وأنت لا تملك أن تغير من طباع الناس ، وأحضرت النسوة الحمص المتبل
بالفالق ، كما جاعنا برميل جعة صغير من الحانة ، وأفرطت فى الأكل والشراب مثل أي شخص ، وهنائى
الجميع ، ثم تلا ذلك ختان الصبي ، وقد أسميتها باسم والدى عله يستريح فى قبره ، وعندما انصرف
الجميع وتركنا وحدنا ، أنا وزوجتى أبزرت هى رأسها من خلال ركلة السرير ، ودعنتى إليها قائلة :

ـ لماذا أنت صامت يا جميل ؟ أو أبحرت سفينتك ثم غرقت ؟

فأجبتها :

ـ ماذا لي أن أقول ؟ هل أقول أن مأنيتى في حقى شيئاً بدىع ؟ لو أن أمى علمت به لذاقت الموت ثانية .

فقالت :

ـ أو مجنون أنت أم ماذ ؟

فقلت :

ـ كيف جئت حماقة كهذه في حق من يجب أن يكون رب البيت وسيده ؟

فقالت :

ـ ماذا دهلك ؟ ماذا يدور برأسك من ظنون ؟

ورأيت أن أكاشفها بالحقيقة بطلقة وجفاء ، فقلت لها :

ـ أو تظنين أن هذه هي طريقة معاملة اليتيم ؟ لقد أنجبت ولاداً من الزنا .

فربت :

ـ اطرح هذه الحماقة عن رأسك ، فالطفل ابنته وأنت أبيوه .

فجادلتها قائلة :

ـ أنى يكون لى طفل ؟ لقد جاء مواده بعد سبعة عشر أسبوعاً من إتمام الزفاف

فما كان جوابها إلا أن قالت إن الطفل قد جاء مبتسرأ ، فقلت لها :

ـ لا ترين أنه يكبر في العمر كثيراً عن الطفل المبتسر ؟

فقالت أاه كان لها جدة لأنها مكت حملها فترة قصيرة جداً ، أنها تشبه هذه الجدة متلماً تشبه قطرة الماء الأخرى ، ثم أقسمت على صدق مقالتها بيمان لو فاء بها فلاخ في السوق لبادرت أنت إلى تصديقه ، وأصارحك القول بأنى لم أصدقها ، على أنى حينما تناقشت مع ناظر المدرسة بشأن هذا الموضوع في اليوم التالى أخبرنى أن الشيء ذاته قد حصل لأنم وحواه ، إذ صعدا إلى الفراش وهما اثنان ، وهبطا منه وقد صارا أزبعة ، كذلك قال لى :

ـ مامن امرأة في العالم إلا وهى حقيقة لحواء .

ذلك محدث وكيف حدث ، فقد أقعنونى بأن أكون أخرين أبكم ، ولكن من تراه يعرف الكيفية التي تم بها أمور كهذه ؟

وبدأت أنسى حزني ، وأحببت الطفل بجنون ، وأحببني هو بدوره أيضا ، وكان حالاً يراني يلوح بيديه الصغيرتين ، ويريدني أن أرفعه إلى أعلى ، وكانت وحدي الذي يقدر على تهدئتي إذا ما أصباها مغض ، وكذلك ابتعت له " عضاضة " صغيرة من العظم ، فضلأً عن قلنسوة صغيرة مزركشة ، وكان داشماً عرضة للحسد ، فكنت أجري من أجل الحصول له على تعويذة تخلصه من شر عيون الحاسدين ، وكانت أعمل كالثور ، فائت أذرى بزيادة النتفات في منزل به طفل ، ولا تخفي عنك ألم أكين أبغض " إيلكا " بسبب الموضوع إيه ، أو بسبب شتمها وسبها لي ، أو عدم رضاها عنى ، فياللقوة التي كانت لديها ، إن نظرها واحدة من عينيها كانت كفيلة لأن تسليك القدرة على الكلام ، ويا لخطبها رفت وكبريت ، فقد كانت تطفح بها ، وإن امتنلت كذلك بالسحر ، سحر جعلني أهيم بكل كلمة فيها على الرغم من الجروح الدامية التي سببتها لها .

وكنت أحضر لها في العشاء رغيفاً أبيض وأخر أسمراً ، فضلاً عن القرص الوردي اللون التي كنت أخربزها لها أنا نفسي ، وكانت أختلس من أجلاها كل ما كانت يدائى طولاته من مكرونة أو زبيب أو لوز أو كعك ، وأمل أن يغفر الله لي عما سرقته من أوعية يوم السبت التي كان النسوة يتركها في فرن المخبز لتسخن ، فقد كنت أنتشل منها إما قطع اللحم الصغيرة أو ساق دجاجة أو رأسها أو قطعة كرش أو شيئاً من الحلوي المطبوخة ، وكل ما استطعت أن أختنه بسرعة ، وكانت هي تأكل حتى صارت ممتلئة الجسم وملحة .

وكنت أضطر إلى البيت بعيداً عن المنزل طوال الأسبوع في المخبز ، وعندما أعود إليه في ليالي الجمع كانت زوجتي تختلق عنرا ما ، فهي إما لديها حرقة في فم المعدة ، أو نفخ في جنها ، أو صداع ، أو فوّاق ، وأنت تدرك أذى النساء ، وقد مررت بي فترة عصبية مضطربة من جراء ذلك ، ومما زاد الطين بلة أخوها ابن الزانية الذي كبير ، إذ كان يضع الأثقال فوق كاهلي ، وعندما أهمن بضرره على ظهره كانت تفتح فمهما وتشتمنى ، وكانت شائمتها من القوة بحيث أرى - سحابة خضراء تسبح أمام عيني ، وكانت تهدىني في اليوم عشر مرات بطلب الطلق ، رجل آخر في مكانى كان يمكنه أن يرحل دون استثنان وباختفى ، ولكنى من طرزاً يتحمل ولا ينطريق بكلمة ، ومامعاشه المرأة أن يصنع ؟ فالاكتاف من صنع الله وكذلك الشدائد .

وذات ليلة حدت كارثة بالمخبز ، فقد انفجر الفرن وشب حريق فيه ، فتوجهت إلى المنزل ، لأنه لم يكن لدى ما أصنعه سوى العودة إليه ، واعتقدت أنى بت حرأ ، وأتى ساتعم بالنوم الهانئ على السرير فى منتصف الأسبوع ، وكانت لا أريد أن أوقظ المخلوق الصغير المستغرق فى النوم ، فتسلى على أطراف أصابعى ، وترامى لى أنى لم أعد أسمع غطيطاً لائم واحد فقط كالمعتاد ، بل غطيطين : أحدهما رفيع إلى حد ما ، والآخر كحشرجة الثور النبيح ، وهو مالاً أميل إلى سماعه ، وصعدت إلى الفراش ، فاسودت المرئيات فجأة أمام عيني ، فجوار " إيلكا " تبعت هيئة رجل ، رجل آخر في مكانى كان يصدر من

الضوضاء والضجة ما يكفي إيقاظ بلدة بأسرها من النوم ، ولكن خطر بيالي في تلك اللحظة أني قد أوقظ الطفل ، إذ ماذنن مخلوق ضئيل كهذا ، ولماذا أخفى طائر سنونو صغيراً ؟ ورأيت أن أواخذها على ذلك فيما بعد ، وعدت إلى المخبز ، وتمددت على جوال تقيق ، ولم أغضب عيني حتى الصباح ، وبت أرتعش كما لو كنت أصبت بالملاريا ، وقلت لنفسي : "كفاك تشبيهاً بالحمار ، إن يقضى جميل حياته كلها في مصر أصعبه ، ثمة حد للبلادة حتى ولو كانت مثل بلادته ."

وفي الصباح ذهبت إلى الحاخام أسأله النصيحة ، فلأحدث ذلك هرجاً ومرجاً عظيمين في القرية ، وأرسلوا في طلب "إليكا" في الحال ، فأتت تحمل طفلها ، فما الذي تظن أنها قد صنعته ؟ لقد انكرت كل شيء إنكاراً تاماً ، وقالت :

- إنه مجنون ، أنا لأشأن لي بالرؤى والتخيلات .

فأغفلوا لها القول ، وحزرواها وخطروا لها على المنضدة ، على أنها استممات في الدفاع عن نفسها قائلة إن اتهامي لها ياطل من أساسه ، وإنحراف القصابيون وتجار الخيل إلى صفتها ، وجاء فتي من السلاخنة إلى جانبي وقال :

- أنت محظى أنت رجل مشهور .

وفي تلك اللحظة انملصص الصبي من حضن أمها ، ولوث نفسه ، وإذ كان يوجد تابوت العهد في المقر الحاخامي ، ولم يكن مسروقاً بما صنعه طفلها طردوها .

وسائل الحاخام :

- ماذا ستصنع ؟

فأجاب :

- لا بد أن تطلقها في الحال .

فتسأله ثانية :

- ماذا لو رفضت هي ؟

فرد قائلاً :

- لا بد أن تكون البادي بالطلاق ، هذا كل ما عليك أن تصنعه .

فقلت :

- إنن ، دعنى أفك فى الأمر أيها الحاخام .

فقال :

- الأمر لا يقتضى تفكيراً ، يجب لا تبقى معها تحت سقف واحد .

فتسأله :

- وإذا أردت أن أرى الطفل ؟

- خل سبيل هذه العاهرة ، وصفارها من الزنا .

وكان الحكم الذى أصدره الحاخام هو ألا أجتاز عتبة باب بيتها مرة أخرى ماحبب ، ولم يضايقنى ذلك كثيراً خلال النهار ، فقد رأيته أمراً محظوظاً كالدول الذى لا بد من فقده ، ولكن عندما تمددت على الأجلولة بالليل شعرت بالمرارة الشديدة لكل محدث ، وأرقني الحنين إلى "إليكا" والطفل ، وأردت أن استشعر الغضب ولكنى لسوء حظى الشديد لم أجد سبيلاً فى الواقع يدعونى إلى ذلك :

أولاً : (وهذا ما انصرف إليه تفكيرى) أن كل إنسان معرض للزال أحياناً ، وأنت لاستطيلع أن تحيا معصوماً من الخطأ ، كما يتحمل أن الشاب الذى كان معها هو الذى أغواها وأعطماها هدايا ، ولم لا ، والنساء غالباً طويلات الشعر قصيرات النظر ، ثم لا يتحمل أن يكون إنكارها لما رأيته أنها منها دليلاً على أن الرؤية كانت من جانبي وحدي فقط ؟ وحوث الهلاوس أمر مسلم به ، فقد تبصر أنت شخصاً أو مانيكاناً أو شيئاً ما ، ثم تندو منه فلا تقع له على أثر ، وإذا كان الأمر كذلك ، فاني أكون قد ظلمتها ، وعندما سطحت بي أفكارى إلى هذا الحد بكيت ، وببلغ من شدة نحبى أن بللت الدقيق حيث أرقد ، وفي الصباح توجهت إلى الحاخام وأخبرته بالخطأ الذى وقعت فيه ، فكتب ذلك بقامته ، وقال إنه إذا كان الأمر كذلك فسيعيد النظر فى القضية برمتها ، ولكن ليس لي أن أدنو من زوجتى حتى ينتهى إلى حكم فيها ، وإن جاز لي أن أرسل إليها خبراً ونقداً مع رسول .

(٣)

ومضت تسعه أشهر قبل أن يتوصيل جميع الحاخamas إلى اتفاق ، والرسائل تغدو وتروح ، ولم أكن أدرى أن مسألة كهذه تحتاج إلى مثل هذا القدر الكبير من المعرفة ، وقد وضع "إليكا" فى تلك الاثناء مولوداً جيد آخر هادئ ، إذ كان بيتاً هذه المرة ، فذهب يوم السبت إلى الكنيس ، ودعوت الله أن يباركها ، وهنالك ذكرتني بما جاء فى التوراة ، ثم أسميت الطفلة باسم حماتي عليها تستريح سى قبرها ، وراح يعظنى أجيال القرية وجعجاوعها الذين كانوا يأتون إلى المخبز ، وروحت "فراهامبول" كلها عن نفسها بشقوتى وعدابى ، على أنى وجدت الحال فى أن أصدق على الدوام كلام زوجتى ، وما الخير الذى يعود على من عدم التصديق ؟ وإن أنت لم تصدق زوجتك اليوم تزعزع إيمانك بالله نفسه غداً .

وعن طريق صبى الخباز الذى كان جاراً لها كنت أرسل إليها يومياً رغيفاً من القمح أو الذرة أو قطة من الفطير ، وكذلك كنت أرسل إليها كلما أتيحت لى الفرصة جانبها من الحلوى المطبخة أو شريحة من كعكة عسل النحل أو قرصمة محسنة بالفاكهه أو الجبن ، وكل ماصادقنى ، وكان صبى الخباز هذا شاباً طيب القلب ، فكان كثيراً ما يضيق هو شيئاً من عنده ، وإن كان قد ضايقنى كثيراً فيما مضى ، وشد أنفني ، ولكننى فى ضلوعى ، على أنه صار كريماً معى ويدواً عندما بدأ يتردد على منزلى ، وراح يحيينى قائلاً :

أهلأ يا جميل ، إن لك زوجة صغيرة غالية في اللطف ، وطفلين جميلين لاتسأهملاهما .
فكتك أقول له :

- ولكن الناس يتقولون عليها .
فيفقول :

- إذن فهم طوال الأسنة ، لا يجيرون شيئاً سوى الشرارة ، تجاهل ثرثتهم مثلاً تجاهلت برد الشتاء
الماضي .

وإذن يوم أرسل الحاخام في طلبني ، وقال لي :
- أو متاكد أنت يا جميل أنك قد أخطأت في حق زوجتك
فقلت :

- أجل ، إني متاكد
- لماذا ؟ انظر ها هنا ، لقد رأيت أنت نفسك كل ماحدث
فقلت :

- لا بد أنه كان خيالاً.
فقال :

- خيال ماذا ؟
فقلت :

- إنه فيما أظن خيال شعاع من الأشعة .
فقال :

- لك أن تعود إذن إلى منزلك ، أنت مدین بالشكر للحاخام يانوفر ، فقد وجد إشارة مبهمة لصالحك
عند ابن ميمون .

فامسكت يد الحاخام وقبلتها ، ووبددت لو أني انطلقت إلى المنزل في الحال ، فالبعد عن الزوجة والطفلة
فترقة طويلة من الزمن ليس بالأمر الهين ، على أني رأيت أن أعود إلى عملى ، ثم أعود بعد ذلك إلى المنزل
في المساء ، ولم أخبر أحداً بشيء مما تقدم على الرغم من أن قلبي كان متعلقاً بهنالك إلى أقصى حد مثلاً
يتعلق بأحد الأعياد الدينية ، وقد عمل النسوة في ذلك اليوم على مضايقتي والساخرية مني مثلاً اعتدن أن
يفعلن في كل يوم ، ولكنني قلت لهن في سرى : واصلن ثرثترن ، فالحقيقة قد ظهرت مثلاً يظهر الزيت
على وجه الماء ، وما دام ابن ميمون قد قال بأن قضيتي سليمة فهي سليمة ، وعندما غطت العجين بالليل
لكي يختمر أخذت نصبيبي من الخبز وجواً صغيراً من الدقيق ، وشرعت في التوجه إلى المنزل ، وكان
القمر بدرأ ، والنجم تلتمع ، وهو ما يبعث على الرهبة في نفسي ، فأشعرت الخطى ، وامتد ظلي على
الأرض طويلاً أمامي ، وكان الفصل شتاءً ، وقد تساقط الثلج منعشأً ، وخطر بيالي أن أخنى ؛ على أن

الوقت كان جد متاخراً ، ولم أكن أريد أن أقظ من بالمنازل ، ثم شعرت بالرغبة في الصفير ، ولكنني تذكرت أنه يجب الامتناع عن الصفير بالليل ، لأن ذلك يبعث العقارب من مراقدها ، فلذت بالصمت ، وسرت بأشعر مایمكنتني ، وعندما مررت بالازفنة المسيحية نبعت الكلاب الموجودة فيها ، فقللت لهم في نفسي : "أبحروا ماشاء لكم النباح ، إن أنت إلا كلاب ، أما أنا فرجل وزوج لامرأة جميلة وأب لأطفال يرجي لهم مستقبل عظيم ، وبينما أنا أتنو من المنزل أخذ قلبي يخفق بين جنبي ، كما لو كان قلب مجرم أثيم ، ولم يكن هذا شعوراً بالخوف ، ولكن قلبي توالى ضرباته بشدة ، ووجدت لا سبيل للتراجع ، فرفعت المزاج بهدوء وبخلت ، وكانت إليكـا" نائمة ، ونظرت إلى مهد الطفلة الحديثة الولادة ، فرأيت وجهها ، وذلك على الرغم من أن النافذة كانت مغلقة ، فقد شق القمر لنفسه طريقاً من خلالها ، فأحببت إياه بكل قسماته المنتمنة حالماً وقع بصري عليه ، ثم دنوت من الفراش ، فما رأيت إلا صبي الخباز نائماً بجوار "إليكـا" ، وغاب القمر بغتة واحدة ، وأسودت الأشياء أمام ناظري تماماً ، وعترتي رجفة ، واصطكست أسنانى ، وسقط الخبرـ من يدي ، واستيقظت زوجتـي ، وقالـت :

ـ من هناك ، هيـ ؟

فغمضـت :

ـ انهـ أناـ .

فسألـتـي :

ـ جميلـ ؟ كيفـ جئتـ إلىـ هناـ ؟ أظنـ أنـ هذاـ محرـمـ عليكـ . فأجبـتهاـ وأناـ أنتـضـنـ كالـمحـمـومـ :

ـ الحـاخـامـ صـرـحـ لـيـ بـذـلـكـ .

فقالـتـ :

ـ اصـنـعـ إلىـ يـاجـمـيلـ ، اـذهبـ إلىـ الـحظـيرـةـ ، وانـظـرـ ماـ إـذـاـ كـانـ العـنـزـ بـخـيرـ ، فـالـمـرضـ بـادـ عـلـيـهاـ .
نسـيـتـ أـنـ أـخـبـرـ بـائـهـ كـانـ لـدـيـنـاـ عـنـزـ ، فـلـمـ سـمعـتـ بـائـهـ مـوـعـوكـةـ تـوجهـ إـلـىـ الـفـنـاءـ ، فالـعـنـزـ مـخـلـوقـ صـغـيرـ وـبـعـدـ أـكـنـ لـهـ مـنـ جـانـبـيـ تـقـرـيـباـ شـعـورـاـ إـنـسـانـيـ ، ثـمـ عـرـجـتـ عـلـىـ الـحظـيرـةـ بـخـطـىـ مـتـرـدـدـةـ ، وـفـتـحـتـ الـبـابـ ، فـالـفـيـتـ العـنـزـ وـاقـفـةـ عـلـىـ قـوـائـهـ الـأـرـبـيعـ ، فـتـحـسـسـتـهـ مـنـ كـلـ نـاحـيـةـ ، وـجـذـبـتـهـ مـنـ قـرـونـهـ ، وـتـقـحـمـتـ ضـرـعـهـ ، فـلـمـ أـجـدـ بـهـ شـيـئـاـ يـذـكـرـ سـوـىـ أـنـهـ أـفـرـطـتـ عـلـىـ الـأـرـجـعـ فـيـ أـكـلـ لـحـاءـ الشـجـرـ ، فـقـلـتـ
لـهـ :

ـ طـابـ مـسـاؤـكـ أـيـتهاـ العـنـزـ الصـغـيرـةـ ، دـمـتـ بـخـيرـ ، وـرـدـتـ عـلـىـ الـبـهـيـمـةـ الصـغـيرـةـ بـ "ـمـاـ"ـ مـنـ فـيـهـ ،
كـاـ لـوـ كـانـتـ تـشـكـرـنـىـ عـلـىـ نـيـتـىـ الـطـيـبـةـ ، وـعـدـتـ فـوـجـدـتـ صـبـيـ الـخـبـازـ قـدـ اـخـتـفـىـ .

وسـأـلـتـهـ :

ـ أـينـ الشـابـ ؟

فـأـجـابـتـ هـيـ :

- أى شاب ؟

فقالت :

- ماذَا تقصِّدُين ؟ صبى الخباز الذى كنت نائمة معه .

فقالت :

- لعل ما حلمت به أنا هذه الليلة والليلة الماضية قد تحقق ، وجعلك عليل الجسم والنفس معًا ، إن روحًا شريرة قد تلبستك وأغشت بصرك .

وأنشدَتْ تصرخ :

- أنت مخلوق كريه وشائي ، أنت شبح ، أنت جلف ، اخرج من هنا وإلا أبقيت فرامبول كلها من النوم بصراخي .

و قبل أن تتحرك قفز أخوها من خلف القرن ، وعاجلني بضربي على مؤخرة رأسى .. فظننته كسر رقبتى ، وشعرت بأنى قد ارتكبت خطأ فادحًا ،

فقالت :

- لا تثيرى قضيحة ، إن كل ما يهمنى الآن هو ألا يتهمنى الناس باثاررة الأشباح والأرواح الشريرة ، إن أحدًا لن يمس خبرًا من صنعتى ،

إذ كان هذا ماترمى هى إليه .

وياختصار طبیت خاطرها ، فقالت :

- كفاك إنن ، ألق بنفسك تحت عجل السيارات ، وليمزقك .

وفي صباح اليوم التالى كلمت صبى الخباز على انفراد ، وكانت أقول له :
“ اخسْت هاهنا أنهايا الآخ ” ، ماذَا تقول ” وهلم جرا .

فقال وهو يتحقق فى كما لو كنت قد خررت من السقف أو من علو ما :

- أقسم أن من الأفضل لك أن تذهب إلى عشب أو طبيب ، فانا أخشى أن يكون بك مس من الجنون ، لسوف أشفيك منه .

واستمر الحال على هذا زماناً ، ولكن لا أطيل عليك فقد عشت مع زوجتى عشرين عاماً أنجبت هى خلالها ستة أطفال ، أربع بنيات وابنين ، وحدثت كل صنوف الأشياء ، ولكنى كنت لا أرى ولا أسمع ، وأكتفى بالتصديق .

قال لي الحاخام منذ وقت قريب :

“ التصديق فى حد ذاته ناقع ومفيد ، فإنه مكتوب أن الإنسان الطيب يحيا بالإخلاص والوفاء ” .
وعلى حين يقتة أصاب المرض زوجتى ، وقد بدأ بورم بسيط لا يذكر في الصدر ، على أنه تبين لي فيما بعد أنه ليس مقدراً لها أن تعيش طويلاً ، وقد أنفقت عليها من مالى الكثير ، فقد سها على أن أخبرك أنى

كنت أعد من الأذرياء في "فرامبول" إذ كنت أمثلت وحدي مخبراً لا ينزع عنـي فيه أحد ، وكان الطبيب يعود إياها كل يوم ، كما أحضروا لها كل عراف في الناحية ، ثم اعتزما استخدام العلـق ، والالتجاء إلى الحجـامة بعد ذلك ، وأخيراً استدعـوا لها طبيباً من "لوبلين" ، ولكن بعد فوات الوقت ، وقد دعـتني هـي إلى فراشـها قبل أن تموت ، وقالـت لـي :

– أصـفح عنـي يا جـمـيل .

فـقلـت :

– عـلامـة أصـفح عنـك ؟ لـقد كـنت زـوجـة طـيبة وـمـخـاصـة .

فـقالـت :

– وـأـسـفـاءـ يا جـمـيل ! ما أـقـبـحـ خـدـاعـيـ لـكـ طـوـالـ هـذـهـ السـنـوـاتـ كـلـهاـ ، أـرـيدـ أـنـ أـذـهـبـ إـلـىـ خـالـقـ مـبـرـأـةـ منـ كـلـ ذـنـبـ ، وـلـهـذاـ عـولـتـ عـلـىـ أـنـ أـخـبـرـكـ بـاـنـ الـأـلـادـ لـيـسـواـ أـلـادـكـ .
لوـ أـنـ أـحـدـهـ ضـرـبـيـنـىـ عـلـىـ رـأـسـيـ بـقـطـعـةـ خـشـبـ لـاـ أـصـابـنـىـ ذـهـولـ كـلـكـ الـذـىـ أـصـابـنـىـ فـيـ تـلـكـ اللـحظـةـ .
فـسـائـلـهـاـ :

– أـلـادـ مـنـ هـمـ إـذـنـ ؟

فـأـجـابـتـ :

– لـأـنـرـىـ ، فـتـمـةـ كـثـيرـ مـنـ ... ، وـلـكـنـهـمـ لـيـسـواـ أـلـادـكـ
وـبـيـنـمـاـ هـىـ تـحـدـثـيـ مـالـتـ بـرـأسـهـ إـلـىـ جـنـبـ ، وـصـارـتـ عـيـنـاهـاـ كـالـزـجاـجـ ، وـانتـهـىـ الـأـمـرـ ، وـلـنـ بـقـيـتـ عـلـىـ
شـقـقـيـاـ الـمـيـضـيـنـ اـبـتـسـامـةـ ، وـخـلـيـ إـلـىـ أـنـهـ تـقـولـ لـىـ وـهـيـ مـيـةـ :

– لـقـدـ خـدـعـتـ جـمـيلـ ، هـذـهـ خـلاـصـةـ حـيـاتـيـ .

(٤)

وـذـاتـ لـيـلـةـ عـنـدـمـاـ كـانـتـ فـتـرـةـ الـحـدـادـ لـاـتـزالـ قـائـمـةـ جـاعـنـيـ "روحـ الشـرـ" نـفـسـهـ ، وـأـنـاـ رـاقـدـ أـحـلـمـ عـلـىـ
أـجـوـلـةـ الـدـقـيقـ ، وـقـالـ لـىـ :

– لـمـاـذـاـ أـنـتـ نـائـمـ يـاـ جـمـيلـ ؟

فـقـلـتـ :

– مـاـذـاـ كـنـتـ أـعـمـلـ ؟ أـوـ كـنـتـ أـكـلـ الـ "ـ كـرـيـلـاخـ"ـ (٢)

فـقـالـ :

– الـعـالـمـ كـلـهـ يـخـدـعـكـ ، عـلـيـكـ أـنـ تـخـدـعـهـ بـدـورـكـ .

فـسـائـلـهـ :

– كـيـفـ أـسـتـطـعـ ذـلـكـ ؟

فـأـجـابـ :

- تستطيع أن تملأ جرلاً بابول كل نهار ، ثم تفرغه في العجين بالليل
ودع عقلاه فرامبول وحكمها يأكلون خبراً نجساً .

فقالت :

- ماذا عن الحساب في اليوم الآخر ؟

:

قال :

- ليس ثمة يوم آخر ، لقد احتالوا عليك وأدخلوا في روعك أنت تحمل قطة في بطلك ، في الهراء ! .

فقالت :

- حسن إذن ، وهل ثمة رب ؟

فأجاب :

- ليس ثمة رب .

فقالت :

- ماذا ثمة إذن ؟

قال :

- وحل كثيف وعميق .

فلا سمعت منه هذا الكلام ، وكان يقف أمام ناظري بلحية تشبه لحية الجدى ، ويقرن ، وأستان طويلة ، وذيل ، أردت أن أشده من ذيله غير أنى سقطت من فوق أجولة النقيق ، وكسر لي تقربيا ضلع ، ثم وجدتني مضطرا إلى تلبية نداء الطبيعة ، فلمحت عند مرورى العجين المختمر ، قبدا وكتنه يقول لي : « هيا افعطها » ، وباختصار تركت نفسي على سجيتها ، وجاء صبى الخباد فى الفجر ، وقمنا بالعجز معاً ، وتناثرنا بنور الكروباء على العجين ، ثم أعددناه لينضج ، ثم انصرف هو وتركتى جالساً فى الخندق الصغير المواجه للفرن على كومة من الخرق ، وقلت لنفسي : « هانت يا جمبيل قد انتقمت منهم لنفسك جزاء مالطحوك به من عار وخرى ، وتلالا الصيقع بالخارج ، على أن الجو كان دافئاً بجوار الفرن ، واللهب يلفح وجهي ، فملت برأسى وأغفيت ، ورأيت حلاماً في الحال ، رأيت « إيلكا » في كفتها ، وهي تراجعنى قائمة :

- ماذا صنعت يا جمبيل ؟

فقالت وقد بدأت أبكي :

- كل هذا راجع إلى خطتك أنت .

فقالت :

- أنت غبى وأبله ، أو كل شئ زائف لأنى خنتك وغدرت بك ؟ أنا ماخدعت أحداً إلا نفسي يا جمبيل ، أنا الآن أجازى عن كل ماصنعته يداى ، أبا أنت فهم لا يدخلون لك شيئاً هنا .
ونظرت إلى وجهها ، فرأيتها أسود ، فأجلفت مذعوراً ، وتيقظت من نومى وبقيت جالساً كالآباء . لقد

أيقنت أن كل شيء مرده إلى الله ، وأنى كدت أخسر الحياة الأبدية بسبب زلتني لحظة لولا أن أعانتني الله ، ولذلك أمسكت بال مجرفة الطويلة وأخرجت الأرغفة ، ونقلتها إلى الفناء ، ويدأت أصنع حفرة في الأرض - المتجعدة بفعل الصقيع ، وعاد الصبي مساعدى وأنا أهفر ، ففقال وقد امتعن لونه كالجنة :

- ماذا تصنع ياريس ؟

فقلت وأنا أدقن كل الأرغفة أما مناظريه :

- أنا أعرف ما أصنع .

ثم عدت إلى المنزل ، وأخرجت ما دخرته من مال في مكان آمن ، وقسمته بين الأولاد ، وقلت لهم :

- لقد رأيت أمكم الليلة ، لقد تختمت المسكينة .

وبلغ من شدة ذهولهم أن لم ينطقو بكلمة واحدة .

وقلت :

- أتركم بخير وعافية ، انسوا أنتم عرفتم شخصاً اسمه جمبول كان موجوداً على ظهر الدنيا .
وارتديت معطفى القصير ، وليبسن حذاني ، وأخذت الحقيبة التي كنت أضع فيها شال الصلاة بيد
والعصا باليد الأخرى ، وقبلت الله " ميزيزاً "(٤) وعندما أبصرنى الناس فى الشارع دهشوا للغاية
وسألوني :

- إلى أين أنت ذاهب ؟

فأجبتهم :

- إلى الدنيا الواسعة .

وهكذا رحلت عن " فرامبول " ، وطوفت في الأرض ، ولم يهمل الناس الطيبون أمري ، وبعد سنوات طولية صرعت عجوزاً أشيب الشعر ، وقد سمعت خلالها الكثير من المزاعم والأكاذيب ، ولكن من طول ماعشت أدرك أن ليس في الحقيقة ثمة أكاذيب ، وكل ما يحدث لنا في الواقع نحلم به في الليل ، وهو قد يحدث لأمرى إن لم يحدث لغيره ، وهو قد يحدث في أو بعد قرن من الآن إن لم يحدث اليوم أو العام المقبل ، فما الفرق المترتب على ذلك إذن ؟

لقد سمعت في كثير من الأحيان حكايات كنت أقول عنها : " هاهي حكاية لا يمكن أن تحدث " ، ولكن قبل أن ينقضي عام أسمع أنها قد وقعت في مكان ما .

ورحت أنتقل من مكان إلى مكان ، وأكل على موائد غريبة ، وأروى من وقت لآخر حكايات من نسج خيالي عن الجن والسمورة وطواحين الهواء وما شابه ذلك ، وهي حكايات بعيدة الحدوث يائى العقل أن يصدقها ، ويجرى الأطفال خلفي طالبين مني أن أروى لهم قصة ، وقد يطلبون مني أحياناً أن أروى لهم قصصاً معينة ، فأخاول أن أدخل السرور على قلوبهم ، على أن فتى بدين قال لي ذات مرة : " لقد قصصت علينا هذه القصة ذاتها من قبل أيها الجد ، وكان الصغير الفظ محقاً فيما قاله .

وكذلك كان الشأن بالنسبة للأحلام ، فمع أنى تركت "فرامبول" منذ سنوات طوال ، إلا إننى حالاً أغمض عيني أجد نفسي هناك من جديد ، ومن تظن أنى أرى ؟ ، "إيلكا" وهى واقفة بجانب حوض الغسيل مثلاً حدث فى أول لقاء لنا ، وإن كان وجهها يبدو أكثر إشراقاً ولعاناً ، وعيناه ترسلان شعاعاً كذلك الصادر من عيني قديسة ، وتروج تحديثى بلجة غريبة عن أشياء عجيبة ، وعندما أصبحوا أنسى كل شيء ، غير أنه ما يكاد ينتهى الحلم حتى استشعر راحه ، فقد كانت تجيب عن كل تساؤلاتي ، وكانت أجوبتها شافية تماماً ، وكانت أناشدتها وأنا أبكي قائلاً :

- دعيني أكن معك .

فعززني قائلة :

- كل آن قريب .

وكانت تضربنى أحياناً ، ثم تقبلنى وتبكى على وجهى ، وعندما استيقظ أشعر بملمس شفتتها وطعم الملح فى دموعها .

لأرب أن العالم بأسره عالم خيالى ، ولكن هاهى المرأة الوحيدة فحسب التى يقترب فيها من العالم资料， فقد استقر النعش الذى يحمل الميت عليه إلى بعيد - على باب الكوخ حيث أرقد ، واستعد حفار قبور اليهود بمجرافه ، والقبر ينتظر والدينان جوعى ، والأكفان التى أحملها معى فى جوال الشحاذة جاهزة وثمة شحاذ آخر صفيق الوجه يتضرر أن يirth فراشى الصنوع من القش ، وعندما يحين الوقت ساتطلق فرحاً ومسروراً أيا كان الذى يتضررنى هناك ، لأنه سيكون حقيقياً خالياً من التعقيد والسخرية والقش ، ولن يخدع أحد هناك أبداً جمبل ، فله الحمد والمنة .

إسحق باشيفس سنجر

- ولد إسحق باشيفس سنجر ببولندا عام ١٩٠٤ لوالدين يهوديين أرثوذكسيين .

- كان والده حاخاماً متزمناً ومتشددأً فى معظم الأمور بما فى ذلك نظرته إلى الأدب ، إذ كان يراه مجازياً للإيمان تماماً .

- تربى على الاستقامة والالتزام بالحكم الدين فى وارسو ، حيث تلقى تعليمه الأول .

- شب على حب الأدب وتزايد اهتمامه به على الرغم من تزمنه والده وتشدده ، وبدأ يكتب القصائد بالعبرية والقصص وهو فى الرابعة عشرة من عمره مما سبب الكدر والغم لوالديه كثيراً .

- قضى أربع سنوات فى بيلجوراي (قرية جده) ، وقد أهملته تلك الفترة بعض أعماله القصصية والرواية .

- عاد إلى وارسو عام ١٩٢١ ليتحقق بالمعهد الربى ، ولكنه تركه بعد عام فقط للعمل بالصحافة والأدب .

- نشر أول قصة قصيرة له عام ١٩٢٥ .

- ظهرت أول رواية له وهى "الشيطان فى جوارى" مسلسلة عام ١٩٣٤ .
- هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٢٥ ، واستقر فى بروكلين ، وتوقف إبداعه الأدبى فترة من الزمن ، إذ تلقى صدمة ثقافية وتعرض لاختبار قاس ، إذ تبين له أن البيبيَّة (*) ليس لها مستقبل فى أمريكا .
- فى عام ١٩٤٣ عادت إليه طاقته الإبداعية ومقدراته على الكتابة ، ومنذ ذلك الوقت رسخت قدماه فى حقل الأدب من خلال سلسلة من الأعمال الأدبية الناجحة وأصبح كاتب البيبيَّة الأول فى مجال الرواية والقصة القصيرة والمقال ، فقد جال بقلبه فى شتى الموضوعات التى تمس الحياة اليهودية ، مكسراً حياته - كما يقول أحد النقاد - للكتابة عن عالم تحطم بطريقه وحشية قاسية ، وأنجز عمله بلغة هي نفسها على وشك الانهيار والاندثار .
- من أعماله الرواذية :
 - * الشيطان فى جوارى (١٩٣٤ - ١٩٣٥) . وهى رواية قصيرة تتناول فكرة المسيح الدجال فى القرن التاسع عشر .

* عائلة موسكات (١٩٥٠) .

- * ساحر لوبلين (١٩٦٩٠) ، وهى رواية تدور أحداثها فى إحدى المدن البولندية فى أواخر القرن التاسع عشر ، حيث يفرق ساحر يهودي نفسه فى الملذات الحسية ، ثم ينتهى به الحال إلى الزهد والتتسك .

* مالك العزبة (١٩٦٧) .

* العزبة (١٩٦٩) .

* الأعداء : قصة حب (١٩٧٢) .

* شوشـا (١٩٧٨) .

* التائب (١٩٨٣) .

- ومنمجموعات قصصه القصيرة :

* جمبل الأبله (١٩٥٧) .

* سيبينوزا شارع السوق (١٩٦١) .

* يوم جمعة قصير (١٩٦٤) .

* جلسة (١٩٦٨) .

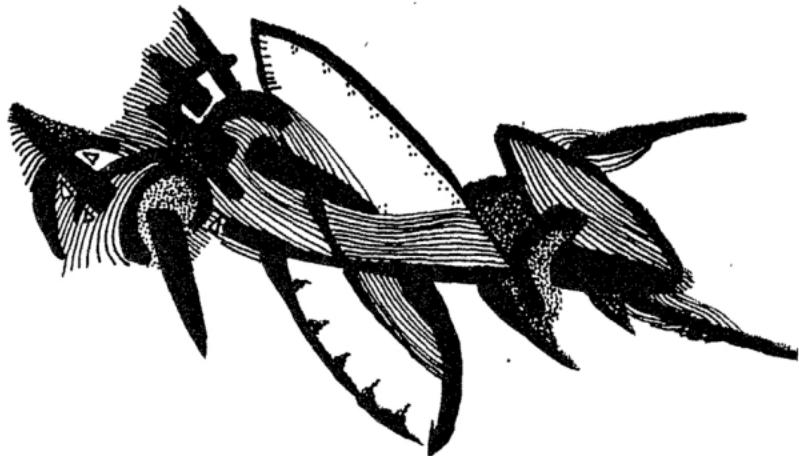
* صديق Kafka (١٩٧٠) .

* تاج من القشن (١٩٧٣) .

* حب قديم (١٩٧٩) .

* الصورة وقصص أخرى (١٩٨٥) .

- كذلك نشر ثلاثة كتب تشتمل على ذكرياته هي :



* فی بلاط والدی (١٩٥٩).

* صبي صغير يبحث عن الله (١٩٧٦).

* شاب صغير يبحث عن الحب (١٩٧٨).

فضلاً عما نشره من بعض الكتب للأطفال .

- حصل على جائزة الكتاب القومي مرتين (الأولى عام ١٩٧٠ والأخرى عام ١٩٧٤) ، ثم توجت أعماله بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٨ .

- توفي عام ١٩٩١ -

١- أسماء القرى والمدن الواردة في القصة بولندية.

٢- القنبلت : يرمي شون الكنيس (المعبد اليهودي) ويحافظ على ممتلكاته . يرجع أصل التسمية إلى لفظة يونانية معناها : مشغل القنابريل .

٢- كريبلاخ : فطيرة محشوة باللحام المفروم ، معروفة بهذا الاسم عند اليهود.

*)**البيش** (اليدиш : لهجة ألمانية تكتب بحروف عربية ويتحدث بها يهود شرق أوروبا منذ العصوب الوسيطى - يطلق عليها لغة جماهير).



افتراق

د. فخری لبیب

كان في كامل أبهته، وأبهى زينته، يستعرض جنوده، عندما نجح أحد ضباط الاستعراض في الوصول إليه، وإطلاق الرصاص عليه، فمات.

ففي الفجر اقتحموا منزلـي . أنا لم أقتلـه ، ولم أشارك أو أحرض على مثـله . بل ربما كان يمكن أن أقتلـه أنا أيضاً، لا لأنـني من أنصارـه ، فـأنا خصمـه ، لكنـني أيضـاً خصمـ من مثـله . الرئيسـ كان قد أعدـ كشفـ اعتقاـ، قـباـ، أغـتـالـه ، هـاهـي سـتكـلـها اللـاةـ بعدـ مـفـاتـهـ.

قال الضابط:

-جهز نفسك والمدام.

كان القبض علىَ في تلك المناسبة مسألة غريبة ، لكن الأمر أصبح أكثر غرابة بعد أن طلب هذا الضابط المتوجه أن استعد لإصطدامي أنا وزوجتي . قلت له:
—المدام لعيونك

لم يكفل نفسه عناء الإجابة . كررت السؤال ، فرد وهو لا ينظر ناحيتي :

ـ دى الأوامر . وكلها خمس دقائق وترجم تانى .

مقالات ابنتی ، الطفولة الكبرى (أكبر من أختها بعشر دقائق) :

دول زوار الفجر یا بابا؟

قلت لها مؤكداً:

بالضبط يا بنتي.

نظر الضابط البنا مندهشاً.

قالت زوجتى فى انزعاج شديد:
والبنين ، دول أطفال ، آخدهم معايا

قلت أحاول تهدئتها:

-ماينفعش

قالت:

-الضابط بيقول خمس دقائق وهرجع .أخذهم معايا وارجع بيه.
قلت لها:

—متصدقيش حکایة الخمس دقائق دی. أنا قبل کده خدوانی خمس دقایق خمس دقایق رجعت بعد
خمس، سینه.

قال الفيلسوف ماتيفا:

S. 1414

قالات ذهبية في عزاء

الطباطبائي

14

هيمروا البنتين في الشارع ، ويخدونا احنا . وكده مش هنعرف مصيرهم إيه .
إنثالت دموع زوجتي . لا أدرى لماذا هي ، في حين لا علاقه لها بالنشاطات السياسية . لم أود مناقشة
هذه الفكرة معها ، لكنني حاولت تشجيعها . إن هذه العملية لعبه خبيثه لإثارة قلق لأحد له في نفسي . أنا
لا أدرى الان إلى أين زوجتي ؟ وكيف تواجه التجربة والخبره لها ؟ والبستان الطفلتان ماذا ستفعلان ؟ وماذا
يسجل بهما ؟ بل أنا نفسى ، الم ، أين ؟

سے لے کر

ثورة تسييرات فـ. بـ. اـ. عـ. ةـ.

قلت لهم أن يضيئوا الشقة كلها ، ولا يفتحوا الباب لأحد لا يعرفاته . عليهما عندما يسمعن وقع أقدام السكان وهم ينزلون إلى صالة العيد (فالليوم عيد الأضحى) أن يفتحوا الباب وبخبراتهم بما حدث . ثم عليهم أن يتخلصوا من الأداء بالاتفاق . لأن العذر من حقه .

بعض الجيران كانوا قد استيقظوا استعداداً للفجر . هم الذين نقوا الباب ليعرفوا ماذا حدث وليلطمئن الفتاتين لا يخشيا شيئاً ، حتى يجيء الأهل .

في السيارة ظلت دموع زوجتي تنساب هاطلة . كنت

مواساتها .

البيانات.

عیناً معاوهٔ ایشان را در حق فخر و مبالغهٔ می‌نماید.

وَمِنْ أَعْلَمِ الْمُلْكَاتِ إِذَا نَهَىٰهُ عَنْ مُحَمَّدٍ فَلَمْ يَرْجِعْهُ إِلَيْهِ

الله يلهمك خير ما ترمي به يداك

لم أكن أدرى كيف كل الأشياء مبهمة كالظلم الذى يكتننا . كان على أن أمد لها خيط أمل تمسك به، الجو فى إدارة اليمان شديد التوتر. التفتيش الذاتى خشن ، وتفتيش الحقيقة بما فيها فظ عنيف أشار شخص يرتدى الملابس الملكية (ابد أنه ضابط أمن الدولة) أن أدخل مباشرة قال شاويش لاخر: دا أصله مش منهم.

يبدو أن هناك إجراءات إضافية لم يكن «منهم» لكن من هم «منهم» هؤلاء؟
دقعنى أحد الشاويشين أماميه إلى العنبر . سلمتى إلى خفر الليل الذى ادخلنى إحدى الزنزين الزنزانة مليئة بناشئين موصومين على الأرضية بكميات ضخامية مذبحة . الشى الوحيد الذى يدل على أنهم ما زالوا أحياء هو تلك الأنفاس التى تتراوح من شخير متواتر إلى هممة غائمة كائناً هناك من يبتلع أحلامه.

استيقظ أحدهم . دعك عينيه . قال فى كلمات متتابعة:
ـ أهلا يا زميل.
ـ أهلا يا زميل.

طمأنتنى التحية . إنها أقرب لكلمة سرية شرقية ، لجماعة ما، هي جماعتى . استيقظ أكثر نھض إلى قدميه . فرد ذراعيه مرحبا.

ـ زميل فكري! أهلا وسهلا . محمد الله على السلامة .
تعرفت عليه . زميل التقى به فى أكثر من اجتماع جلسنا معًا فوق نمرتة . استيقظ بقية الزملاء على مراحل حبيت من أعرف ويعرفت بمن لم أكن أعرف.

سمعننا خسجة تقترب من العنبر . أصوات صراخ وشتائم فتح الباب وأندفع منهم بشر معصوبى الأعين سقىدى الأيدى خلف الظهور ، والضرب العشوائى ينهال عليهم . أسرعت إلى نافذة الزنزانة أرى . كانت هناك مجموعة من جنود الأمن المركزي على رأسها ضابط ، يسوقون أمامهم مجموعة من الشباب . صرخنا فيهم أن يكفوا وانتقض العنبر بدق الأبواب و«القروان» الفارغ — صعق الضابط وجنوده فتوتفقا مبهوتين ، ثم سرعان ما نكسوا على أعقابهم وغادروا . كيف وصل هؤلاء إلى هنا . المفروض أن يسلموا بضاعتهم عند باب اليمان ويعودون . هذه عملية توصيل من الباب إلى الباب ، من غرف النوم إلى الزنزانين . وتذكرت قول الشاويش عند البوابة ، «إننى لست منهم .. إنن فھؤلاء هم» منهم» الذين قدصدهم الشاويش.

نادى أحد الزملاء:
ـ يا غفر الليل.

ـ همس زميل إلى جوارى:
ـ أصله معرفة من حبسات قيمة.

طلب الزميل من غفير الليل أن يفتح لنا لنرسل لهؤلاء القادمين الجدد ، طعاماً وماء وبطاطين ، وأن يعالج زملوقنا الأطباء المصايبين منهم . أرسلنا لهم كل ما عندنا . لكن الشاويش رفض مسألة الإسعاف تلك .

قال الشاويش فى إزدراع:
ـ أنتوا انقذتهم والأمن المركزي كان هيعملهم كفتة . والمصيبة إن إخوانهم مفتوحوش خشمهم ولا بكلمة واحدة.

ـ همس الزميل الذى إلى جوارى :
ـ أصل الصف بتاعنا ودا تجمع وشيوعيين والصف اللي قدامنا دا بجماعات واخوان مسلمين.

- والأدوار التي فرقينا؟.
- جناثين.
- الكل في عنبر واحد.
- سبود واحد كمان . واضح إنها حملة واسعة وسريعة وبعدين يفرزوا براحتهم.
- على رأيك ، ماقرتش معاهم.
- أو يمكن قاصدين ، عشان الإداره تستخدم الجناثين إذا لزم الأمر.
- كل جايز.

كل الأشياء تداخلت . القتلة والذين يفترض أن يكونوا ضحاياهم، في عنبر واحد، بل في دور واحد أيضاً . الجماعات والاخوان منقسمون إنقسامات شديدة . هناك الجهاد وبالجماعة الإسلامية في الجامعات، والتکفير والهجرة ومن کفر التکفير والهجرة ومن کفر الذين کفروا التکفير والهجرة، والفرماوية والبيان والذين والدعوة للمعرفة والنھي عن المذکور والإخوان المسلمين إنهم يکفرون بعضهم البعض ، لكنهم جميعاً يتلقون على تکفیرنا .

أین زوجتی الآن؟ وماذا حل بابنتي؟ سالت أحد الزملاء عن أخبار الاتصال بالخارج ، قال إن الظروف صعبة للغاية ، بل تکاد تكون مستحيلة . أخبرته أن زوجتى قضى عليها ، ولا أدرى إلى أین أخذوها كما أنتا ترکنا إبنتينا الطفلتين بمفردہما في الشقة . وأود أن أعرف أین هما الآن؟ قال الزميل أن زوجتى لا بد قد أرسلوها إلى سجن النساء بالقناطر . فهذا ما حدث لبعض الزملاء هنا معنا . أما البنات فتلك مشكلة .

أراحتي بعض الشئ ، ذهب زوجتى إلى سجن النساء . هناك زميلات سوف يتعرفن عليها ويعملن على مساعدتها . لكن القلق على طفلي يزداد يوماً بعد يوم .
 اليوم الجمعة . بعد انتهاء صلاة الظهر الجماعية ، كبر أحدhem ثم أعلن الجهاد على الكفرة . فجأة هاجمونا بقطع من الأخشاب والحديد ، غير أن الزملاء كانوا مستعدین بأنواع مماثلة . وارتفع صرخ الجناثين ضدhem لعدوانهم . ووصل مأمور السجن ومساعدوه وهاجمه الزملاء بأنه وراء تلك المؤامرة ، فالمعروف عنه أنه رجل الأجهزة الأمنية السياسية ، وإدارته للبيان تقوم على الدسائش والواقعية .
 لم يزعجني كل ذلك ، لكن الذي أزعجني حقاً هو أن هؤلاء الذين قدمتنا لهم ما كان لدينا من ماء وطعام وغطاء هم الذين قاموا بتلك الهجمة .

أصموا في الفجر على عديد من المؤذنين . كل فريق له مؤذنه ، وله إمامه عند الصلاة . لا يصلى عضو في فريق وراء إمام فريق آخر ، كل فريق منهم هو وحده الجماعة المسلمة وليس جماعة تعنی جماعات المسلمين الأستلة الحائزه تهاجمنى ملائزاً نحن هنا ؟ هل أخطأت الحكومة فأعتبرتنا تصفيلاً من فضائل الجماعات؟ أم هل خشيت الحكومة أن تضرر الجماعات فيخلو لنا الجو ، فقطعت علينا الطريق مسبقاً ؟
 أم هل هي كشفت بذات في سبتمبر والحكومة تستكملاها بغض النظر عن أي جديد ؟ وأنذرك ابنتي فاختفت . أین هما الآن؟ ماذا تأكلان وكيف تتamasن ؟ وماذا عن المدرسة والمذاكرة ؟ وماذا اجتر ، وماذا وبماذا ؟ لكنني أسعى جاهداً ألا أظهر شيئاً . مخاوفى في أوقات الفجر والطابور ، عندما أكون بمفردی ، أو أستطيع أن أكون بمفردی .

التضييق شديد . مر شهر وأخر ولا بصيص يطمئنني على ابنتي ، بل وعلى زوجتى أيضاً . هي في سجن القناطر ، لكن ماذا يحدث في سجن النساء ؟ وهل الزميلات محبوسات مع الاخوات المحجبات

والنقابات؟ وهل يجري هناك مثلاً يجزى هنا؟
 جاء فريق من رجال الدين الرسميين لمناقشة الجماعة بهدف «هدايتهم وإعادة تربيتهم» كما يقولون. بدأ اللقاء بمنتobiين عن الجماعة الإسلامية (جماعة «طلاب الجامعات») وجماعة الدعاة المعروفة والنهي عن المنكر. قائد اليمان الخبيث ترك الميكروفون الذي في حجرته، التي يجري فيها اللقاء، تركه متوجهاً على عبّرنا. وبينما سمعنا كل ما دار تصصيلاً. قال ممثل الجماعة:
 «نحن أبناء النظام. نحن حماة الأمن القومي. لقد جربتوانا من قبل في الجامعة، نحسن في مواجهة اليساريين، ونحن الآن على استعداد لمواجهة كل الجماعات الدينية المزعومة. نحن أبناءكم، فإن كنا قد أخطأنا، شدوا منا الآذان، لكن لا تخلونا اليمان» وبقهقه بعض السادة الرسميين الموقرين، قالوا:
 «خيراً إن شاء الله».

كان يجلس إلى جواري في حوش العنبر ونحن نستمع إلى ما يجري هناك في مبني الإدارة، واحد من الجهاد وأخر من التكبير. سألت أين الجهاد عن رأيه، وأبدي امتعاضه، وقال وهو يهز رأسه: خائن، وسألت أين التكبير عن رأيه، فقال في حسم: كافر يا الله، ما هذا الجنون الذي تعشه، وماذا يجري في البلد الآن؟ أحاول أن ألمم نفسي. الأفكار متبعثرة لا تكاد تلتئم. تبدو كخطوط متشاركة أو خطوط متداخلة، لا يبين أولاًها من آخرها.
 أجلس متقدراً، أسرح بعيداً وراء الأسوار سمعت أحد الزملاء ينادي أسمى. أسرعت إليه، أخبرني أنه قد وصلني أكل وطرد ملاس داخليه. كان ذلك أول خط يحيي من الخارج. أمسكت الطرد بلهفة أقرأ ما هو مكتوب عليه، لعلني أعرف الراسيل من خذه، لم يكن الخط خط زوجتي ولا خط التوأم. كان الخط متوجهاً غير واضح. لابد أنه خط ابنتنا الكبرى التي تعيش بعيداً عن القاهرة. كلما أمعنت النظر في الخط كلما ابقيت أنه خطها. ليلت الأمر يكون كذلك.

أخذت غياراً داخلياً، توجهت إلى بورقة المياه حتى استحملت ضلوع نظارتي. اغتسلت وارتقت الفانلة أحسست بشيءٍ غريبٍ في حمالتها اليمني. كانت أكثر سماكاً من المعتاد. الفانلة جديدة. فما هذا الذي بها ضلوعتها. شيءٌ ما كان مدرسوساً ومخاطباً حوله. في سرعة محمومة أعملت أستانى في الخط أفرقه. وجدت أمامي رقعة قماش صغيرة، وعليها كتابة. ارتديت النظارة في سرعة. كانت رسالة:
 «حبيبتنا بابا. وحشتنا خالص. نحن بالشقة معاً. لا تقلق علينا. معنا نقود كثيرة، ولا ينقصنا سواكم ماماً يخier في القنادر وطمئننا علىينا. شد حيلك وحاول توصلنا إلى طلب

(سمسة توفنا كوكى)

هن بناتي الثلاث استخدمن أسماء هن الدلع كأسماء سرية.

أنا بهن الان أقوى من جدران اليمان.

وكلت من فرحتي أن أترك الحمام وأنا عريان.

٢٠٠٣/٦/٢٩



الخوارزمي .. والأرقام العربية

وديع أمين

لقد فرضت التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية عبر سلسلة من التغيرات التحول من مجتمع القبيلة والاقتراض الرعوى البدائى إلى مجتمع مكة المدنى التجارى المنظم، ثم إلى مجتمع دولة دمشق وبغداد مجتمع الإمبراطورية الإسلامية القائم على الاقتصاد التجارى واليسائى والمبادلات العالمية والتوسع فى العاملات التجارية . وقد أدى هذا التطور والتقدم التجارى إلى دفع مقتضيات التجارة والمحاسبة العرب إلى إحداث انقلاب فى علم الحساب تماماً على نحو ما فعل الفينيقيون من قبل .لقد ابتكر العرب فى العصر العباسي فى مجال العلوم والرياضيات استعمال نظام الترميم بدلاً من حساب الجمل الذى كان سائداً فى العصور القديمة إذ اطلع العرب على حساب الهندو، وأخذوا عنهم نظام الترميم ، إذ رأوا أنه أفضل من حساب الجمل وكان لدى اليهود أشكال مختلفة فاختاروا نظامين عرف أحدهما بالآرقام الهندية(١٢٤٥) وهى المستعملة فى أغلب البلاد العربية فى المشرق ، وعرفت الثانية باسم الأرقام الفبارية(١,٢,٣,٤,٥) وهى المستعملة فى بلاد المغرب العربى . وكانت سائدة فى الاندلس العربية ومنها انتقلت إلى أوروبا وتعرف هناك خطأ بالأرقام العربية . أما الأصل فى تسميتها غبارية فهو أن الهندو كانوا يثنون غبارا على لوح من الخشب ويرسمون عليه الأرقام وفي هذين

النظامين للأرقام استعمل الصفر الذي استخرج مركز الدائرة في الوسط ليغير به عن الصفر في الأرقام الهوائية أى الأرقام العربية . بينما استعملت الدائرة الـ (Zero) لتكوين الصفر في الأرقام الغبارية . كما أن للصفر الذي ابتكره العرب ميزة كبيرة في الحساب . فقد كان الهند ياستعمالون الدائرة أو الفراغ لتدل على الصفر ، فنقلت هذه النقطة أو الدائرة إلى العربية باسم الصفر واستعملها الفرنج متطرورة إلى (Zero) . ويرجع الفضل في نقل هذه الأرقام واستعمالها إلى العالم العربي الأشهر محمد بن موسى الخوارزمي وهو أول من أوردها في كتابه «الجبر والمقابلة» الذي وضعه حوالي سنة ٢٠٠ هـ نزولاً على رغبة الخليفة المأمون ، وكان كتابه الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبييب والمادة .

وكان العرب قبل استعمال الأرقام العربية الهوائية في المشرق والأرقام الغبارية في المغرب يستعملون حساب الجمل والمقصود وبالجمل هو استخدام الحروف الإبجدية الدلالة على الأعداد ، حيث كان كل حرف يمثل قيمة عددية وذلك على النحو التالي : فقد كان حرف (ا) يمثل العدد واحد ، والحرف (ب) يمثل العدد اثنين ، والحرف (ج) يمثل العدد ثلاثة ، وهكذا حتى الحرف (ى) الذي يمثل رقم عشرة ويمثل الحرف (ك) عدد عشرين ويمثل الحرف (ل) عدد ثلاثة ، ويمثل حرف (م) عدد أربعين ويمثل حرف (ن) عدد خمسين وهكذا حتى عدد مائة ، ويمثل حرف (ر) عدد ٢٠٠ ويمثل حرف (ش) عدد ٣٠٠ ويمثل حرف (ت) عدد ٤٠٠ ويمثل حرف (ث) عدد ٥٠٠ ، وهكذا حتى عدد ١٠٠ الذي يمثله حرف (غ) .

وليس ثمة وجه للمقارنة بين سهولة استعمال الأرقام العربية ، وصعوبة استعمال حساب الجمل فمن السهولة يمكن تركيب أي عدد مهما كان كبيراً من هذه الأرقام الهندية أو العربية . وقد أدى اختراع الصفر الذي ابتكره العرب ذلك والذي يعتمد عليه في التعداد العشري إلى تحقيق الثورة الثانية في الرياضيات منذ عهد الفينقيين .

ولد محمد بن موسى الخوارزمي في خوارزم ثم انتقل للإقامة في بغداد في عصر المأمون الذي جعله مشرقاً على بيت الحكمة الذي يطلق على مكتبة بغداد العاملة . وكانت تحوى مائة ألف مخطوط وكتاب وفقاً لمصادر المؤرخين . لقد عاش الخوارزمي في عصر مليء بالاختراعات والاكتشافات العلمية تلبية لسد حاجة الإمبراطورية الإسلامية النامية في التقدم والازدهار في زمن الرشيد والمأمون ، ويزد الخوارزمي في العلوم والرياضيات والفلك والجغرافيا . وبعد الخوارزمي أول من وضع كتاب منهجي في علم «الجبر والمقابلة» وأول من استعمل كلمة جبر للتاكيد على هذا العلم المعروف بهذا الاسم ، ولا تزال كلمة **Algebra** مستعملة في اللغات الأجنبية حتى الآن وهو أول من ألف فيه بطريقة منتظمة . وكان كتابه المصوّر الذي اعتمد عليه في أوروبا وكان أثراه في تقديم علم الجبر لدى الأوروبيين . وإن كان ما ألف فيما بعد كان مبنياً عليه ، وبقى عدة قرون

مرجعاً للعلماء والاعتماد في بحوثهم الرياضية.

ويقول محققان الدكتوران مصطفى مشرقى ومرسى أحمد عن نسخة محفوظة باكسفورد بمكتبة بودلين عام ١٩٣٧ وقد كتب فى القاهرة سنة ٨٤٢هـ : إن حل المعادلات الجبرية يرجع إلى ما قبل الميلاد بنحو ألفى سنة لدى البابليين ، وأن قاعدة حل المعادلات من الدرجة الثانية كانت معروفة عند الإغريق والهنود بإلاشك أن الخوارزمى قد أطلع على ما لدى الهنود والإغريق من علم رياضى، لكنهما لم يعثرا على كتاب يشبه كتاب الخوارزمى ، وإنما يميلان إلىظن بأنه لم يكن قبل الخوارزمى علم يسمى الجبر، وتتجلى عبقرية الخوارزمى، فى أنه خلق علماً من معلومات مشتتة فى زمانه وغير متصلة لكي تنتقل هذه المعلومات إلى عبقرى كالخوارزمى لكي ينسقها ويعلمها للناس . وكان الخوارزمى أول من استعمل كلمة أصم لتدل على العدد الذى لا جذر له ، ووجد طرقة لايجاد القيم التقريبية للأعداد والكميات التى لا يمكن استخراج جذورها ويقول : إن الأعداد التى يحتاج إليها فى حساب الجبر والمقابلة على ثلاثة ضروب وهى جذور- وأموال وعدد مجرد لا يناسب إلى جذر ولا إلى مال.

بالجذور كل شيء مضروب فى نفسه من الواحد وما فوقه من الأعداد وما دونه من الكسور ويرمز له بالحرف مثلـا . وقد تبين أن العرب عرفوا لحل المعادلات الجبرية من الدرجة الثانية ذات المجهولين كما حلوا معادلات من قوى أعلى وابتكرروا طرقة هندسية كل بعض معادلات الدرجة الثانية وقد وضع الخوارزمى مختصرًا لكتاب الجبر والم مقابلة يقول عنه: «إننى أفت من كتاب الجبر والم مقابلة كتاباً مختصراً، حاضراً للطيف الحساب وجليه ، لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى موارثيهم، ووصاياتهم، وفي مقاستهم ، وأحكامهم ، وتجارتهم . وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من حساب الأرضين وذكر الانهار والهندرسة وغير ذلك من جوهره وفنونه». . وبعد الخوارزمى أول من وضع كتاباً فى الحساب وكان مصدرأ استقى منه الأوربيون ، بحيث يمكن التأكيد بأن الخوارزمى وضع علمي الحساب والجبر وقد ظل الكتاب عدة قرون مرجعاً للعلماء ومعروضاً باسم الغوريشى كما يسمونه فى الغرب ونشر الكتاب بالعربية لأول مرة سنة ١٨٣١ وطبع بلندن ونشر معه تعليق بالإنجليزية.

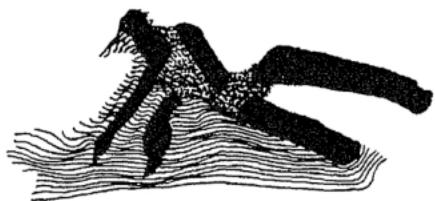
وكانت الكتاب الجبر والم مقابلة أثر كبير فى الرياضيات الأوربية وبفضل دخل اسم الخوارزمى فى معظم معاجم لغات العالم.. والمعروف لدى جميع المؤرخين أن الخوارزمى هو أول من كتب فى الجبر، ويقول عنه ابن خلدون: إن الخوارزمى هو أول من كتب فى هذا الفن : وقد جاء فى معجم موسكو الفلسفى فى تعريف الخوارزمى : وتعنى **Alguarism** وهي الكتابة اللاتинية لاسم العالم الرياضى العربى الخوارزمى محمد بن موسى واحداً من أهم مفاهيم الرياضيات والمنطق الرياضى وهو يعني جملة من العمليات الدقيقة المرتبة وفقاً لسلسل معين . والتى يزدلى تطبيقها

إلى حل تلك المسائل وأبسط الأمثلة على الخوارزمي تأتي قواعد الجمع والطرح والضرب في الحساب وفي الرياضيات المعاصرة ثمة ميدان خاص وهو نظرية الخوارزميات، والتي تعنى بتفقيق مفهوم «الخوارزمية» وتصنيف أنماطه ويرصد الترابط بينها ويستخدم هذا المفهوم على نطاق واسع في دراسة الكثير من المشكلات: فنحن نتحدث عن خوارزمية الترجمة من لغة إلى أخرى، وخوارزمية نشاط الإنسان إلخ. أما تزايد الاهتمام بوضع نظرية الخوارزميات فيعود إلى تطور السيرناتطياً ويرتبط بقضايا مودلة تفكير الإنسان.

يعتبر محمد بن موسى الخوارزمي من أعظم علماء الرياضيات في مضمون علم الجبر، فقد قدم في حساب التكامل والتفاضل حلولاً تطبيقية وهندسية لمعادلات الدرجة الثانية. وقد وصف (سارتون) العصر الذي عاش فيه بأنه عصر الخوارزمي. وفي علم الجبر توصل الخوارزمي من جديد إلى طريقة لحل معادلات الدرجة الثانية التي عرفها الإغريق من قبل .. كذلك توصل إلى حلول هندسية وتحليلية لمعادلات من الدرجة الثانية وهي أقصر ما وصل إليه الإغريق وقد ترجم عمله هذا جيرار الكريميوني في القرن الثاني عشر واستخدمته الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر كمراجع أساسي، كما توصل الخوارزمي إلى إعادة وضع المنهج الذي كان يعرفه الأغريق لحل المعادلات ذات المجهولين وكذلك اكتشاف حلول مبتكرة في حساب المثلثات. وحين ترجم الخوارزمي مؤلفات بطليموس سنة ١٤٤م خلق مفهوماً متسقاً بخطوط الطول والعرض في الجغرافيا الفلكية .. كذلك وضع الخوارزمي زيجا سماه (السد هند الصغير) جمع فيه مذاهب الهند والقرن ومذهب بطليموس واعتمد العلماء العرب من بعده على زيجه والاستفادة به في وضع آزياجهم. وقد توفي الخوارزمي في سنة ٨٥٠م.

المصادر

- ١) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، أشرف مركز تبادل القيمة الثقافية واليونسكو.
- ٢) أثر المدينة الإسلامية في الحضارة الأوروبية. د. مختار القاضي.
- ٣) الثقافة الوطنية اللبنانية، أيلول ١٩٦٣. الجبر عند العرب: أحمد مروة.
- ٤) الثقافة الوطنية اللبنانية لـ. الثاني الجبرفي تراثنا العلمي !أحمد مروة.
- ٥) العربي . الكويتية لـ. أول ١٩٨٧ : الأرقام العربية : د. عبد اللطيف كانوا.
- ٦) فجر البقعة القومية ! محمد عمارة.
- ٧) المعجم الفلسفى المختصر : موسكو.



ثلاث قصص قصيرة

حسن مشالى

حرب دم

يوم موته موته وتحاول قتلي .. بين نادي الزراعين والمكتب ينفذ قاموس الألقاب القبيحة التي ترى أنها تناسبني .. والبنت لاتملك سوى سمعاك .. أثناء خطوط السير التي تحددها إيمصالات التحصيل تداهمك الرغبة في نكباتي فتفتح قاموسك من جديد .. وعندما يفيض الكأس تقول لك إنه "حسن". أشعر بانغرس شوكة الطعام في جسدي وأنت تتطاول أمامها أذك تجيد استعمال الشوكة والسكين في مطعم نادي الزراعين .. تتبهك بأن تمسك الشوكة بيديك اليسرى والسكين باليمنى .. كانى أراك الآن والسكن تسقط من يدك بين قدميك بجوار قلبك الأصفر ووجهك مبلل بالعرق رغم أن فتحة التهوية في مواجهتك تماما.

هذا هو الفرق بيننا .. فعندما يسقط قلبي على الأرض لاينز دما ولابيلنى العرق رغم أن فتحة التهوية تكون دائما مغلقة تماما حتى الأزرار العلوية .
أكاد أجزم أنها أخبرتك باني علمتها استعمال الشوكة والسكن ، وإن لم تكن أخبرتك فيها قد أخبرتك أنا .. ولكن تشنط غيطا .. اليوم قبلتها في خدتها الأيسر .. أعلم أن هذه لطعة على خدك الأيمن .. عندما تفique منها وتعود برأسك للخلف التي ملت بها للخلف ، وتضطر لإشعال آخر سيجارة "مارليبو" من التي تشعلها في حضرة البنت فقط سيزداد توترك .. لماذا خدتها الأيسر بالذات ؟
أنا أيضا أشعر بأننى لن أفلح في إخمام رغبة البحر لك .. لماذا خدتها الأيسر ؟
ـ سأخبرك لماذا .

لا .. أنت لا تستحق .. ومن حقى أن أجعل ذلك سرا كالذى ستقوله لي عندما يرين التليفون الساعة العاشرة وثلاث دقائق مساء ثالث رئات .. وأنا خارج من الحمام .. لك أن تفك فى سبب خروجي من

الحمام لحظتها ..

الآن .. تراودنى رغبة حقيقة فى البوح لك .
إن البنت لاتحبنى .. لاتفرح .. فما قصدت من ذلك غير حرق دمك .. فهى تحب آخر لا يجيد استعمال
الشوكه والسكنين .. لأنه لاينهض معها إلى نادى الزراعيين .. ولا يحاول قتلى .

*** صافينا ز

إلى "البهاء حسين" ..

فرحت وقللت لأنها : "البهاء" ثرثني في أرض قصانده عشيا . قالت أنها : "البهاء" بحر مارق .
كل الأنهر تجري إلى البحر ، والبحر لا يجرى إليها "فكيف ينضب البحر" حين يرشه مطر الأربعاء
بالمحبة "والجنة" ! لم تخبر أنها أن البحر حاول رشف كافور نديها فقالت له : لا تجرب مد يديك ، فنانا
كمهرباء ..

لكنها أخبرته بما قالت أنها عنه "يداه فاضيتان" .

كانت تسقط نظارته الكبيرة حين انتقض واقفا ، فأعاد تثبيتها وهو يتمتم : الشك .. المطلق .. اليقين ..
ماعادت هامشيا ولا عادت المدن الهاشمية تراونى .. وما عادت تالقني أضرة العارفين بالله ولا كثائس
سوهاج .. التقليديون .. آخر فرمان .. آخر امرأة ضاجعها جن السلطان .. والذى جاء ينجيك من دمى ..
حان وقت التمرد .. قالها ومضى .

مضى وقت طويول وصافينا ز لاتذهب إلى البحر ، والبحر لا يدخل شارع المطار .. تاكد البحر أن
لا جمع له .. لا اثنين .. لا واحد "فدخل شارع المطار .. رمى عينيه .. سقطتا في قلب صافينا ز .. ابتسست
ابتسمت .. نادى : هي على الرصيف ..

ذراع طوبيلة .. ويد خاوية

البنت التي تداعب البحر تتضرر هذه الموج لتسحب إلى غرفتها .. حين انظر إليها تلامس برج يغفل
بأطراف أصابعها ، وتتركتى لتجلس مع ذلك العجوز في كازينو قصر النيل .. أنزع المسافة بين أوبريج
مطلوب وكازينو النيل فتحتشير ذراعى بينهما .. تمرق من أمامى تشق سحب الضباب وبخان الشيش ..
يغازلها النادل ويسرع ليبقى إلى بيوت الخبرة ولجان ملكات الجمال العالمية .. يأتيه الرد بـ "الفاكس":
النظريات كلثيرة ولكن فناتك لاتخضع لأى منها احدرها ولا تخترق فتحترق ، بالقرب منى في الأوليج جلس
النادل يزدرد حسرته .. ويخصى مايدخل جىپ ماسح الأحذية مرددا بصوت جريح : "أنت مایبنك وبين
الحب دنيا" ، أطاح بعناته صوت باعث الصحف .. غالى الخجل وناداه .. آخر له الصحيفة .. وكأنه
يسحبها من تحت جده ، ووقف ينتظر الشن إعادتها إليه ثانية ولم يبال بلعناته وسبابه المستمر فقد قطع
إعلانًا عن وظيفة خالية بعد أن غافله ككل يوم ..

تركت النادل بين يدي النادل يستنشف بمزاملته قبل أن يفقد جنبهاته وأشياء أخرى في اقتداء أثر
البنت .. دخلت على أمى أحمل أشياء كثيرة في السلة المسماة رأسى - كثيرون يقولون البنت ولست
وحده ، البنت ، وكازينو النيل ، والأوبريج ليس يامكانك الاقتراب منهم .. قلت ذلك لنفسي وأمى تدور حولى
بالبخور ، وتدعوا لي بالشفاء ، وترتدى تعاوين الحسد .. خرجت متندفعا وخلف رائحة البخور ، وذكريات
قديمة عن بنت كانت تعشق موسيقى الجاز ، والجلوس بالقرب من نجيب محفوظ ..
عدت لأنزع المسافة من جديد ، فانحشرت ذراعى بين برج يغفل وزحام أثى غامضة الملامح كفتاة

*** حاشية الظل

قرار إذلال خيري العبد ، مبيت منذ ليلة البارحة .. بعدما انتهى فرح صفية وحمدان ، أتجه سعيد الفولي وحسين الجعفرى وعسران وخيس ، لإتمام السهرة فى دكان سيد قرقار حيث نور الكلوب والراديو والجذرة النحاس ولب عباد الشمس ومعرفة مافاتها من الأخبار ، التى يجعلها سيد قرقار وهو يقف خلف البنك فهو داهية حول الأمر من مجرد هواية إلى نشاط ساعى على ازهار تجارتة .. له أساليب فى التقاط المكابيات من ألسنة الرجال والأطفال والنساء .. يقايضهم خبرا بخبر أو سرا خطيرا بقطعة حلوى أو سيجارة لف وأحيانا لايكفه الأمر سوى الإنصات لثرثرة النساء .

افتتحوا السهرة بالحديث عن جمال صفية وعدوا مفاتحتها وكاتهم يرونها لأول مرة ، وتساطلوا عن حالها كيف سيكون مع ذلك (الدهول) الذى تزوجته ، وهو لا يعرف من الدنيا غير البهائم والنزع والنوم بعد العشاء .

ثم انتقلوا للحديث باشتئاء من الجميلات من النساء والبنات الواقعات خلف النوافذ وعند الأعتاب وفوق الأسطح يشاهدن الفرح وانتقلوا طعام الفرح وأشادوا بيور العبد وونائمه فى تحمل أعباء خدمة الأفراح هم وزوجاتهم وبنيتهم وأولادهم ويرضيهم فى نهاية الفرح القليل من المال والطعام وهذا لايساوي الفخر والزهو اللذين يشعر بهما صاحب الفرح وعائلته لأنهم ليسوا كالعائلات (العره) التى ليس لديها عبيد ولا يتوقف حديثهم إلا عند دخول مشترى بين الحين والحين فتشيع جوا من الترقب والتשוק للتتابعة الحديث فيتمكن سيد قرقار من المتابعة بعد ما ينتهي من البيع ويعود ليambil نحوهم وهو خلف البنك إلى أن بلغوا حديثهم عن العبد لحظتها فقد تدخل لينبههم .. فمنهم من يذكر عبوديته ولايخدم فى البيوت ولايظهر فى الأفراح .. حتى الماتم لايدور فيها باكواب المياه على المعزين .

قال حسين الجعفرى : عبيد الجعافرة لايتذوقون عن خدمة أي من بيوت العائلة فى أي مناسبة وأردف خيس .. منذ هرب عبيد الخاميسة إلى القاهرة . وفشلنا فى استعادتهم ونحن نعتمد على عبيد العائلات الأخرى .

وقال عسران : نحن ليس لدينا عبيد .. مدعينا أن جده الكبير قايض على عبیده بجمل وخرف ضئى به فى العام التالى لعودته من الحج وهو نفس العام الذى حرمت فيه تجارة العبد .

قصوبيت ثمانى عيون نحو سعيد القولي .. فاجفل وبعد برهة قال غدا أجازى ذلك الزنجى اللعين واعيده للخدمة مع أهله وأردمعه عن حصد (الطفا) من على أجنباب المصارف وبيعها لصناعة الحصر فى المدينة وأجبه على مخاطبته أى فولى يلقي سيدى بعد ما شحذوا همته عرضوا عليه تطوعهم لتأسيس المارق .. ساد مجلسهم الفتور وغابت عنه المكابيات حتى أنهم لم يطلعوا على الأعييرة والزغاريد التي أطلقت لتعلن عن رحلة حمدان وشرف صفية فانصرفوا وبدأ سيد قرقار يستعد لإغلاق الدكان بعدما أطفأ الكلوب .

تختلف الروايات حول كيفية دخول أولئك الزنوج إلى قريتنا .. من الذى جلبهم ؟ فلم يكن فى القرية ميسورون لدرجة شراء العبد !! هل جاؤا وحدهم ؟ هناك من يقول أن رجال من القرية قديما تطلع للتراث فانضم إلى حملة تجار العبد المتوجه إلى وسط أفريقيا لاصطياد الزنوج وأصاباته الحمى هناك هو ويعوض زملائه وعندما عاد كان نصبيه من الرحلة خمسة صبيان وأربع فتيات وما اشتدت عليه الحمى اعتقاد أنها لعنة نزلت عليه بسبب فعلته فثاروا أن يتخلص منها - اللعنة - فوزعها على القرية .

رواية ثانية "شك في صحتها" تخبر أن الأجداد أثناء عودتهم من "دراو" بعد شراء الجمال وجدوا في الصحراء مجموعة من الزنوج تأميناً بعدهما هربوا من التجار فأتوا بهم إلى قريتنا لاستخدامهم في العمل على الجمال التي تحمل بلايلص العسل من عصارات القصب إلى السفن الراسية عند شط النيل .. وأعمال أخرى أسننت إليهم . أما الرواية الثالثة والتي تلقى قبولاً لدى الكثيرين فتقول أن أحد أمراء المالك في الصعيد قبل فراره من بطش الوالي اعتق الرقاب التي منه لكي لا تكون بيها عليه أثناء فراره لينجو برقبه قساحوا في البلاد ولم يستطيعوا تبيير أمورهم وضاقوا بالحرارة ولجا بعضهم إلى قريتنا التي ضربت عليهم القرعة لتحصل كل عائلة على نصيبها .. من وقتها يعيشون في كف سادة أسنناوا اليهم أعمال الحق وتتنظيف أماكن البهائم وإطعامها إلى آخر الأعمال التي يقوم بها العبيد عادة.. أما نساء العبيد فيشاركن السيدات خدمة البيوت وتربية الأطفال وتقل الرسائل وحضور مقابلات العشاء والمستر على أمور خطيرة.

المهم العلاقة بين العبيد والساسة على نفس الحال منذ عقود بعيدة .. لكن هذه المرة الأولى التي يتصادم فيها عبد وسيد.

خفق إمام الجامع الغربي لينهي صلاة العصر .. أطلت رؤوس النساء والصبايا من التواذن وفوق الأسطح.

ولفظت الدور مابها من رجال وأطفال .. امتلأت الشوارع بالسيقان المهرولة والأيدي تمسك بأطراف الجالبيب والفتوص والعصبي والمناجل وأيدي الشواويف وجراحات العيش .. ترك الأطفال لعب الكرة واندفعوا إلى حقل القصب ليتسلحوا بعيadan القصب .. الكل يجري إلى وسط القرية حيث سمعوا من يصيح بأن هناك معركة.

اختلطت المجموع .. راحت العيون تتبع المشهد في دهشة .. أخفقت الأسلحة المشروعة .. خبرى العبد موثيق اليدين يستقبل ضربيات سعيد الفولي في هلابة وعناد .. كلما تجمع الناس زاد حماس سعيد .. البعض تدخل ليبعدهوا وأخنعوا منه العصبي فتخلص منهم وراح يضرره بالحذا .. هنا اقترب الجميع بأن خبرى خطىء ولابد أن فعلته شناعة قد تنتهي باراقة دمه ولن تكون له دية ولا ثأر لكن .. ماذا فعل ؟

سؤال ظل يتناقله المتكلمون على أسلحتهم .. يتقاذف بين التواذن .. على الأسطح المتلاصقة والمقابلة .. دون إجابة إلى أن تدخل بعض الفصحاء وخطيب الجامع الغربي ورجل من الفولية واخر من العجاferة وتمكنوا من تخلص خبرى وتطوع أحد أصدقائه سعيد بشرح الموقف .. حينئذ بدأت الأيدي تتسلل مصاحبة للتمتمة لتلوك مؤخرات الرؤوس أو تعيد تثبيت العمادات أو تمسح الشوارب .. ونصف واحد رفض الفولية مسامحته الموقف بالظلم وسعيد (بالهيافة) .. قال آخر هذا افتداء .. قال ثالث .. وقال رابع .. لكن أحدا لم يعلن قوله فمن الحكمة لا ينصروا عليه عبدا.

بينما هم غارقون في حكمتهم .. امسك خبرى منجله وشق طريقه بينهم وراحت العيون تراقبه وهو يتجه نحو مصرف تكثر على جانبيه الجلفا.



رداً على إبراهيم العشري

الجهو بالسوء في الزعن المعياري أشد فتكاً

د. محمد الجبشي

التحرر من أسر الأيديولوجيا وإطلاق العقل النقدي الحر ونبذ التفكير الإيمانى الضيق والتسلل بهرطقة تعتمد العلم والتجربة أداة معيارية وحيدة لقياس الحقيقة النسبية . وأيضاً وفي نطاق هذا القبول بمعيار التكذيب لكافة النتائج التي يسفر عنها هذا المنطق الحر مهما كانت حميمة وبهرة، بمعنى الاستدارة لما يعرف بإمتلاك الحقيقة المطلقة.

هذه الرؤية للأسف الشديد شبه غائبة لدى قطاع عريض من المفكرين المصريين، عندما يتناولون تاريخ بلادهم مما يثير شكوكاً كثيرة حول مصداقية بعض الكتابات المميزة والتي تقترب من رصد الواقع المصري الحافل بالجزئيات شديدة التفاصيل والثراء وتکاد أناملها تمس القاع العميق العامر بالأسرار العظيمة والذي تستقر لديه خفايا السطح الملتبس والحاشد بالتفاصيل الزائفة.

فعند النقطان الفاصلان تستسلم تلك الكتابات لخدر الغواية الأيديولوجى وتبتلى بالهوى بدلاً من التخلص بالصرامة المنطقية حتى النهايات المنطقية والتي تقضى بالضرورة إلى مذهبية جامدة وعقيمة تحتل مركز الصدارة على حساب الحيوية المتدفقة للتفكير الحر المبدع.

وهذا ما حدث أو تخيل أنه حدث للكاتب المتميز إبراهيم العشري في العدد ٢١٤ يونيو ٢٠٠٣

من «أدب ونقد» عندما تعمق في رصد ما أسماه بظاهرة الجهر بالسوء . وهو يقصد مجموع القيم السلبية والفاشية البديلة التي أصبح المجتمع والدولة يجهزان بها على أنها التجلي الشفافي الفوقي للواقع المادي الذي يعكس في حالتنا اقتصاديات السوق على حد تعبير الكاتب.

وهو لا يحدد زماناً قاطعاً لبدايات تلك الظاهرة ويعتبر أنها تحدث نتاج تراكمات طويلة الأجل ولكنها وجدت تجلياتها حين رافقت سياساً تاريخياً محدداً وهو السبعينيات حتى يومنا هذا.

ولقد رصد الكاتب حوالي خمسة عشر من تلك التجليات منها بعض العناوين مثل(الجهر بالزنا-الجهر بالصمت- والجهر بتسليع الجسد والنسل والنسل المضاد . وبعثية القانون .. إلخ) ولقد أفضى الكاتب في شرح تلك التجليات عبر حوار ثالث في واقعنا اليومي وتبرر تلك المفاسد بل تقتنها في كثير من الأحيان وهو يرى- بعباراته - (أو الأمر أكبر من مجرد كونه حرية فردية شاذة حيث تبدو ظاهرة الجهر بالسوء في سياق أكبر من ذلك يتجلّى في كونه تعبيراً عن تحطيم مؤسسي مدروس والغرض منه إشعاعه الاستكبار العام وتوثيق الحكم من خلال انقلاب قيمي حيث يبدو الفرد في التحليل الأخير معنوياً عن أي وسائل اجتماعية تربطه بالآخرين لأن الاستكبار العام يحقق هدف التوثيق) وعند هذا الحد نتفق معه حول الأطر العامة التي يطرحها بل حتى في كثير من التفاصيل البديعة التي تعبّر عن خيال فني جميل . ونفترق عندما يتخلّى عن صرامته وقوته منطقه وشجاعته . لصالح انحياز مذهبى جهري به ولم يراغ في إعلانه . عندما شطر التاريخ المصري المعاصر الواحد إلى شطرين . أحدهما أفضى في شرح مثالبه وأطلق عليه المجتمع اللامعياري وهي الفترة التي سبقت حرب أكتوبر مباشرة أو أعقبت وفاة الرئيس عبد الناصر وحتى الآن.

أما الفترة الأخرى محل الخلاف ندعه يتحدث فيها بنفسه معبراً عن هذا الخلل المنهجي الذي لم يفلت منه كثير من كتابنا (الذى حدث هو أن مصر عرفت في عهدها الثوري الخمسينيات والستينيات مجموعة من المعايير الحاكمة والتي تحدد توجهات المجتمع والفرد من قبيل (الاتحاد-والنظام- والعمل- والمسوالية)-الالتزام- -الطهارة- -الانتاج- -الحرك الاجتماعي القائم على التحضر العلمي والعمل الجاد- التراحم- التكافل- -البعد الاجتماعي في عملية التنمية. العمل حق وواجب وحياة وشرف- إدانة المال الخاص والمستغل- تكافل الفرص- العدل الاجتماعي). ويستدرك: وكلها معايير ايجابية تصب في مجتمع نهضة مصرية شاملة تم تطبيقها بحرب ٦٧ ثم الغياب المفاجئ لعبد الناصر.

وتنهشك ازدواجية المعايير والتوزع الأخلاقي والغزل المكشوف عند تقدير ظاهرة تاريخية واحدة ونباح عن الخلل الذي يجعل كتاباً بهذا المستوى يتخلّى بمعرض إرادته عن المصارمة التي

رصد بها مرحلة متقدمة من تلك الظاهرة شديدة التعقيد والتتواء . ولن تحصل على إجابة شافية سوى لدى تلك الأمراض المزمنة التي تفتت بعقل المثقف وتدفعه للتنازل عن الحاجة والمنطق والعقل عندما يصطدم التحليل بانحيازاته المسبقة أو بموقفه المذهبى أو بعطفته السلفية .

من الذى قال إن المعايير الحاكمة التى تحدد توجهات النظام والمجتمع والفرد فى سلطة يوليوس كانت تعبرها صافيا عن معاناتها المباشرة ولم تكن جهرا بالسوء أشد خطرا من الجهر الحالى . ونتائجها كانت كارثة تحت أي معيار يختاره الأستاذ إبراهيم العشري .

ترسانة من القيم اللامع Mayer داخل النظم المعايير ولكن هذه المرة لا تدور حول الجنس والشذوذ وانهيار الأخلاق (التي تفرق الأستاذ العشري وغيابها شكلا يصيّب بالغبطة) بل تتصل بقضايا مصيرية كبرى تدور حول الحريات والوحدة والاشتراكية والزعيم المخلص . والعدو الذى يسهل ابتلاعه حيا . وتحالف قوى الشعب العاملة . وتنويب الفوارق بين الطبقات .. إلخ . وللأسف كانت تلك القيم جهرا صريحا ومكشوفا بالكتب . فتحالف قوى الشعب العاملة . هو التعبير البديل للاستبداد والديكتاتورية . وسيطرة حكم الفرد - ومصادره الحريات - ونفي الآخر وإشاعة الخوف والرعب وتكريس الرأى الواحد والاتجاه الواحد والزعيم الواحد .

أما الاشتراكية المزعومة فهى تعبير فظ ومضلل عن رأسمالية الدولة البيروقراطية بكل ما يرتبط بها من استغلال العمل المأجور ونهب لفائض القيمة . وإعمار السجون والمنافي بتجسد وأرواح الاشتراكيين وغيرهم من عقول مصر الواحدة .

أما الزعيم المخلص فهو القبضة الحديدية لاستبداد الفرد وإنفراده بالحكم . والعدو الهش الذى سبق هضمته فى خطابات الزعيم . هو المحتل والمعتدى الغاشم الذى أطاح بقوتنا العسكرية فى طرفة عين وحصدآلاف الشهداء بالجانب وما زال يعرى فى الأرض العربية والفلسطينية وخطف أرواح شجعان الأرض المحملة بالجميلة . فى ظل صمت خانق هو تعبير نموذجي عن تلك النكبة . كيف يمكن غض البصر عن ذلك الجهر بالسوء . والذى منحنا بامتياز هزيمة كبيرى نكراء مازلنا ندفع ثمنها باهظا حتى الان . كيف يمكن بخفة شطر التاريخ إلى نصفين أحدهما نظيف وعادل والآخر كاذب وسارق وانحلالى وساقط إلى آخر قائمة الأستاذ العشري . كيف يمكن من أجل عاطفة رومانتيكية عن الزمن الجميل أن نسقط تلك الكوارث بل بالعكس نبررها وتسعى لغفرانها .

من قال إن إنجازات (إن صح هذا التعبير) نظام يوليو يمكن أن تنسيينا مصائبها هل يمكن أن نستبشر خيرا من منهج يعمل الهزيمة والسقوط المروع ويريد الاستبداد . وإذا كان نعالج تاريخنا بهذا القصور الفادح فكيف ستتعرف على تاريخ غيرنا من الشعوب



وكيف سنفهم مثلا سقوط الاتحاد السوفياتي . وهل يمكن تبرير السقوط والانهيار المفاجئ بل النهوض العارض المزعوم . عندما يتعلق الأمر بکوارث بهذا الحجم . وإذا كان لنھوض هذا البريق فلماذا كان السقوط ،إن سيادة هذا المنهج في عالمنا العربي . يبرر وجود أنصار للرئيس العراقي المستبد القاتل صدام حسين حتى تاریخه وبعد هزيمته المدوية . كما أنه يبرر تلك المصيحة الهیستيرية للجماهير العراقية باللطم على الصدور والخدود وإحياء لذكرى الحسين . وتفيا قاطعا للأخر وإعادة إنتاج الاستبداد والانفراد بالحكم .

ألا نرى الطاغية صدام حسين صحيحا معافى يتجلو داخل هذه الحشود التي لا تنادي بالديمقراطية بل تدعوا لعبادة السلف وإقصاء المخالفين .

إذا أردت أن تكون حكما عادلا وعقلانيا ومنطقيا وأمينا فعابر التاريخ بمعيار واحد . وتخلى عن ميلك الأيديولوجي مهما كانت المغريات . وابنذ سلفيتك الفاجعة . ولا تخضع لابتزاز المالك وقاوم عبادة الفرد وانتصر للحقيقة مهما كانت مره . وارفع راية الديمقراطية عالية خفاقة ولا تسأوم حولها وارفض المحننات والتعرجات التي تبرر الانقضاض عليها . واحذر من الذين يقولون لك (خصوم المرحلة لا يحصى لهم فحائز من النقد) .

فلن نحاكم الحاضر الذي يجهز بالسوء دون أن نفهم الماضي الذي سبق له الجهر بالسوء إلى حد النكبة .



بوشت وجاليلو في زمن الطاعون

جورجس شكرى

* فى فبراير من عام ١٩٣٣ وبعد حريق البرلمان الألمانى هرب برتواد برشت من بلاده متوجهًا إلى الدنمارك بعد أن استولى النازيون على السلطة، وهناك أُنجز ثلاثة مسرحيات من أهم ما كتب وهم «الألم شجاعة، الإنسان الطيب، حياة جاليلو جاليلى». والأخيرة هي موضوع هذه السطور حيث استعان برشت في منفاه بمساعدي العالم النزى الدانماركى كى يتعرف من خلالهم على أسرار علوم الطبيعة والميكانيكا وخاصة نظام كوبيرنيكوس إذ درس الكثير في هذا المجال كى يسجل ويناقش سيرة هذا العالم الجليل الذى غيرت نظريته عن دوران الأرض حول الشمس العالم، وأثار إنكاره لنظرية هذه أمم محكمة التفتیش جدلاً كبيراً، يعد أن سلم أمام رجال الدين بأن الأرض مركز الكون وبالسؤال الذى كان يدور في ذهنى ويلح علىَّ كثيراً، ولماذا فعل هذا العالم العظيم هذا وتراجع عن أفكاره، هل كان يشم رائحة شواء لحم وهو يحترق أماممحاكم التفتیش، فقرر أن ينجو من هذه النهاية أم ماذا؟ فهل كانت المسرحية بمثابة اعتذار لهذا العالم الذى قلب الأوضاع الفلكية رأساً على عقب وفاجأ رجال الدين والبسطاء من الفلاحين والعمال وكل طبقات الشعب بأن هذه الأرض ما هي إلا قطعة حجرية تسبح في الفضاء.

ليكتب برشت حياة جاليليو طارحاً العديد من التساؤلات من خلال منحى أيدلوجي ومسرحي في أن واحد معاقباً محاكم التفتيش وظلام العصور الوسطى طارقاً شخصية جاليليو وعصره وذلك من خلال وضع برشت الأحداث في سياقها التاريخي بين الإنسان والعالم.

قام برشت جاليليو في أول تفاصيل حياته الإنسانية في إطار اللحظة التاريخية التي عاشها ، فجاء أستاذ الرياضيات في جامعة بازو يعمل على نظرية كوبيرنيكوس لنظام العالم في ظروف قاسية يعيش فيها فقيرة وربما لا يجد قوت يومه بالإضافة إلى أنه كان يعمل في سرية تامة خوفاً من رجال الكنيسة ومحاكم التفتيش ليثبت أن الأرض ليست مركزاً للكون آنذاك ضارياً عرض الحائط بآراء الكنيسة ، ومن خلال منظار متواضع للإمكانات اشتراه أحد تلاميذه من أسواق هولندا ، أعاد جاليليو تصنيعه وأدخل عليه بعض التعديلات ، ومن خلاله نجح في رؤية الأفلاك في محاولة لإثبات نظرية كوبيرنيكوس ، رأت المشكلة كانت تكمن في الأدلة والبراهين على دوران الأرض حول الشمس لرجال الكنيسة وبعد عناء شديد جاء يوم 15 يناير عام 1610 ليكون يوماً فارقاً وعظيماً في حياة الإنسانية ، حين نظر جاليليو في مظماره ، ومن خلال رصده لحركة الكواكب أثبت صحة نظرية كوبيرنيكوس ، فأهتزت عرش الكنيسة ، ورغم اعتراف بيتر كلافيوس كبير علماء الفلك في الفاتيكان عام 1616 بصحة النظرية حيث أصبح جاليليو في ذروة مجده ، لم توافق الكنيسة على هذا واقتيد جاليليو إلى محكمة التفتيش بعد أن تم إرهابه بمشاهدة أدوات التعذيب ، لينكر ثمرة جهود العظيم أمام رجال الكنيسة ويعيش حياة قاسية تحت رقابة مشددة، ولكنه يضع نظريته هذه في كتاب بعنوان المحاورات ويتم تهريبه عن طريق تلميذه المخلص «أندريا» إلى العالم. فهل جاء هذا النص المسرحي بمثابة اعتذار لجاليليو دون شك جاء اعتذاراً وتكريماً لهذا العالم العظيم ، إذ وضع برشت شخصية جاليليو تحت المجهر وغاص في أعماقها ليقدم رجلاً عظيماً قوياً وضعيفاً ، متمرداً وصبوراً ، ذكياً وماكراً ، واستطاع في النهاية رغم إنكاره لنظرية أمام محاكم التفتيش ، أن ينجو بنفسه وأبيحاته وكان بعيد النظر ، ضعف بصره في أيامه الأخيرة ولكن بصيرته كانت المعين له .

ومند عامين قدم المخرج المسرحي الشاب طارق النوري هذه المسرحية على مسرح الهناجر والآن تمرد مرة أخرى تحت نفس العنوان الذي اختاره المخرج من قبل وهو «زمن الطاعون» ، والعنوان ذو دلالة قوية لظلم العصور الوسطى بدون شك يستحق العرض أن يعاد مرة أخرى بل ومرات كثا يستحق المخرج التحية والاحتفاء به نظراً لجهده الذي بذله في العرض ، ولأنه أيضاً يمتلك وعيًا كبيراً باللحظة التاريخية الآتية ، إذ قدم من خلالها قراءة متميزة لنص برشت ، ففي زمن الطاعون يجد المشاهد نفسه أمام فضاء مسرحي استغل فيه المخرج عمق خشبة مسرح الهناجر ليتقدم منظراً مسرحياً يتميز بالقسوة ، فال موضوع يتعلق بمعركة بين الأرض والكواكب

أخرى ، فكان هذا الفضاء مع قطعتين من الديكور فقط هما الأساس ومن خلالهما يتشكل المشهد البصري وعوالم العصور الوسطى واستعراض المخرج عن الجودة التي وضعها برشت في إطار نمذج المسرح الملحمي لهذا النص بوسائل أخرى حديثة مثل المشاهد السينمائية والشرائط الضوئية لكسر وحدة تماسك النص الدرامي ، والنبي يتناسب والكتابة الملحمية التي وضعها برشت، إذ جاءت كعنابر وضيقية وتعبيرية مهمة لتجهيز الجمهور ، بالإضافة إلى اللوحات الراقصة التي تخللت العرض وهي جاءت لتعبر عن خيالات جاليليو وأحلامه وربما كانت هي الأمل في زمن الطاعون ، وجاءت لوحات حاملة متعددة وأحياناً قاسية في صورة رجل مذعور يجوب أنحاء المسرح.

ووضع المخرج العرض في صورة مشاهد متقطعة للحدث الذي يتشكل عبر زمن طويل جسد خلالها مشاهد العرض والأحداث بصورة تعكس العنوان الذي اختاره المخرج «زمن الطاعون» وضمّن المشهد البصري بشكل يوحى بالتناقض بين عالمين يمثلان جوهر العرض وهما السخرية من رجال الكنيسة في العصور الوسطى الذين أطاحوا بكل العلوم وسبل التقدم، وبين العلم ورجاله بل واعتمد المخرج في أحياناً كثيرة أسلوب المنتاج المتوازي في عرض المشاهد التي تدل على التناقض.

وصور رجال الدين في العصور الوسطى من خلال أداء تهمكى ساخر اقترب من الفارسون وهو يليق بهم طبقاً لرؤية المؤلف والمخرج وأفعالهم أيضاً.

أما الأداء التمثيلي فيستحق التحية خاصة الفنان الجميل د. سامي عبد الحليم في دور جاليليو الذي صوره بصورة رائعة كما تخيله برشت ، ذكرياً ماهراً ، عظيمًا ماكراً ، قوياً ضعيفاً ، ثائراً متواضعاً دون تكلف .. بل وتحمل عبء العرض طيلة الوقت ليجسد جاليليو كما تخيله برشت في كل مراحله وأزماته بالإضافة إلى مجموعة من الشباب «محمد عبد العظيم - جمال إبراهيم - فريد القراشى - سامح فكري».

وأخيراً قال أحد تلاميذ جاليليو عن مأساة إنكار أستاذة لنظريته: «تعيس هو البلد الذي ليس فيه أبطال» وحولتها برشت في النص المسرحي على لسان جاليليو وهو يخوض رأسه أمام جلاديه ليتكتس وجه العالم وهو يقول: «تعيس هو البلد الذي في حاجة إلى أبطال» وبالفعل هي كارثة أن تصيب الإنسانية دائماً في حاجة إلى دماء وشهداء .. وربما كان برشت كان يحلم في هذا النص بيوم تتقى في البشرية بلا ضحايا .. ولكن ماذا لو عاش برشت حتى الآن أظنه كان سينسى هذا الحلم تماماً.



سهر لن ينتهي أبداً

محمد رجاء

عندما يهرب الإنسان داخل دائرة محكمة الإغلاق ، ويكون عاجزاً عن تحديد منفذ للهرب منها ، يصبح لديه خيارات: -إما أن يرضي بكونه سجينًا بداخلاها ، وأن يتقبل مفرداتها كما هي ، وإما أن يتمايل بشتى الطرق لخلق أسلوب جديد للحياة حتى يتكيف داخل محطيتها ، ولكن في كلتا الحالتين داخل هذه الدائرة حائر في تحديد أبعادها ، عاجز عن الفكاك منها ، هذا هو ما يشير إليه فيلم «سهر الليالي» الذي يحمل بين ثنياه المعنى المناقض لما هو ظاهر على مستوى التقلي المباشر.

لا أريد في هذا الحيز الضيق التركيز على سرد الأحداث -حيث إن الفيلم مليء بالعديد من الأحداث والواقف المركبة- بل أريد الوصول إلى رؤية عامة لهذه الأحداث التي تدور باختصار- حول مشاكل أربعة من الأزواج حدثى الارتباط ، في مساحة زمنية هي ثلاثة ليال ، حيث يتم التعرف على مشكلة كل فرد على حدة في الليلة الأولى ، في حين تتم المواجهة بين كل زوج ، وتنتهي جميعها بقرار الابتعاد للتمهل في التفكير ، وإعادة ترتيب الأوراق ، وذلك في الليلة الثانية التي يجتمع في سياقها الزمني أصدقاء الماضي من هؤلاء الأزواج حتى نهار تلك الليلة ، وفي هذه الفترة

تحبيداً يتم الربط بين جميع المشاكل ، ثم تنتهي الأحداث بالوصول إلى حلول جميع المشاكل وذلك في الليلة الثالثة.

يعرض الفيلم لمجموعة من الشخصيات المختلفة بل المتناقضة تماماً في منهج التفكير والتكتونين النفسي وبالرغم من ذلك تجمعها حالة واحدة من التخبط والعجز عن تكوين علاقات إنسانية تسم بالأهمية والاستمرارية حيث يحاول الفيلم الكشف عن طبيعة تلك العلاقات ليس بين الأزواج فحسبـــ كما هو واضح على المستوى المباشرــ بل تمت رؤية صانعى الفيلم لما هو أعمق من ذلك حيث تعرى ما بداخل الفرد تجاه الآخرــ سواء أكان زوجاً أو صديقاًــ لذا تم تهميش المشاكل الاقتصادية للتوكيلــ فى المستوى الأولــ على ماهية تلك العلاقات التي بدأ الفيلم بالإشارة إليها قبل الخوض فى الأحداثــ حيث نجحت الصور الفوتوغرافيةــ موضوع التيتــ أن ترسم ببساطة ووضوح تفاصيل العلاقة بين شخصيات الفيلم دون اللجوءــ إلى الحوار التقليدي داخل السياق الدرامي للفيلمــ مما يؤكد أن الكشف عن طبيعة هذه العلاقات هو الموضوع الرئيسي فى ذلك العمل الفنىــ كذلك التركيز على استخدام «التليفون» كوسيلة للاتصال الرئيسي فى معظم أحداث الفيلم يؤكد على أن الخطيب الرئيسى فى هذا العمل هو الخل فى طبيعة العلاقات الإنسانية وعدم القدرة على الاتصال المباشر والافتقار إلى لغة مشتركة للتعامل بين الأفراد مما يؤدي إلى اللجوء إلى زنالبيب غير مباشرة لتحقيق ذلكــ

أصل وأريم صور

وعند النظر إلى مشاكل الأزواج -موضوع الفيلم- نجد أن السبب دائمًا هو تعارض وجهات النظر من جهة ، والعجز عن عرضها وعدم القدرة على الدفاع عنها من جهة أخرى حيث جاء بعض الجمل في الحوار على النحو التالي (ده من وجهة نظرك ، اعملى اللي أنت عايزة- فيه وجهة نظر تانية- اللي عمله اللي عايزة يعمله .وهكذا) ولهذه الأسباب تنشأ المنافسات ، والتي عادة ما تأخذ شكل «كذا في مقابل كذا» -حيث كان «الماضي في مقابل الحاضر والمستقبل» في حالة (فرح / حنان ترك/ عمرو،/أحمد حلبي) عندما سينتظر ذكريات الماضي بين «فرح وخطيبها الأول» على تفكير «عمرو» لذا ادعت «فرح» الحمل للحفاظ على زوجها -في الحاضر والمستقبل متناسبة ذكريات الماضي ، كذلك جاء «الاستقرار مقابل شهوانية الرغبة» في حالة (باري /منى زكي . خالد /فتحي عبد الوهاب) عندما صارت «باري» زوجها «خالد» بانها على علم بكافة ثرواته وبالرغم من وعد «خالد» لها بالعدول عن ذلك إلا أنه كما اعترف لصديقه «أنا بيجرى في عرقى كور بيضه وحمراء ونسوان ، وعلى صعيد آخر نجد «الخوف مقابل الجرأة» في خوض التجربة» في حالة (إيناس/ علاء غانم، سامح / شريف منير) عندما سيطر خوف «سامح»

من طموح إيناس على حبه لها ورغبتها في الزواج منها على العكس من «إيناس» التي تلح عليها برفقتها في خوض تجربة قد تنجح أو تفشل من الخوف من خوضها تجساً من الفشل ، وأخيراً هناك «الإخفاء مقابل الاحتواء» في حالة (مشيرة / جيهان فاضل / على / خالد أبو النجا) وقد تكون هذه الحالة أكثر الحالات ثراءً في الفيلم حيث إن لها بعداً سيميولوجيَا ناتجاً عن مسألة تعارض وجهات النظر، والخوف من المصارحة بالرغبات فنجد أن تلك الحالة وجدت عندما عجز «على» - شكل أو بأخر - عن إشباع رغبة مشيرة كائنة في حين عجزت مشيرة عن مصارحة زوجها برغباتها ، لذا فإن جميع الحالات المشار إليها في الفيلم ما هي إلا انعكاس حالة واحدة كما تم الإشارة من قبل . وقد أوجز المشهد الآخر - في لقطات سريعة متتابعة - هذه الفكرة على مستويين : الأول -مستوى الطرح المباشر المتمثل في مصائر الأزواج (حيث ظهرت السعادة الزوجية عندما لجأ الأزواج إما لإخفاء بعض التفاصيل ، أو الكذب ، أو التمسك بمثاليات لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع) والثاني : على المستوى الرمزى في تشكيل الصورة حيث كونت أجسام مدعى حفل زفاف (سامح وإيناس) بعض الدوائر الملقلة التي تسير في اتجاهات معاكسة لبعضها بعضاً مما يؤكد أن المشاكل لن تنتهي أبداً وسيستمر سهر الليالي.

وعلى صعيد آخر نجحت الصورة في ترجمة مضمون الفيلم من جهة ، وجاءت جميلة من جهة أخرى وعلى سبيل المثال استخدمت بعض المؤثرات المرئية للتعبير عن حالة القموض وعدم القراءة على توصيف العلاقات الإنسانية الموجودة داخل الفيلم مثل (كتافة دخان السجائر - الرجال المقتوش - توظيف الظلام) كذلك بعض المؤشرات التي عبرت عن حالة الإرتباك وعدم الاستقرار مثل استخدام الكاميرا المهزوزة ، وتوظيف الأمواج العنيفة المتلاطممة والإكثار من استخدام Close up للتركيز على ما يبدأ داخل الشخصيات من اعتمادات ، وقد تكاملت جميع العناصر الفنية تصويرياً (أحمد عبد العزيز)، ديكور (عماد المصري)، مونتاج (خالد مرعي)، موسيقى (هشام نزيه) من أجل رسم عالم خاص جداً لفيلم «سهر الليالي» والذي يعتبر نوعاً مختلفاً عن السينما السائدة.

وقد تم بناء السيناريو على نحو يحقق التوازن بين مشاكل الأزواج الأربع من جهة ، ويحقق التكامل بينهم لخلق رؤية كلية عن طبيعة العلاقات الإنسانية ، وقد نجح السيناريست «تامر حبيب» في تفنيد أكذوبة السعادة الزوجية بشكل غير مباشر ، في حين قام المخرج «هانى حلقة» بيلورتها في استعراض غنائي أختتم به مشاهد فيلمه مؤكداً على استمرار «سهر الليالي» وفي النهاية لابد من توجيه تحية خاصة لفنانى الفيلم حيث أن الإداء جاء بسيطاً جداً ، وخالياً من أي افتعال.



مؤشر النقد التشكيلي الأول:

اللغوي والبصري .. والإبداع

الإسكندرية: محمد كمال

يشهد النقد العربي بكافة فروعه أزمة بالغة الشدة تتفاقم يوماً بعد يوم نتيجة التفاوت الواسع بين تدفق المنجز الإبداعي ومثيله النقدي على مستوى الشعر والرواية والمسرح والسينما والفن التشكيلي ، عادة على مأزق المفهوم العام للنقد نفسه ، والتعامل معه على أنه مجرد حلقة وصل بين البعد والمتلقى ، وأنه داخل هذا السياق يلعب دوراً آلياً جافاً مسبقاً التصور مرتكزاً على أحكام جاهزة يلقيها غالباً في وجه الفنان بشكل تقيني متعال ، وقد ورثت تلك العلاقة النمطية من جيل إلى جيل حتى أضحت من الثوابت الحجرية وعلى ناصية هذا المنعطف ولدت فكرة المؤتمر الأول للنقد التشكيلي «بين الناقد والمجتمع» بتعاون بين الجمعية المصرية لِنَقَادِ الفن التشكيلي واتياله الإسكندرية بداعي من حالة الوجوم النقدي داخل الحركة التشكيلية المصرية لاسمها وأنها تشهد منذ ما يقرب من عشرين عاماً انقلاباً على رصيدها السابق بداية من نشأتها الرسمية عام ١٩٠٨ مع افتتاح مدرسة الفنون الجميلة على يد الأمير يوسف كمال ، وهو الأمر الذي استنفر القوى النقدية المتاحة للتحرك في الاتجاه المضاد ولكن دون منهجة واضحة تكون قادرة على مواجحة هذه الثورة التشكيلية الجامحة وقد ظهر جلياً أن الحركة النقدية تفتقر إلى دماء جديدة حتى تساعد الجسد على الإفادة من غيبوبته التي طالت ، فكانت مسابقة «بيكار فناناً ونادراً» والتي نظمتها

جمعية النقد العام الماضي بمثابة إرهاصة لبروز فجر جيل مبشر على الساحة وذلك من خلال نتائجها الباهرة والتي أثبتت أن الأرض المصرية ستظل تنبت ولو لم تروا إلا ببعض أبيات من الشعر . وقد مثلت تلك القفزة الشرارة التي بلورت خاطر المؤتمر ثم دخلته حيز التنفيذ . ومن خلال الحوارات الهاتفية التي تمت بيني وبين الفنان والناقد الكبير عز الدين كنا نزامن على جيل الشباب الذى لم يزل مثل كوب الطيب الصافى ، ولكن عقل عن كان يموج برقاصات المد والجزر من التناول والتشاؤم ، والنور والظلم زاماً لخبرته السياسية والإبداعية العريضة التي احتشدت بنجاحات كثيرة وإيجابيات أكثر ، أما أنا فكنت رافضاً لها جس الفشل ورفضاً عاطفياً مطلقاً مثل الفنان الكبير عصمت داوستاشى الذى قال «إن المؤتمر سيقام ولو من مالى الخاص» وقد ظهر هذا الاصرار فى قدرته التنظيمية المذهلة كأمين عام للمؤتمر وأحد روافعه العافية على أى حال زالت كل الوساوس والشكوك حتى بدا لي عز الدين نجيب فى آخر مكالمة ليلة المؤتمر كطفل ممتئٍ صدره بالفرحه ويطمئن على ملاسيسه انتظاراً لصبح يوم العيد وبالفعل كان عيداً حقيقياً للنقد التشكيلي المصرى والعربى يومى ٢٦ و ٢٧ من يونيو الماضى حيث بدأت فعاليات المؤتمر بقاعات أتيليه الإسكندرية بجهد صادق لجموعة من المخلصين على رأسهم المستتر عصمت داوستاشى الذى قاد فريقاً من الشباب لتنظيم المؤتمر بشكل فاجأ الجميع ، والصلب الذى لا يبأس عز الدين نجيب أحد أعمدة المؤتمر حتى نهايته والجراح المثقف اليقط د. محمد رفيق خليل رئيس الاتيليه والذى ساهم بجدية مادياً ومعرفياً في خروج المؤتمر النور ، والفنان الكبير د. محمد سالم الذى دعم المؤتمر بهدوء ورزانته المعهودة ، أما الناقد والفنان عادل ثابت فكان جندياً مجهولاً خدم الجميع فى صمت فصار سيدهم وبعد الجلسة الافتتاحية بدأت وقائع المؤتمر فى جلسات متواالية على مدى يومين كل يوم به جلستان ومائدة مستديرة للشباب ، خصص اليوم الأول لمحور «إعداد الناقد المحترف» ، أما اليوم الثانى فكان لقنوات الاتصال بين الناقد والجمهور وتاريخ الحركة النقدية المصرية المدون عبر المجالات والصحف والكتب المختلفة ، ومنذ الجلسة الأولى ومن خلال أبحاث كل من د. صبرى منصور، مختار العطار ، عز الدين نجيب ، نجوى العشري ، د. إحمد سلطان ويعنى المنصة الناقد محمد حمزه والفنان الكبير مصطفى عبد المطعى إضافة للحضور المكثف وضع التركيز على أهم النقاط التى تمثل لب المشكلة النقدية وكانت أولىما العامل اللغوى وكيف أن القبض عليه بالنسبة للناقد هو بمثابة الفاس الذى تفسر بعنفوان لحرث الأرض الإبداعية للفنان وذلك بداية من الدراسة بقواعد النحو والصرف حتى القراءة على استدعاء الصورة الجمالية المشبعة برائحة الطلق الابتكاري ، مروراً بالقدرات البلاغية المتعددة ، وقدرت قضية اللغة إلى اشكالية المصطلح الذى يعاني بالضرورة من أزمة على صعيدى الترجمة والمفهوم نتيجة التبعية المعرفية لسنين عدداً أعتقدناها خلالها داخل سجن المصطلح المستورد والذى ازدرتناه فى

خمول ذهني وروحي . ويدأت المناقشات تؤكد على حتمية نشوء ذلك المصطلح على أرضه عبر آلية إبداعية داخل أحشاء ثقافة شديدة الشخصوية ، إضافة إلى الاتقان على ترجمة عربية موحدة للمصطلح الوارد وكان من البديهي أن تدفعنا جملة اللغة والمصطلح إلى أخصب طروحات المؤتمر وهي ماهية النقد نفسه لاسيما وأن تاريخنا التقى مكتظ بالكثير من المغالطة المفاهيمية مثل «الناقد القاضي» ، «الناقد الحكم» ، «الناقد الكويري» وهي مقولات تمثل ذروة الأزمة إذ أنها تنصيب العملية النقدية بالجمود والفقمة غير المبررة لتحقير النقد بين القوسين التقليديين » التفسيري والتقديري « وتنصيبه بغرابة من نطاق الإبداع وإلضافة الحقيقة للنص البصري . ومع احتدام الحوار الجدل حسم الأمر لصالح إبداعية النص النقدي كمتنج له أدواته المستقلة رغم اعتماده على المخرج الإبداعي للفنان ولكن كثيرون وليس مرتكباً كلها نهايأً أو أداة توصيل أو توجيه جبri والنصل النقدي بهذه الصيغة يرتكز على قدرات متفردة من التفاني الروحية والمهارة الاستشفافية ، والمغامر الكشفية علاوة على التمكن اللغوي الذي يحكم السيطرة على النص ويغذيه بتداعيات الصورة البصرية واللغوية ، الأمر الذي أدى بالمحاورين إلى إدماج الناقد ضمن كتيبة المبدعين ، لذا فإن تأسيسه وإعداده يحتاج إلى إماتة اللثام عن موهبته من مرحلة الطفولة وفي النساء كان التأكيد على مثل تلك النقاط الجوهرية من خلال الجاسة التي رأسها الفنان د. صبرى منصور بعضوية د. شاكر عبد الحميد صاحب جائزة التفوق هذا العام ، الفنان أ. صبرى حجازى وهى الجلسة التى ناقشت أبحاث كل من أحمد رافت ، د. عبد الصبور شاهين ، كاتب هذه السطور ، وقد أكدت الأبحاث على تجاوز النقد اللغة التقريرية الجافة إلى لغة إبداعية أكثر خلقاً وابتكاراً عبر تضافر الجديلين اللغوية والبصرية متلاقيتين فى رحم الإبداع ، وقد أثير د. شاكر عبد الحميد معرفياً وقدم تعقيباً رائعاً وصل إلى حدود محاضرة قيمة سريعة عن مسئولية فحص المخ الأيمن والأيسر عن الصور والكلمة وتناغمهما وتوحدهما عند لحظة يأول فيها المشهد لغوايا ، وقد استولى المحاضر على ألباب الحاضرين لياكتوا أحقيته بجائزة التفوق . أما المائدة الشبابية المستديرة فقد أعلنت مبكراً عن الصدام الإيجابى بين الشيوخ والشباب الذين وإن كانوا قد تجاوزوا أحياناً إلا أنهم صبوا مخزونهم فى وعاء المؤتمر ، وقد رفع حرارة تلك المائدة البحث المقدم من الفنانة ريم حسن الذى هاجمت فيه كل الحركة النقدية ، ورد عليها الناقد الفنان إبراهيم عبد الملاك بهجوم مضاد أشد ، ولكن سرعان ما تحولت الواقعية إلى نقطة ارتكاز تمحورت حولها التبادلات الحوارية بين الأجيال ، وقد ساعد هذا على الإنصات إلى نقاد شباب مملوئين بالطاقة والقدرة على التفجر مثل نادية توفيق ، ليلى نعيم ، سحر درغام ، إضافة إلى جيل الوسط مثل جرجس نجيب ، صبرى أبو عجيلة وفني اليوم الثاني للمؤتمر سبقت الجلسات بأطروحة مكتفة للناقد والروائي الكبير إدوارد الخراط عن التوارى بين حركتي النقد الأدبى والتشكيلى استعرض

فيها التناص الإبداعي بين لغتي الصورة التشكيلية والصورة الأدبية من خلال مشواره الطويل مع الاثنين ورفقاء دربه من التشكيليين أمثال عدنان رزق الله ، أحمد مرسي وهما من جمعاً أيضاً بين مهاراتي الكلمة والصورة . ثم بدأت وقائع الجلسات التي ركزت على قنوات الاتصال بين الناقد والجمهور ، وقبلها بالضرورة بين الفنان والجمهور ليكتمل المثلث الذهبي لأي حركة فنية ، وكنا نظن أن اليوم الأول هو الأهم في المؤتمر ، ولكن اليوم الثاني كان أكثر حيوية وطرح قضايا تشكل من مجموعها أزمة الحركة التشكيلية بصفة عامة وذلك من خلال الجلسة الأولى التي رأسها الناقد الكبير عز الدين نجيب بحضور كل من الناقدين مكرم حنين ، بكمال الجوبلي وناقشت أبحاث كل من عايدة خليل ، سامي فريد ، فاطمة زكي ، إيمان مهران ، د. بكرى محمد بكرى ، د.أمل نصر ، حسام أبو زيد ، وقد كانت تلك الجلسة الأكثر خصوصية على مدار اليوم حيث طرحت الفنانة عايدة خليل إشكالية العلاقة بين الفنان والجمهور مقتربة بحلول فعالة كان أبرزها مشروع المراسم المفتوحة على العامة والتي يستفيد منها كل الأطراف بمن فيهم الناقد أيضاً ، ثم تأكّد هذا في بحثي د. بكرى محمد ، د. أمل نصر ، وكعادة إيمان مهران إنفتحت أساليب الصدام الفعال ، وطرح سامي فريد ، حسام أبو زيد بمكافحة وجراة نقاط ضعف في الصحافة وقصور الثقافة مقتربة بحلول أيضاً من أجل رفع جماهيرية الفن التشكيلي ، وقامت فاطمة زكي بالقاء الضوء على لغة الخطاب التقديري المرجو في المرحلة القادمة . ومع حلول المائدة المستديرة بدا واضحاً أن جيلاً جديداً في طريقه إلى احتلال موقع مرموقة في الساحة من خلال مناقشاتهم الساخنة الجريئة والعميقة في أن ، وكان أبرزها لطارق الشناوى عن الإبداع الفنى والتكنولوجيا ثم المهوية هديل نظمي ، ثم محسن عبد الفتاح ، فدوى رمضان ومعتز الصقفى ، إضافة إلى محمد حسب الله ، مدحت الكريونى من جيل الوسط ، أما الطائز المهاجر ناصر عراق فقد قدم بحثاً قيماً عن مآزر النقد التشكيلي ركز فيه على الجمال اللغوى للنص ، وكان التعقيب من المثقف الكبير أمين ريان سهلاً وسلساً عميقاً في أن ، أما الناقد الفنان عادل ثابت فلم يخرج عن وداعته المألوفة رغم هجومية الشباب أما الجلسة المسائية فعقب عليها الناقدان عز الدين نجيب وصباحي الشaroni وأستهلها الفنان عصمت داوسانتاشى بما اعتبره عز وثيقـة بالغـة الأهمـية عن تاريخ الحركة التقـدية من خلال الصحف والمجلـات المصرية الصـادرة في القرن العـشـرين ، وهذه المـلكـة التـوثـيقـية هي إحدـى أـهم مواـهـب هـذا الفنانـ الكبيرـ والتـى أـثـرـتـ السـاحـةـ عـبرـ أـربعـينـ عامـاًـ حـافظـ خـالـلـهاـ عـلـىـ كـثـيرـ منـ مـهـمـلـاتـ التـارـيخـ . وأـعـقبـ هـذاـ الـبـحـثـ الـوـثـائقـيـ أـبـحـاثـ أـخـرىـ مـهـمـةـ لـعـزـةـ مـشـالـىـ وـصـلاحـ بـيـصـارـ ، ومـدـوحـ إـبرـاهـيمـ وإـينـاسـ الـهـنـدـىـ أـضـاءـتـ مـنـطـقـةـ مـظـلـمـةـ فـىـ السـاحـةـ النـقـدـيـةـ تمـثـلـ ماـ أـسـمـيهـ بـهـ الـبعـدـ الرـابـعـ أـوـ مـرـحلـةـ نـقـدـ الـنـقـدـ حـيـثـ لـفـتـ الـأـبـحـاثـ الـأـنـظـارـ إـلـىـ عـطـاءـ نـقـادـ كـبـارـ مـثـلـ إـيمـىـ آذـارـ ، مـحـمـودـ بـعـشـيشـ ، كـامـلـ التـمـسـانـىـ إـضـافـةـ إـلـىـ بـطـولةـ مـحـمـدـ صـدـقـىـ الـجـبـاخـانـجـىـ فـىـ إـصـدـارـ

مجلة صوت الفنان وهذا بعد هو ما نحتاج إلى إخضابه في المرحلة القادمة . ثم اختتم المؤتمر بالجلسة الختامية التي بلورت هذا النجاح الكبير ليترقب الجميع فوق كل المصافير حتى أن عز الدين نجيب بعث بالتحية إلى الناقد سمير مرید رئيس الأكاديمية المصرية بروما حاليا ورئيس جمعية النقاد السابق رغم الخلاف الحاد بينهما إلا أنه لم ينكر دوره كأول من طرح فكرة المؤتمر وهو ما أنتزع احترام كل الحضور لعز وبعد أن شعر الناقد أنهم تجاوزوا بهذا المؤتمر مرحلة حرجية وكأن الجياد قد انطلقت من عقالها كان منطقيا أن يتجسد الحديث في التوصيات النهائية والتي عبرت بشكل كبير عن إنجاز حقيقى على مستوى تواصل الأجيال ومفهوم النقد ، والعلاقة بين الفنان والناقد والجمهور والسلطة والوطن ، لذا لم يكن غريبا أن يؤكّد المؤتمر على ضرورة الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية للشعب العراقي ومقاومة أية محاولة لطمسها ، كما دعا أيضا إلى مساندة الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة فعلا لا اسمأ ، وأن يحل السلام الحقيقي في المنطقة وليس الاستسلام ، ثم أوصى المؤتمر بالكثير من النقاط المهمة كان من أبرزها :

- إصدار موسوعة لمصطلحات الفن التشكيلي.
- زيادة إصدارات الكتب الخاصة بقضايا الفن التشكيلي.
- ضرورة دعم المعهد العالي للنقد الفني بما يكفل تخريج متخصصين في نقد الفنون التشكيلية.
- إدراج الكتب العالمية في النقد التشكيلي ضمن المشروع القومي للترجمة.
- ترجمة الكتب النقدية المصرية إلى اللغات الأجنبية.
- إصدار الجمعية لجنة دورية متخصصة في النقد التشكيلي.
- تتضمن النقد التشكيلي في كل من جائزة الدولة التقديرية وجائزة التفوق ، إضافة إلى منحة تفرغ سنوية للنقد.
- استمرار الجمعية في مسابقاتها العقوبة في النقد للكشف عن أجيال جديدة.
- طباعة كتاب وثائقى يضم الأبحاث المتميزة التي قدمت المؤتمر.
- تخصيص مساحات زمنية مناسبة في مناهج التربية الفنية لتدريس مادة النقد التشكيلي .
- تمثيل النقاد في لجان التحكيم المحلية والدولية بنسب متقد علىها.
- تفعيل القرار الخاص بإقامة المؤتمر العام للنقاد العرب بالتعاون مع وزارة الثقافة ولم يكن هذا النجاح إلا دافعا لكى يتمسك الجميع في أبرز توصيات المؤتمر بإقامته سنويا على أن يتم الإعداد من الآن بالتنسيق بين جمعية النقاد وأتيليه الإسكندرية ، ولم لا وقد تحقق الحلم الذى راود كل نقاد مصر بأن يكون لهم مهرجان سنوى يتم فيه التلامذ الوجданى والمعرفى .

الشارع الثقافي

عبد العليم

جوائز الدولة ..

الحظ قد يخطئ أحياناً

الجائزة هذا العام للدكتور ضيف وكاتها تكفر عن خطاباها طوال السنوات الأربع الماضية تجاه حارس اللغة العربية الذي أقر أنيس منصور بعد فوزه بأسنانية ضيف له.

وإذا كانت جوائز الدولة تحتفل هذا العام بمرور خمسين عاماً على فكرة إنشائها ، فقد أنشئت بموجب القانون رقم ٣٢٨ لسنة ١٩٥٣ ، فإن مجالتها قد اتسعت كثيراً ، وجوائزها أصبحت مشرات الأضياف مما كان يرصد لها ، فحين أنشئت كانت المادة الثالثة من القانون تشير إلى أن قيمة الجائزة التقديرية ٢٥٠ جنيه وميدالية ذهبية ، أما الآن فجائزة مبارك في كل فرع من فروعها يمنع الفائز بها مائة ألف جنيه ، وهذا يجعل جانب المحاولات يسود من قبل اللجان المختصة بالفرز والاختيار والتي يأتى معظم أعضائها من موظفي وزارة الثقافة وبعض موظفي الحكم المحلي !!

ولهذا - غالباً - ماتذهب الجائزة لبعض كبار المسؤولين في الدولة ، ومن المفارقات الغربية - في هذا الإطار - فوز وزيرين في مجال واحد وفي سنة واحدة ، فقد فاز د. مفيد شهاب وزير التعليم

أعلنت منذ أيام قليلة جوائز الدولة بفروعها المختلفة " مبارك - والتفوق - والتقديرية - والتشجيعية " وقد حفل هذا العام بعدة مفاجآت أهمها حجب جائزة مبارك في العلوم الاجتماعية برغم وجود عدد كبير من الأكاديميين الذين أثروا الحياة العلمية في مصر على قائمة الترشيحات ولعل من أبرزهم د. إسماعيل صبرى عبد الله ويوسف شاهين ود. يونان لبيب رزق ، وقد رأت اللجنة حجب الجائزة دون مبررات حقيقة ، ولعل دخول الكاتب الصحفى إبراهيم نافع حلبة المنافسة كان وراء هذا الحجب ، وهذا محدث - قبل ذلك - فى جائزة مبارك للذادب منذ ثلاثة أعوام فقد حجبت لعامين متتالين نظراً لوجود الكاتب الصحفى أنيس منصور على قائمة الترشيحات منافساً للدكتور شوقي ضيف - رئيس المجمع الألفى العربى ، وقد كان من الطرائف التى لا تنساها هى حصول أنيس منصور على الجائزة فى العام الماضى بأغلبية - ٣٧ صوتاً مقابل ١٢ صوتاً للدكتور شوقي ضيف ، ولعل تلك المفارقة التى جعلت الجائزة تذهب إلى (التلميذ) بدلاً من الأستاذ الذى التى جعلت اللجنة تمنح

الشارع الثقافي

ورغم تلك الشوائب فإن هناك بعض الجوانب المضيئة للجائزة هذا العام في بعض الفروع ، لعل من أولها حصول العالم اللغوي د. شوقي ضيف على جائزة مبارك في الآداب ، وقد عاش « ضيف » مدافعاً عن اللغة العربية وتأريخها ضد كل محاولات التغريب والتهميشه وأصبحت كتبه ومؤلفاته وتحقيقاته لكتب التراث أكثر الأعمال تداولاً بين دارسي العربية وباحتثتها في أوروبا وأمريكا وببلاد العالم المختلفة ، والتي طبع بعضها أكثر من عشر طبعات ، فعلى سبيل المثال كتابه « الحصر الجاهلي » صدرت منه إحدى وعشرين طبعة ، وكتاباه « النثر العربي » و « الشعر العربي » صدرت منها إثنتا عشرة طبعة ، وكتاب « التطور والتتجدد في الشعر الأموى .. صدرت منه أربع عشرة طبعة ، وكتابه « ابن زيدون » إثنتا عشرة طبعة ، و « الأدب العربي المعاصر » صدرت منه إحدى عشرة طبعة .

وقد ولد د. أحمد شوقي عبد السلام ضيف بشهرته « شوقي ضيف » عام ١٩١٠ بقرية أولاد حمام قرب مدينة دمياط لأب أزهري ، تلقى تعليمه الأول في المعهد الديني بدمنياط ، وما إن وصل إلى اللحظات الأولى في طريقه العلمي حتى بدأ عليه ملامح النبوغ الفكري والعلقاني ، فاشتهر بين رفقاء في هذا المعهد - بمحاوراته ومداخلاته حتى أطلقوا عليه اسم عالم جليل من علماء الشاعفة وهو « العز بن عبد السلام » ثم التحق د. شوقي ضيف بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وتخرج في

العالى ، ود. حمدى زقزوق وزير الأوقاف بجائزه الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية عام ١٩٩٧ !! .. وكذلك حصول د. عاطف صدقى رئيس الوزراء الأسبق ، ود. أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب على نفس الجائزة في عام ١٩٩٢ ومعهم د. على طفى رئيس الوزراء الأسبق !! .. ومن نوادر الجائزة أن الأديب الكبير الراحل يوسف إدريس قد منح الجائزة التقديرية في عام ١٩٩٠ وهو على سرير المرض فرفضها ، نظرًا لكونها جاءت متاخرة كثيراً على رائد القصة العربية في العصر الحديث . وكذلك حصول الناقد الكبير الراحل عبد القادر القط على الجائزة بعد أن تجاوز الثمانين في العام الماضى وقبل وفاته ب أيام .

وقد شاب الجائزة التشجيعية في الشعر هذا العام غموض كبير فالفائزين في شعر الفصحي شاعر غير معروف « سمير فرج » ، وحجبت عن جيل كامل من الشعراء الذين أثروا الحياة الأبية - على مدار أكثر من عشر سنوات - بتجارب جديدة ، لكن للأسف الشديد - مازالت لجنة الاختيار تتذكر من وراء عدسات صدئت من الأزان الخليلية ، فإذا كانت القصيدة العالمية قد حللت مشاكلها مع الجائزة منذ عامين بفوز « الأنبوى » بالتقديرية ، ومن بعده رجب الصاوي ؛ فإن حصول محمد الغيطى الشاعر الغنائى على الجائزة التشجيعية جعل هناك الكثير من الأسئلة حول آليات التصويت !! وقدرة العلاقات العامة على توجيهها .

الشارع الشفاف

جامعة «أدنبرة» ١٩٥٤ ، ثم دبلوم الأكاديمية الملكية للموسيقى في عزف البيانو - من لندن ، ثم عملت أستاذة للتاريخ الموسيقي ، ثم عميداً للمعهد العالي للموسيقى العربية عام ١٩٦٨ ، ثم رئيسة لأكاديمية الفنون عام ١٩٨٢ ، والدكتورة «سمحة الخولي» العديد من المؤلفات الموسيقية منها «تراث الموسيقى» ١٩٦٣ ، وترجمتها الرائعة لموسوعة «تاريخ الموسيقى العالمية» ١٩٦٥ . وقد حصلت على جائزة الدولة التقديرية في الفنون عام ١٩٨٣ . وحصل د. عبد العزيز حمودة أستاذ الأدب الانجليزي بجامعة القاهرة على الجائزة التقديرية في الآداب .

فمنذ تخرجه ثم حصل عليه الدكتوراه في الأدب الانجليزي من جامعة «كورنيل» الأمريكية عام ١٩٦٨ ، وهو مشغول بقضايا النقد الأدبي ، بداية من كتابه «علم الجمال والنقد الحديث» والنبي ألفه وهو لم يزل في الثلاثة والعشرين من عمره ، ثم انشغاله بالنقد المسرحي والتأليف أيضاً فأصدر «المسرح السياسي» و«المسرح الأمريكي» وقدم له المسرح المصري عدة مسرحيات ذات طابع اجتماعي وسياسي منها «الناس في طيبة» و«الرهائن» ، و«ليلة الكلوبينيل الأخيرة» و«الظاهر بيبرس». ثم عاد مرة أخرى للنقد الأدبي بكتابه الذي أثار الكثير من التساؤلات والمناقشات «المرايا الحديثة» وتبعد بـ «المرايا المغيرة» والذي حول من خلالها تأكيد أن البلاغة العربية قدمت نظرية لغوية ، ونظرية أدبية تشهدان بالعصرية ثم

قسم اللغة العربية عام ١٩٣٥ بتقدير امتياز وكان الأول على دفعته ، ثم عن معيناً بها .

وقد حصل عام ١٩٤٥ على الدكتوراه ، ثم توالت مؤلفاته فقدم ما يقرب من ٢٨٠ مؤلفاً ، منها ٥٢ كتاباً ، والباقي تحقیقات في كتب التراث العربي . ومن أشهر كتبه «الشعر والفناء في المدينة ومكة في عصر يمني أممية» ، وـ «شوقى شاعر العصر الحديث» وـ «الأدب العربي المعاصر في مصر» ، وـ «عالمة الإسلام» ، وـ «البارودي وائد الشعر الحديث» ، وـ «مع العقاد» ، وـ «البلاغةتطور وتاريخ» ، وـ «تجديد النحو» ، وـ «في النقد الأدبي» ، وـ «البحث الأدبي» .

أما عن الجوائز فقد حصل د. شوقى على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٥ ، وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٩ ، ومنحته السعودية جائزة الملك فيصل عام ١٩٨٨ ، كما كرمته الكويت بمنحه جائزة التقدم العلمي .

وقد عين د. ضيف أميناً لمجمع اللغة العربية عام ١٩٩٦ . ضيف أميناً لمجمع اللغة العربية :

ويأتي فوز د. سمحـة الخولي بـ جائزة مبارك للفنون تـقديجاً لعطائـها الفنى على مدار أكثر من نصف قرن ، متـأثـرة بـ نـشـائـتها في بـيـتـ أحدـ عـلامـ الفـكـرـ الـصـرىـ فـىـ القـرنـ العـشـرـينـ وـهـوـ الشـيخـ أمـينـ الخـوليـ ، وـقـدـ ولـدـتـ دـ.ـ سـمـحةـ الخـوليـ فـىـ عـامـ ١٩٣١ـ بـالـقـاهـرـةـ ، وـحـصـلـتـ عـلـىـ دـبـلـوـمـ المـهـدـ العـالـىـ لـلـموـسـيـقـىـ فـىـ ١٩٥١ـ ، ثـمـ دـكـتـورـاهـ فـىـ الـفـلـسـفـهـ ثـمـ

الشارع الثقافي

أصبحت لاهوتاً لا ينافش ولا ينفي منه الشك ، أما المفکر العقیف الأخضر فقد أشار في بحثه إلى كثرة المفاهيم الدينية الخاطئة ، والخطر يكمن في نقطتين هما : التعليم الظلامي الذي يتم به تخريب العقلية العربية ، ويرتبط عليه « الترجسية الدينية » المرتبطة بالذهنية البدائية ، مما يخرج أججياً متناقضة مع ذهنية عمرها . وليس من المتصور أن

يصبح فقه « ابن تيمية » هو المرجع الرئيسي لكتير من البلد العربية ، رغم ما فيه من شوائب وتعصب بعض الأراء المتطرفة .

أما النقطة الثانية فتكمّن في « عبادة الأسلاف » التي تقف عند حدود المقاائق العابرة للتاريخ ، وهذا يحتم على « التعليم التقويري » أن يكون نوره الأساسي رد الاعتبار لكل ماتركه التعليم التجهيلي ، بالإضافة إلى ضرورة مناقشة دور المرأة في المجتمع العربي في إطار واقعي .

اما الشاعر احمد عبد المعطى حجازى فاكل على ضرورة وجود خطاب ديني جديد ينافس بديله السادس حالياً ، والمشك فى كل ماتتحقق خلال القرنين الماضيين من استقلال ، والدعوة إلى الدولة الوطنية والدستور والأدب والفن . وطالب حجازى بضرورة إلغاء المادة التى أضيفت للدستور المصرى فى أواخر السبعينيات والقائلة بأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسى لقوانين الدولة ، وطرح د. صلاح فضل فى مداخلته بعض أعراض التراجع فى الخطاب السياسى والدينى ، ومنها « عسکرة المدنية » فى معظم المجتمعات

أنهم ، لو لم يمارس المذاخين شعار القطيعة مع التراث كان من الممكن تطويرهما إلى مدرستين لاتقلان تماماً وتنضجاً عن المدارس اللغوية والأدبية الغربية التى انبعرت بها البعض طوال القرن العشرين .

نحو خطاب ثقافي عربي جديد

تعدد محاور « مؤتمر الثقافة العربية » الذى عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين الأول وحتى الثالث من يوليو ٢٠٠٣ ، والذى جاء تحت عنوان « نحو خطاب ثقافي جديد » ، ومن هذه المحاور « نحو منظور جديد للثقافة فى عصر مجتمع المعرفة » و« موضع الثقافة العربية على الخارطة الثقافية الكوبية فى العصر الجديد وعلاقتها بعالم البحر المتوسط وثقافات آسيا وأفريقيا » و« تطوير السياسات الثقافية » . ورغم أهمية هذه المحاور وكثرة الأوراق البحثية التى قدمت من خلالها إلا أن محور « تجديد الخطاب الدينى » قد شغل جزءاً كبيراً من اهتمام المثقفين العرب وليس أولى على ذلك من أن المدخلة الأولى لأدونيس جاءت بعدة تساؤلات مهمة منها : كيف يمكن أن تجدد معرفة المجتمع وثقافته التى تقوم فى الأساس على عنصر أولى وهو الدين ، وكيف ينظر إلى هذا العنصر بوصفه كلاً شاملاً وليس بوصفه جزءاً من كل .

وطالب أدونيس بتحويل الوحى والدين إلى جزء

مع ضرورة إعادة النظر فى كل المسلمين التى

الشارع الثقافي

ما يتعرض له الإنسان من قصور، نظراً لأن أدوات ومعدات الثقافة كانت محدودة في عصرهم قبل ظهور المطبعة وتسهيل وسائل الانتقال، وأهم من هذا أنهم كانوا أبناء عصرهم، وكان عصراً ملقاً، مستبداً، فأنكست صورة المجتمع على هذه المذاهب وما وضع من أصول الفقه، فمن غير المعقول أن يظل ما وضعوه في إطار «اللامساس» وبعد مقدساً لآلف عام.

أما المحور الخاص بتجديد الخطاب الثقافي العربي فتتضمن عدة مداخلات مهمة حول علاقة المثقف العربي بالسياسة، والمشروع الثقافي العربي، ووضع الثقافة العربية في ظل التغيرات العالمية ومنها ما أكدته د. عبد السلام المسدي وزير الثقافة التونسي السابق أن المثقف العربي يعيش - الان - أحرج لحظة حضارية منذ احتلال الجزائر عام ١٨٣٠، وذلك بسبب تشظي الوعي الفكري، واندماج الثقافة في السياسي مما يجعل - هناك - سهل من التعارضات، وإن استنجد السياسي العربي - أحياناً - بالثقف - وإن جاء بطريقة سرية - لحل بعض الأزمات التي يتخلل أنه من الممكن حلها ثقافياً.

وأشار د. المسري أن التجديد يمكن في فكرة «الإصلاح» بين الفكر والخطاب، والخطاب والسلوك، والتصور والتحقيق، والثقافة والواقع - وطاقة الفرد والفعل والآليات إنتاج الأفكار وأاليات صناعة القرار حتى لتخفيض الحدود بين المفارق

العربية ، الأمر الذي أدى إلى سيطرة النظم العسكرية ، مما أدى إلى إعاقة التطور الديمقراطي الحر، وقد استمر الإرهاب الأصولي - الذي تم تداوله - ليكون ذريعة للوصاية الفرنسية على المقدرات العربية.

أما المفكر الإسلامي جمال البنا ف أكد أن تجديد الخطاب الديني يتحقق لو التزمنا ثلاثة، وأطربنا ثلاثة التزمنا بالقرآن الكريم والصحيف الثابت المنضبطة بالقرآن من قول وعمل الرسول ثم استلهام «الحكمة» وهو الباب الذي فتحه القرآن حتى يتحقق للإسلام أن ينهل ويتجدد ويكسب كل عناصر الامتياز في الثقافات والحضارات الأخرى.

أما الثلاث التي يجب أن نظرها فهي تفسير المفسرين للقرآن الكريم بدءاً من ابن عباس حتى سيد قطب، فليست هذه التفاسير إلا إسقاطاً بشرياً على النص المقدس، وهو أمر يكاد يكن شرطاً ، فضلاً عما وضعه المفسرون مما أطلقوا عليه «علوم القرآن» من نسخ أو أسباب تنزل أو إيضاح مبهمات ، وهذا كله افتئنات صرير على القرآن لوث نقاء ، ومنع إعجازه.

الأمر الثاني هو الصورة التي طرحها المحدثون للسنة فمن الضروري أن تضيّط السنة بمعايير القرآن بدلاً من معيار السنّد .

الأمر الثالث الذي لا بد وأن يطرح جانباً هو آراء الفقهاء التي وردت في المذاهب الأربع ، فرغم عبقرية هؤلاء الفقهاء إلا أنهم يشر معرضون لكل

الشارع الثقافي

الثقافي العربي حدث توافق للمثقف مع آليات وسياسات الطغيان بحجية التذرع بـ «اللقة والأسنان»، ويترتب على ذلك – الانخراط بالاطلاق والممانعة أحياناً.

ويرى سليمان أن الإصلاح النهضوي لن يتم إلا باندماج الديمقراطية وحقوق الإنسان مع الجديد في عالم اليوم من أدوات الجراحة الثقافية العولية.

أما د. قاسم عبد قاسم فأشار إلى أن الازدهار الثقافي – على الدوام – كان مرهوناً بالإيمان بالتعددية وال الحوار ، فال فعل الثقافي أيًّا كان نوعه قفزة في المجهول من أجل الكشف والمعونة والتذوير ، ولا يمكن أن يتم هذا في بيئة تصادر حق الاختلاف والحوار ، وترى النخبة الحاكمة فيها أن رويتها يجب أن تكون ملزمة للكلافة ، فالبيئة الثقافية العربية تعاني الآن من مشكلات عديدة أعمّها عدم تجديد الدماء الثقافية بشكل كاف ، وانعدام الحوار على المستوى المحتوى والقومي ، مما تنتج عنه حالات المصادر والحبس والإغلاق ، وهي كلها أمور تسير في اتجاه يعادى للتعددية الثقافية».

الفلسفى والمحايد التاريخي .

أما د. محين الدين الاندقانى فل أكد على أننا لست بحاجة إلى التقليل من الثقافة السياسية بل بحاجة إلى زيادة جرعتها والعمل على تطوير مؤسساتها ومعاهدها ، وتكثيف ممارساتها ، فاختلافنا ينبع من تلك النقطة حيث تقف أمام جدار الفساد السياسى الذى تعانى منه الدول العربية جميعاً بنسب متفاوتة ، وهذا الوضع قد جرنا إلى مصيدة الإرهاب مرغمين نتيجة ضعفنا واستعداد خربنا السياسية الحاكمة منذ وقت طول للتسليم بأن القرارات السياسية الخاصة بمستقبل المنطقة تصاغ في الخارج ، وأن سياسينا ليسوا أكثر من منفذين لتلك القرارات إلى درجة ذات فيها الفروق بين الوكيل التجاري والوكيل السياسي .

وأضاف الاندقانى أنه من الصور السلبية للمثقف العربي عدم ممارسته «النقد الذاتي المكثف لنفسه ولابداعه ودوره ، وعدم تقافته إلى الجمهور وانحيازه إلى «ثقافة الصومعة والعزلة». أما الرواپي السوري نبيل سليمان فأشار في بحثه «نقض ثقافة الطغيان» أنه لا تعارض بين الإصلاح الثقافي والإصلاح السياسي وكذلك الإصلاح الاقتصادي . لكن من بطأة الطغيان

الشارع الثقافي

إعلان القاهرة الثقافي

العقبات والنكبات.

رابعاً : يطالب المشاركون في المؤتمر الأنظمة العربية بالبقاء الأحكام العرفية التي تحاصر الحريات العامة ومنها حرية الرأي والفكر والمعتقد والإبداع الأدبي والفنى ، وهذه الدعوة إلى تحرير المجتمع لاتفصل عن ضرورة تحديث النظم السياسية بما يجعلها نظماً دستورية تتنمّى إلى هذا العصر ، و بما يعطى الشعوب العربية حقوق الرفض والقبول والمبادرة والمراقبة ، لهذا يدعى المؤتمرون إلى " أفق مجتمعي جديد " يضمن حرية الاجتهاد الفكري المستول باعتباره اجتهاداً وطنياً وقومياً يؤمن بالاتفاق والاختلاف ويرفض الوصيات المتعالية التي تحكر مقدرات الوطن والقدسات الدينية والقومية ، وتتصبّ نفسها قياماً متقدراً عليها.

خامساً: يطالب المشاركون في المؤتمر بتطوير التعليم العام الجامعي بإصلاح الجهاز المدرسي ، وتأمين المشاريع العلمية التي تكون الوجهان الوطني.

وقد تمخض المؤتمر عن عدة توصيات :

أولاً: إن وحدة الثقافة العربية - كانت ولا تزال عاملًا رئيسيًا في وحدة الشعوب العربية ، وأن الأجيال المتعاقبة من المثقفين العرب لعبت دوراً في الدفاع عن مصالح الأمة ، وفي اقتراح الأفكار التي أسهمت في استقلالها وتقدمها . وهذه الوحدة تظل أساساً لا بد منه من أجل تجديد المشروع الحضاري العربي وتجديده آفاق الشعوب العربية .

ثانياً : يؤكد المؤتمرون على أن إنجاز الاستقلال الوطني والقومي لكل الأقطار العربية هو إنجاز ينبعى الحفاظ عليه والدفاع عنه ، وأن من حق الشعب الفلسطيني تحرير أرضه المستقلة ، كما ينددون بالاحتلال العسكري الأمريكي للعراق ووضع اليد على مقدراته وثرواته.

ثالثاً: يرى المشاركون في المؤتمر أن الأمة العربية بها من المقومات ما يدفع عنها اليأس وما يبرأ التفريط والتهاون في المسائل القومية ، مؤمنين بأن هذه الأمة قادرة على تجاوز

مختارات من شعر خوجة

صدر مؤخرًا عن دار المريخ للنشر بالقاهرة مختارات من شعر ، عبد العزيز محى الدين خوجة . الجدير بالذكر أنه قد صدر لخوجة عن نفس الدار كتاب «أسفار الرؤيا» ، خوجة شاعر مهم بالتجربة الصوفية الإسلامية ولasisima تجليلاتها اللغوية والأدبية عند الحلاج والسهوردي وأبن عربي والبسطامي وغيرهم ، يقول في قصيده «بين يدي الديوان» :

لأشنْ لدِي
أو في الجبة شَئْ
أو تحت القبة شَئْ
تقلقني الشمس ويحرقني الفَئِ
إني درويش متَّاعد
انقطع الشارد والوارد
إني ماضٌ عنكم
لست شهيداً أو شاهد

من رواد الشعر السعودي

عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والمطباعة والنشر صدر كتاب عن الشاعر السعودي عبد الرحمن المنصور وهو يعد أحد رواد الشعر السعودي الحديث حسب تعبير محمد بن عبد الله السيف الذي أعد وحرر الكتاب . والكتاب في أربعة فصول .

الأول ، ويشتمل على بعض قصائد الشاعر . الثاني ، ويشتمل على مكتب عن الشاعر في كتب الأدب السعودي ونقده . الثالث ، عن الدراسات والشهادات والمقالات ، الرابع . ويشتمل على المقابلات والحوارات الصحفية التي تم إجراؤها مع الشاعر . ثم ملحق الوثائق والصور .

نقرات الظباء بالألمانية

عن دار شرقيات بالقاهرة ، صدرت الطبعة الثانية من رواية نقرات الظباء للكاتبة المصرية ميرال الطحاوى . هذه الطبعة تزامنت مع صدور الترجمة الألمانية للرواية وقد أقيمت ندوة بالمركز الثقافي الألماني في القاهرة احتفالاً بالكاتبة وصدور الترجمة الألمانية للرواية وقد جاء في كلمة الكاتبة الألمانية «أولى روتقوس» إن ميرال حصلت من مصر كأول كاتبة مصرية على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب واشتهرت في الغرب كذلك من خلال رواياتها التي صدرت في القاهرة منذ عام ١٩٩٦ وقد ترجمت المستعمرة الألمانية الكبيرة «دورين كيلس» أعمال ميرال الطحاوى إلى اللغة الألمانية .

لا أحد يسعف الغيل

ديوان جديد صدر للشاعر والكاتب الياس فتح الرحمن ، عن مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافي يقول

الكاتب الراحل على الملك عن شاعر إلياس فتح الرحمن : أما إلياس فقد نسعدني بما قدم من شعر أشد سعادة ، إذ هو كما توحى كلماته لا يرهب أولئك ولا هؤلاء أصبحت متعة لاتخفي وأنا أقرأ إلياس .. شعراً يرسم صوراً يصيرة يأحوال وأحوال :

كانت الريوة حلم الضارعة

ولسان الشجر المورق

رام عروش اللغو

وهن جنون التابعة

إنه القادر لكن

ريشه الأن طريح القارعة

تحية لهذا الكلام ، وكل من يقول النصيحة غير هياب .

بقيمة فعل

إصدار جديد عن دار شرقيات صدر للشاعرة هند القاضي ، تعمل هند إعلامية في التلفزيون المصري وتقدم البرامج الثقافية .

تصور

لما طير يختار

يُقعد على ترابيزة بكراسي

بدل ما يروح يجيب

سابع سما

بضربية جناح .

من النيل إلى الفرات

ديوان جديد للشاعر عبد العزيز جوبيه ، صدر عن دار طيبة والشاعر من المهتمين بالقضايا السياسية والاجتماعية في شعره فمن عناوين الديوان : سقط الفرات ، من فوق بابا ، إلى سيدي بوش العظيم ، أين الجامعة العربية ؟

الخاطف في عزلته

أحدث إصدارات إشارات جديدة عن هيئة الكتاب ، ديوان للشاعر والمصحفي السيد رشاد ، يقول د. يسر العزب عن الديوان : في هذه المجموعة الشعرية تجد صوراً شعرية لافتة ومكتملة لشاعر جمع خلاصة تجاربه وأنواع تشكيلها من لغة وصور وموسيقى .

اشتعالات الوداع

ديوان شعر صدر عن سلسلة إبداعات بهية قصور الثقافة للشاعر أحمد كمال زكي ، وقد جاء في كلمة الغلاف : إن الديوان يحتوى على قصائد موزونة وأخرى نثرية ، مما يؤكد قدرة الشاعر على الكتابة في الشكلين معاً ، كما يؤكد إخلاصه في مساعاه لإدراك الشعر واقتناصه بآية طريقة ممكنة .

مذكرات عصفور عجوز جداً

يحيى الطاهر عبد الله

نسبيت أنتي كنت قطعة من اللحم الأحمر بمجرد أن نبت لي الريش - ولكنني **لست** هذا الحادث : ففي ذات ليلة كنت ثائماً واستيقظت لأجد نفسي محمولاً داخل العش سابحاً في الفضاء - وساعدتني ضوء القمر على رؤية أمي وأبي وبعض من أصدقاء العائلة يحملون العش بمناقيرهم ويضربونه القضاء بآججتهم . وعلى شجرة توقف الجميع ووضعوا العش وسط فرعين متعانقين.

هجرنا مكاننا القديم ، لأن بعض الأطفال الأشقياء كادوا يهددون العش .
وألا أشرقت الشمس في اليوم التالي تعلمت حولي ، فرأيت أشجاراً كثيرة .. ومجموعة هائلة من الحيوانات والطيور داخل أقفاص .. وأفهمتني أمي أنها في حديقة الحيوان ، وعلى الأنازعج إذا رأيت الحديقة - بعد قليل - تمتلي بالزوار .

و Gund الظهر جاء أحد أصدقاء العائلة - وكان عصفوراً كبيراً في السن - فسألته : الأطفال هنا أشقياء جداً .. وأخاف أن يتصعد أحدهم إلى ، ويمسك بي . ضحك العصفور العجوز وأجابني : لا .. أنت هنا في حماية الحراس الذين يمنعون الأطفال من مساعدة الأشجار داخل هذه الحديقة .

نظرت إلى قفص القردة وسألته : أنت .. لماذا يرمي الأطفال للقرود ..

قال لي : «فول سوداني». قلت : لاشك إنه لذيد الطعام ، فإن القرود سعداء به جداً .. وطلبت من أمي «فول سوداني» ، فقالت لي : بعد يوم أو اثنين ستصبح قادرًا على الطيران ، ويمكنك - عندئذ - الحصول على ما تريده . وفي الصباح التالي - بعد أن طار أبي وأمي - فكرت كثيراً وقررت لا أنتصر إلى أن يكبر ريشي ، وأن أربط من الشجرة وأطلب من القرود إعطائي «فول سوداني» .

ويبدأت أزحف حتى خرجم من العش وسقطت على الأرض ، وشعرت بالألم ، فانزويت تحت الشجرة - وبعد قليل - جاء طفل وقال لي : أنت جميل أيها العصفورة الصغيرة ، وسأقدم لك شيئاً تحبه .. قلت بفرح : «فول سوداني» ؟ .. فجري الولد وجاء ثانية ومعه قرطاس ، وأخذ يكسر حبات الفول السوداني إلى قطع صغيرة للغاية ليطعمني .. وأحببته الفول السوداني جداً .. وقال لي الولد : مارأيك أن تأتي معن إلى منزلنا ، وأضيعك في قفص ملون جميل ، وأقدم لك كل ما تطلب .

قلت : وماذا ستفعل أمي .. قال : لا تهتم ، ستضع أمك عصافير أخرى كثيرة ، وصغيرة مثلك . قلت : إذن .. سأذهب بعك .

وفي البيت قابلني الجميع بترحاب شديد ، ووضعنوني في قفص ملون .. وعشت حياة بسيطة لاتتكلفني سوى أن أكل وأشرب وأنام .

ومرت الأيام بسرعة.. ولكنني كنت أحس أن سعادتي ينقصها الكثير ، وتمتننت لو استطعت أن أطير .. واشتدت شوقى للانطلاق بحرية .

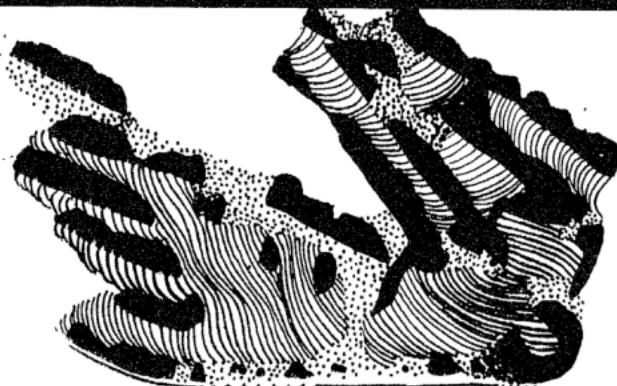
طلبت من صديقى أن يفتح لي باب القفص ، فبرد على : لا يمكن .. إنك لم تتعلم الطيران .. قلت : أرجوك افتح القفص .. وفتح لي القفص ، فحاولت أن أحرك جناحى ، ولكننى لم أستطع ..

فوهنت أنتي عاجز عن الطيران ، .. وفكت فيما حدث ، وقلت لنفسى : كان بإمكانى الطيران فى كل مكان لو

أنتي بذلت بعض الجهد .. ولكننى الآن عصفور عجوز عاجز ، لأننى قبلت الحياة السهلة .

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراتية



أفكاركم معنا

استطلاع رأى

(١) هل أنت راض عن المجلة بشكلها الحالي؟

(أ) نعم (ما هي الأسباب)

- ١
- ٢
- ٣

(ب) لا (ما هي الأسباب)

- ١
- ٢
- ٣

(٢) ما هي الموضوعات التي تحرص على قراءاتها؟

(أ) الدراسات النقدية

(ب) الديوان

(ج) الابداعات

(د) المتابعات

(هـ) أخرى تذكر

(٣) هل تعطي المجلة للأحداث الثقافية كافية أم تحتاج إلى إعادة نظر؟

(أ) كافية (ما هي الأسباب)

- (١)
 - (٢)
 - (٣)
- (ب) غير كافية
- ١
 - ٢
 - ٣

(٤) ما رأيك في الملفات التي قدمتها المجلة في الشهور الماضية؟

(أ) تؤدي الغرض منها

(ب) لا ضرورة لها على الإطلاق

(ج) يمكن البقاء عليها بعد تطويرها

(٥) من هم الكتاب الذين ترى ضرورة الاستعانة بهم في المجلة؟

- ١
- ٢
- ٣
- ٤

(٦) هل هناك أشكال صحفية ترغب في إضافتها للمجلة (حوار - تحقيق - زنوات - متابعات .. الخ)؟

(١) لا

(ب) نعم (ما هي)

-١

-٢

-٣

(٧) ما رأيك في المساحة المخصصة للإبداعات؟

(١) كافية

(ب) غير كافية

(٨) هل يتناسب غلاف المجلة مع مضمونها؟

(١) يتناسب

(ب) لا يتناسب (ما هي الأسباب)

-١

-٢

-٣

(٩) الإخراج الفني للمجلة غير مضمونها؟

(١) موافق

(ب) غير موافق (ما هي الأسباب)

-١

-٢

-٣

(١٠) ما هي اقتراحاتك لتطوير المجلة على مستوى الشكل؟

-١

-٢

-٣

(١١) ما هي اقتراحاتك لتطوير المجلة على مستوى المضمون؟

-١

-٢

-٣

البيانات الشخصية

-الاسم (لن يرغب)

-السن

-المؤهل الدراسي

-العنوان



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

